المحاسن والأضداد

تأليف

أبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ البصري

الناشر مكتبة الخانجى بالقاهرة

المحاسن والأضداد

تأليف

أبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ البصري

الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة

الطبعة الأولى
١٣٢٤ هـ - ١٩٩٤ م

الطبعة الثانية
١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م

رقم الإيداع
٢١٨٥ / ٩٤

﴿ ترجمة المؤلف ﴾

هو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني الليثي المعروف بالجاحظ البصري العالم المشهور صاحب التصانيف في كل فن له مقالة في أصول الدين واليه تنسب الفرقة المعروفة بالجاحظية من المعتزلة وكان تلميذ أبي اسحاق ابراهيم بن سيار البلخي المعروف بالنظام المتكلم المشهور وهو خال يموت بن المزرع ومن أحسن تصانيفه وأمتعها هذا الكتاب فلقد جمع فيه كل غريبة وكذلك كتاب البيان والتبيين وهي كثيرة جداً وكان مع فضائله مشوه الخلق وانما قيل له الجاحظ لأن عينيه كانتا جاحظتين والجحوظ النتوء وكان يقال له أيضاً الحدقي لذلك ومن جملة أخباره أنه قال ذكرت للمتوكل لتأديب بعض ولده فلما رآني استبشع منظري فأمر لي بعشرة آلاف درهم وصرفني فخرجت من عنده فلقيت محمد بن ابراهيم وهو يريد الانصراف الى مدينة السلام فعرض عليّ الخروج معه والانحدار في حراقته وكنا بسر من رأى فركبنا في الحراقة فلما انتهينا الى فم نهر القاطول نصب ستارة وأمر بالغناء فاندفعت عوادة فغنت

كل يوم قطيعة وعتاب ... ينقضي دهرنا ونحن غضاب
ليت شعري أنا خصصت بهذا ... دون ذا الخلق أم كذا الأحباب

وسكتت فأمر الطنبورية فغنت

وارحمتا للعاشقين ... ما إن أرى لهم معينا
كم يهجرون ويصرمو ... ن ويقطعون فيصبرونا

قال فقالت لها العوادة فيصنعون ماذا قالت هكذا يصنعون وضربت بيدها الى الستارة فهتكتها وبرزت كأنها فلقة قمر فألقت نفسها في الماء وعلى رأس محمد غلام يضاهيها في الجمال وبيده مذبة فأتى الموضع ونظر اليها وهي تمر بين الماء وأنشد

أنت التي غرقتني ... بعد القضا لو تعلمينا

وألقى نفسه في أثرها فادار الملاح الحراقة فاذا بهما معتنقان ثم غاصا فلم يريا فاستعظم محمد

ذلك وهاله أمرهما ثم قال ياعمرو لتحدثني حديثاً يسليني عن فعل هذين والا ألحقتك بهما قال فحضرني حديث يزيد بن عبد الملك وقد قعد للمظالم يوما وعرضت عليه القصص فمرت به قصة فيها ان رأى أمير المؤمنين أن يخرج اليَّ جاريته فلانة حتى تغنيني ثلاثة أصوات فعل فاغتاظ يزيد من ذلك وأمر من يخرج اليه ويأتيه برأسه ثم اتبع الرسول رسولا آخر يأمره أن يدخل اليه الرجل فأدخله فلما وقف بين يديه قال له ماالذي حملك على ماصنعت قال الثقة بحلمك والاتكال على عفوك فأمره بالجلوس حتى لم يبق أحد من بني أمية الا خرج ثم أمر فأخرجت الجارية ومعها عودها فقال لها الفتى غني

أفاطم مهلا بعض هـذا التدلل وان كنت قد أزمعت صرمي فاجملي

فغنته فقال له يزيد قل فقال غني

تألق البرق نجدياً فقلت له ياأيها البرق إني عنك مشغول

فغنته فقال له يزيد قل فقال يامولاي تأمر لي برطل شراب فأمر له به فما استتم شربه حتى وثب وصعد على أعلى قبة ليزيد فرمى نفسه على دماغه فمات فقال يزيد (انا لله وانا اليه راجعون) أتراه الأحمق الجاهل ظن أني أخرج اليه جاريتي وأردها الى ملكي ياغلمان خذوها بيدها واحملوها الى أهله ان كان له أهل والا فبيعوها وتصدقوا عنه بثمنها فانطلقوا بها الى أهله فلما توسطت الدار نظرت الى حفيرة في وسط دار يزيد قد أعدت للمطر فجذبت نفسها من أيديهم وأنشدت

من مات عشقاً فليمت هكذا لاخير في عشق بلا موت

فألقت نفسها في الحفيرة على دماغها فماتت فسري عن محمد وأجزل صلتي ** وقال أبو القاسم السيرافي حضرنا مجلس الاستاذ أبي الفضل بن العميد الوزير فجرى ذكر الجاحظ فغض منه بعض الحاضرين وأزرى به وسكت الوزير عنه فلما خرج الرجل قلت له سكت أيها الاستاذ عن هذا الرجل في قوله مع عادتك في الرد على أمثاله فقال لم أجد في مقابلته أبلغ من تركه على جهله ولو واقفته وبينت له لنظر في كتبه وصار بذلك انسانا ياأبا القاسم فكتب الجاحظ تعلم العقل أولا والأدب ثانياً ولم أستصلحه لذلك وكان الجاحظ في آواخر عمره قد أصابه الفالج فكان يطلي نصفه الأيمن

بالصندل والكافور لشدة حرارته والنصف الأيسر لو قرض بالمقارض لما أحس به من خدره وشدة برده وكان يقول في مرضه اصطلحت على جسدي الاضداد ان أكلت بارداً أخذ برجلي وان أكلت حاراً أخذ برأسي وكان يقول أنا من جانبي الأيسر مفلوج فلو قرض بالمقاريض ماعلمت به ومن جانبي الأيمن منقرس فلو مر به الذباب لالمت وبي حصاة لاينسرح لي البول معها وأشدما علي ست وتسعون سنة وكان ينشد

أترجو أن تكون وأنت شيخ   كما قد كنت أيام الشباب

لقد كذبتك نفسك ليس ثوب   دريس كالجديد من الثياب

وحكى بعض البرامكة قال كنت تقلدت السند فأقمت بها ماشاء الله تعالى ثم اتصل بي أني صرفت عنها وكنت كسبت بها ثلاثين ألف دينار فخشيت أن يفجأني بها الصارف فيسمع بمكان المال فيطمع فيه فصغته عشرة آلاف اهليلجة في كل اهليلجة ثلاثة مثاقيل ولم يمكث الصارف ان أتى فركبت البحر وانحدرت الى البصرة فخبرت أن الجاحظ بها وأنه عليل بالفالج فأحببت أن أراه قبل وفاته فصرت اليه فأفضيت الى باب دار لطيف فقرعته فخرجت الي خادم صفراء فقالت من أنت قلت رجل غريب وأحب أن أسر بالنظر الى الشيخ فبلغته الخادم ماقلت فسمعته يقول قولي له وما تصنع بشق مائل ولعاب سائل ولون حائل فقلت للجارية لابد من الوصول اليه فلما بلغته قال هذا رجل قد اجتاز بالبصرة وسمع بعلتي فقال أحب أن أراه قبل موته فأقول قدرأيت الجاحظ ثم أذن لي فدخلت وسلمت عليه فرد رداً جميلا وقال من تكون أعزك الله فانتسبت له فقال رحم الله تعالى أسلافك وآباءك السمحاء الأجواد فلقد كانت أيامهم رياض الأزمنة ولقد انجبر بهم خلق كثير فسقيا لهم ورعيا فدعوت له وقلت أنا أسألك أن تنشدني شيئاً من شعرك فأنشدني

لئن قُدِّمَتْ قبلي رجال فطالما   مشيت على رسلي فكنت المقدما

ولكنّ هذا الدهر تأتي صروفه   فتبرم منقوضاً وتنقض مبرما

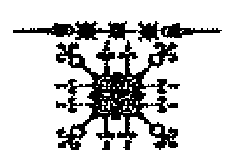
ثم نهضت فلما قاربت الدهليز قال يافتى أرأيت مفلوجا ينفعه الاهليلج قلت لا قال فان الاهليلج الذي معك ينفعني فابعث لي منه فقلت نعم وخرجت متعجباً من وقوعه على

خبرى مع كتابي له ويعث له مائة أهليلجة وقال أبو الحسن البرمكى أنشدنى الجاحظ

وكان لنا أصدقاء مضوا تفانوا جميعاً وما خلدوا
تساقوا جميعاً كؤس المنون فمات الصديق ومات العدو

وكانت وفاة الجاحظ فى شهر المحرم سنة خمس وخمسين ومائتين بالبصرة وقد نيف على تسعين سنة رحمه الله تعالى انتهى مختصراً من فوات الوفيات

كتبه
محمد أمين الخانجي
الكتبي



﴿ فهرس كتاب المحاسن والاضداد ﴾

صحيفه

صحيفة

المحاسن والأضداد

تاليف

أبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ البصري

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على رسوله سيدنا محمد وآله أجمعين

قال أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ** اني ربما ألفت الكتاب المحكم المتقن في الدين والفقه والرسائل والسيرة والخطب والخراج والأحكام وسائر فنون الحكمة وأنسبه إلى نفسي فيتواطأ على الطعن فيه جماعة من أهل العلم بالحسد المركب فيهم وهم يعرفون براعته ونصاعته وأكثر ما يكون هذا منهم اذا كان الكتاب مؤلفاً لملك معه المقدرة على التقديم والتأخير والحط والرفع والترهيب والترغيب فانهم يهتاجون عند ذلك اهتياج الابل المغتلمة فان أمكنتهم الحيلة في اسقاط ذلك الكتاب عند السيد الذي ألف له فهو الذي قصدوه وأرادوه وان كان السيد المؤلف فيه الكتاب نحريراً نقابا ونقريساً بليغاً وحاذقا فطناً وأعجزتهم الحيلة سرقوا معاني ذلك الكتاب وألفوا من أعراضه وحواشيه كتابا وأهدوه الى ملك آخر ومتوا اليه به وهم قد ذموه وثلبوه لما رأوه منسوبا إليّ وموسوما بي ٠٠ وربما ألفت الكتاب الذي هو دونه في معانيه وألفاظه فأترجمه باسم غيري وأحيله على من تقدمني عصره مثل ابن المقفع والخليل وسلم صاحب بيت الحكمة ويحيى بن خالد والعتابي ومن أشبه هؤلاء من مؤلفي الكتب فيأتيني أولئك القوم بأعيانهم الطاعنون على الكتاب الذي كان أحكم من هذا الكتاب لاستنساخ هذا الكتاب وقراءته عليّ ويكتبونه بخطوطهم ويصيرونه إماماً يقتدون به ويتدارسونه بينهم ويتأدبون به ويستعملون ألفاظه ومعانيه في كتبهم وخطاباتهم ويروونه عني لغيرهم من طلاب ذلك الجنس فتثبت لهم به رياسة ويأتم بهم قوم فيه لأنه لم يترجم باسمي ولم ينسب الى تأليفي ٠٠ وهذا كتاب وسمته (بالمحاسن

والاضداد) لم أسبق الى نحاته ولم يسألني أحد صنعه ابتدأته بذكر محاسن الكتابة والكتب وختمته في ذكر شئ من محاسن الموت والله يكلاؤه من حاسد اذا حسد

محاسن الكتابة والكتب

كانت العجم تقيد مآثرها بالبنيان والمدن والحصون مثل بناء أزدشير وبناء إصطخر وبناء المدائن والسدير والمدن والحصون • • ثم ان العرب شاركت العجم في البنيان وتفردت بالكتب والأخبار والشعر والآثار فلها من البنيان غمدان وكعبة نجران وقصر مارب وقصر مارد وقصر شعوب والأبلق الفرد وغير ذلك من البنيان : وتصنيف الكتب أشد تقييداً للمآثر على ممر الأيام والدهور من البنيان لأن البناء لا محالة يدرس وتعفى رسومه والكتاب باق يقع من قرن الى قرن ومن أمة الى أمة فهو أبداً جديد والناظر فيه مستفيد وهو أبلغ في تحصيل المآثر من البنيان والتصاوير :: وكانت العجم تجعل الكتاب في الصخور ونقشاً في الحجارة وخلقة مركبة في البنيان فربما كان الكتاب هو الناتئ وربما كان هو المحفور اذا كان ذلك تاريخاً لأمر جسيم أو عهداً لأمر عظيم أو موعظة يرتجى نفعها أو احياء شرف يريدون تخليد ذكره كما كتبوا على قبة غمدان وعلى باب القيروان وعلى باب سمرقند وعلى عمود مارب وعلى ركن المشقر وعلى الأبلق الفرد وعلى باب الرها يعمدون الى المواضع المشهورة والأماكن المذكورة فيضعون الخط في أبعد المواضع من الدثور وأمنعها من الدروس وأجدر أن يراه من مر به ولا يُنسى على وجه الدهور :: ولولا الحِكَم المحفوظة والكتب المدونة لبطل أكثر العلم ولغلب سلطان النسيان سلطان الذكر ولما كان للناس مفزع الى موضع استذكار ولو لم يتم ذلك لحرمنا أكثر النفع:: ولولا ما رسمت لنا الأوائل في كتبها وخلدت من عجيب حكمتها ودونت من أنواع سيرها حتى شاهدنا بها ما غاب عنا وفتحنا بها كل مستغلق فجمعنا الى قليلنا كثيرهم وأدركنا ما لم نكن ندركه الا بهم لقد بخس حظنا منه وأهل العلم والنظر وأصحاب الفكر والعبر والعلماء بمخارج الملل وأرباب النحل وورثة الأنبياء وأعوان الخلفاء يكتبون كتب الظرفاء والصلحاء وكتب الملاهي وكتب أعوان الصلحاء وكتب أصحاب المراء

والخصومات وكتب السخفاء وحمية الجاهلية .. ومنهم من يفرط في العلم أيام خموله وترك ذكره وحداثة سنه .. ولولا جياد الكتب وحسانها لما تحركت همم هؤلاء لطلب العلم ونازعت الى حب الكتب وأنفت من حال الجهل وان يكونوا في غمار الوحش ولدخل عليهم من الضرر والمشقة وسوء الحال ما عسى أن يكون لا يمكن الإخبار عن مقداره إلا بالكلام الكثير .. وسمعت محمد بن الجهم يقول اذا غشيني النعاس في غير وقت النوم تناولت كتاباً فاجد اهتزازى للفوائد الأريحية التي تعتريني من سرور الاستبانة وعز التبين أشد إيقاظاً من نهيق الحمار وهدة الهدم فاني اذا استحسنت كتاباً واستجدته ورجوت فائدته لم أوثر عليه عوضاً ولم أبغ به بدلا فلا أزال أنظر فيه ساعة بعد ساعة كم بقي من ورقه مخافة استنفاده وانقطاع المادة من قبله .. وقال ابن داحة كان عبدالله ابن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن الخطاب لا يجالس الناس فنزل مقبرة من المقابر وكان لا يزال في يده كتاب يقرؤه فسئل عن ذلك فقال لم أر أوعظ من قبر ولا آنس من كتاب ولا أسلم من الوحدة .. وأهدى بعض الكتاب الى صديق له دفتراً وكتب معه .. هديتي هذه أعزك الله تزكو على الإنفاق وتربو على الكد لا تفسدها العوارى ولا تخلقها كثرة التقليب وهي إنس في الليل والنهار والسفر والحضر تصلح للدنيا والآخرة تؤنس في الخلوة وتمنع من الوحدة مسامر مساعد ومحدث مطاوع ونديم صدق .. وقال بعض الحكماء الكتب بساتين العلماء .. وقال آخر .. الكتاب جليس لا مؤنة له .. وقال آخر .. الكتاب جليس بلا مؤنة .. وقال آخر .. ذهبت المكارم إلا من الكتب

(قال الجاحظ) .. وأنا أحتاط وأقول : الكتاب نعم الذخر والعقدة والجليس والعمدة ونعم النشرة ونعم النزهة ونعم المشتغل والحرفة ونعم الأنيس ساعة الوحدة ونعم المعرفة ببلاد الغربة ونعم القرين والدخيل والزميل ونعم الوزير والنزيل .. والكتاب وعاء ملئ علما وظرف حشى ظرفا واناء شحن مزاحا إن شئت كان أعيى من باقل وإن شئت كان أبلغ من سحبان وائل وان شئت سرتك نوادره وشجتك مواعظه ومن لك بواعظ مله وبناسك فاتك وناطق أخرس ومن لك بطبيب اعرابي ورومي هندي وفارسي يوناني ونديم مولد ونجيب ممتع ومن لك بشيء يجمع الأول والآخر والناقص والوافر

والشاهد والغائب والرفيع والوضيع والغثّ والسمين والشكل وخلافه والجنس وضده ٠٠ وبعد فما رأيت بستاناً يحمل في رُدْن وروضة تنقل في حِجْر ينطق عن الموتى ويترجم عن الأحياء ومن لك بمؤنس لا ينام إلا بنومك ولا ينطق إلا بما تهوى آمن من الأرض وأكتم للسر من صاحب السر وأحفظ للوديعة من أرباب الوديعة ولا أعلم جاراً آمن ولا خليطاً أنصف ولا رفيقاً أطوع ولا معلماً أخضع ولا صاحباً أظهر كفاية وعناية ولا أقلّ إملالاً ولا إبراماً ولا أبعد من مراء ولا أترك لشغب ولا أزهد في جدال ولا أكف عن قتال من كتاب ولا أعمّ بياناً ولا أحسن مواتاة ولا أعجل مكافأة ولا شجرة أطول عمراً ولا أطيب ثمراً ولا أقرب مجتنى ولا أسرع إدراكاً ولا أوجد في كل إبّان من كتاب ولا أعلم نتاجاً في حداثة سنّه وقرب ميلاده ورخص ثمنه وإمكان وجوده يجمع من السِيَر العجيبة والعلوم الغريبة وآثار العقول الصحيحة ومحمود الأذهان اللطيفة ومن الحكم الرفيعة والمذاهب القديمة والتجارب الحكيمة والاخبار عن القرون الماضية والبلاد النازحة والأمثال السائرة والأمم البائدة ما يجمعه كتاب ٠٠ ومن لك بزائر إن شئت كانت زيارته غبّاً ووِرده خِمساً وإن شئت لزمك لزوم ظلّك وكان منك كبعضك ٠٠ والكتاب هو الجليس الذي لا يُطريك والصديق الذي لا يقليك والرفيق الذي لا يملّك والمستمع الذي لا يستزيدك والجار الذي لا يستبطئك والصاحب الذي لا يريد استخراج ما عندك بالملق ولا يعاملك بالمكر ولا يخدعك بالنفاق ٠٠ والكتاب هو الذي إن نظرت فيه أطال امتاعك وشحذ طباعك وبسط لسانك وجوّد بيانك وفخّم ألفاظك وبجّح نفسك وعمّر صدرك ومنحك تعظيم العوامّ وصداقة الملوك يُطيعك بالليل طاعته بالنهار وفي السفر طاعته في الحضر وهو المعلّم إن افتقرت اليه لم يحقرك وان قطعت عنه المادة لم يقطع عنك الفائدة وان عُزِلتَ لم يدع طاعتك وان هبّت ريح أعدائك لم ينقلب عليك ومتى كنت متعلقاً منه بأدنى حبل لم تضطرك معه وحشة الوحدة الى جليس السوء وإنّ أمثل ما يقطع به الفُرّاغ نهارهم وأصحاب الكفايات ساعات ليلهم نظر في كتاب لا يزال لهم فيه ازدياد في تجربة وعقل ومروءة وصون عرض وإصلاح دين وتثمير مال وربّ صنيعة وابتداء إنعام ٠٠ ولو لم يكن من فضله عليك وإحسانه اليك الا منعه لك من الجلوس

على بابك والنظر الى المارة بك مع ما في ذلك من التعرض للحقوق التي تلزم ومن فضول النظر وملابسة صغار الناس ومن حضور ألفاظهم الساقطة ومعانيهم الفاسدة وأخلاقهم الردية وجهالاتهم المذمومة لكان في ذلك السلامة والغنيمة واحراز الأصل مع استفادة الفرع ولو لم يكن في ذلك الا أنه يشغلك عن سخف المنى واعتياد الراحة وعن اللعب وكل ما تشتهيه لقد كان له في ذلك على صاحبه أسبغ النعم وأعظم المنة .. وجملة الكتاب وان كثر ورقه فليس مما يمل لأنه وان كان كتاباً واحداً فانه كتب كثيرة في خطابه والعلم بالشريعة والأحكام والمعرفة بالسياسة والتدبير .. وقال مصعب بن الزبير .. ان الناس يتحدثون بأحسن ما يحفظون ويحفظون أحسن ما يكتبون ويكتبون أحسن ما يسمعون فاذا أخذت الأدب فخذه من أفواه الرجال فانك لا ترى ولا تسمع الا مختاراً ولؤلؤاً منظوماً .. وقال لقمان لابنه .. يا بني نافس في طلب العلم فانه ميراث غير مسلوب وقرين غير مغلوب ونفيس حظ من الناس وفي الناس مطلوب .. وقال الزهري .. الأدب ذكر لا يحبه الا الذكور من الرجال ولا يبغضه الا مؤنثهم .. وقال .. اذا سمعت أدباً فاكتبه ولو في حائط .. وقال منصور بن المهدي للمأمون .. أيحسن بنا طلب العلم والأدب قال : والله لأن أموت طالباً للأدب خير لي من أن أعيش قانعاً بالجهل قال : فالى متى يحسن بي ذلك قال : ما حسنت الحياة بك

﴿ ضده ﴾

الحديث المرفوع رحم الله عبداً أصلح من لسانه .. وكان الوليد بن عبد الملك لحنة فدخل عليه اعرابي يوما فقال أنصفني من ختني يا أمير المؤمنين فقال ومن ختنك قال رجل من الحي لا أعرف اسمه فقال عمر بن عبد العزيز ان أمير المؤمنين يقول لك من ختنك فقال هو ذا بالباب فقال الوليد لعمر ما هذا قال النحو الذي كنت أخبرتك عنه قال لا جرم فاني لا أصلي بالناس حتى أتعلمه .. قال وسمع اعرابي مؤذناً يقول .. أشهد أن محمداً رسولَ الله فقال يفعل ماذا .. قال وقال رجل لزياد .. أيها الأمير ان أبينا أهلك وان أخينا غصبنا على ميراثنا من أبانا فقال زياد ما ضيعت من نفسك أكثر مما

ضاع من مسيرات أبيك فلا رحم الله أباك حيث ترك ابنا مثلك .. وقال مولى لزياد : أيها الأمير احذوا لنا حمار وحش ، فقال : ما تقول ، فقال : احـذوا لنا إيراً ، فقال زيادة : الأول خير من الثاني .. قال واختصم رجلان الى عمر بن عبد العزيز فجعلا يلحلنان فقال الحاجب : قما فقد أوذيتما أمير المؤمنين ، فقال عمر للحاجب : أنت والله أشد إذاه منهما .. قال وقال بشر المريسي وكان كثيراللحن : قضى لكم الاميرعلى أحسن الوجوه وأهنؤها ، فقال القاسم التمار : هذا على قوله

إنَّ سُلَيمى واللهُ يكلؤُها ضَنَّتْ بشيءٍ ما كانَ يرزؤُها

فكان احتجاج القاسم أطيب من لحن بشر .. قال وكان زياد النبطي شديد اللكنة وكان نحو يا فدعى غلامه ثلاثاً فلما أجابه قال : من لدن دأوتك الى أن ديتني ما كنت تصنأ ، يريد دعوتك وجئتني وتصنع .. ومرّ ماسرجويه الطبيب بمعاذ بن مسلم فقال: يا ماسرجويه إني لأجد في حلقي بحجاً ، قال : هو من عمل بلغم ، فلما جاوزه قال : تراني لا أحسن أن أقول بلغمٌ ولكنه قال بالعربية فأجبته بضدها

محاسن المخاطبات

حكوا عن ابن القرّيّة ..أنه دخل على عبد الملك بن مروان فبينا هوعنده إذدخل بنو عبد الملك عليه فقال : من هؤلاء الفتية يا أمير المؤمنين ، قال : ولدأميرالمؤمنين ، قال : بارك الله لك فيهم كما بارك لابيك فيك وبارك لهم فيك كما بارك لك في أبيك ، قال : فشحن فاه دراً .. قال وقال عمارة بن حمزة لابي العباس وقـد أمر له بجوهر نفيس : وصلك الله يا أمير المؤمنين و برّك فوالله لئن أردنا شكرك على انعامك ليقصرن شكرنا عن نعمتك كما قصر الله بنا عن منزلتك .. قيل ودخل اسحاق بن ابراهيم الموصلي على الرشيد فقال : مالك ، قال

سَوَامي سَوامُ المُكثرينَ تجمُّلاً ومالي كما قد تعلمينَ قليلُ

وآمرةٍ بالبُخلِ قلتُ لها اقصري فذلكَ شيءٌ ما إليهِ سبيلُ

وكيفَ أخافُ الفقرَ أو أُحرَمُ الغنا ... ورأيُ أميرِ المؤمنينَ جميلُ

أرى الناسَ خُلّانَ الجوادِ ولا أرى ... بَخيلاً لهُ في العالمينَ خليلُ

فقال الرشيد : هذا والله الشعر الذى صحت معانيه وقويت أركانه ومبانيه ولذّ على أفواه القائلين واسماع السامعين ياغلام احمل اليه خمسين الف درهم ، قال اسحاق : ياأمير المؤمنين كيف أقبل صلتك وقد مدحت شعرى بأكثر مما مدحتك به ، قال الاسمعي : فعلمت انه أصيد للدراهم مني ،، قال ودخل المأمون ذات يوم الديوان فنظر الى غلام جميل على أذنه قلم فقال : من أنت ، قال : أنا الناشئ في دولتك المتقلب في نعمتك المؤمل لخدمتك الحسن بن رجاء ، فقال المأمون : بالاحسان فى البديهة تتفاضل العقول يرفع عن مرتبة الديوان الى مراتب الخاصة ويعطى مائة ألف درهم تقوية له ،، قال ،، ووصف يحيي بن خالد الفضل بن سهل وهو غلام على المجوسية للرشيد وذكر أدبه وحسن معرفته فعمل على ضمه الى المأمون فقال ليحيي يوماً : أدخل إليّ هذا الغلام المجوسي حتى أنظر اليه فاوصله فلما مثل بين يديه ووقف تحيّر فاراد الكلام فأُرتج عليه فادركته كبوة فنظر الرشيد الى يحيي نظرة منكرة لما كان تقدّم من تقريظه اياه فانبعث الفضل بن سهل فقال : ياأمير المؤمنين ان من أبين الدلائل على فراهة المملوك شدة افراط هيبته لسيده ، فقال له الرشيد : أحسنت والله لئن كان سكوتك لتقول هذا انه لحسن ولئن كان شيئاً أدركك عند انقطاعك انه لاحسن وأحسن ثم جعل لا يسأله عن شئ إلا رآه فيه مقدّماً فضمّه الى المأمون ،، قال وقال الفضل بن سهل للمأمون وقد سأله حاجة لبعض أهل بيوتات دهاقين سمرقند كان وعده تعجيل انفاذها فتأخر ذلك : هب لوعدك تذكّراً من نفسك وهنّئ سائلك حلاوة نعمتك واجعل ميلك الى ذلك في الكرم حثاً على اصطفاء شكر الطالبين تشهد لك القلوب بحقائق الكرم والالسن بنهاية الجود ، فقال : قد جعلت اليك اجابة سؤالي عنى بما ترى فيهم وآخذك فى التقصير فيما يلزم لهم من غير استئمار أو معاودة في اخراج الصكاك من أحضر الاموال متناولا قال اذاً لا تجدى معرفتي بما يجب لامير المؤمنين الهناء به بما يديم له منهم حسن الثناء ويستمد

بدعائهم طول البقاء .. وقال الفضل بن سهل للمأمون .. يا أمير المؤمنين اجعل نعمتك صائنة لوجوه خدمك عن اراقة مائها فى غضاضة السؤال فقال والله لا كان ذلك الا كذلك .. قال ودخل العتابي على المأمون فقال .. خُبِّرتَ بوفاتك فغمّتني ثم جاءتني وفادتك فسرتني فقال يا أمير المؤمنين كيف أمدحك أم بما ذا أصفك ولا دين الا بك ولا دنيا الا معك قال سلني ما بدالك قال يداك بالعطية أطلق من لساني بالمسئلة .. قال وقدم السعدي ابو وجزة على المهلب بن أبي صفرة فقال .. أصلح الله الأمير اني قد قطعت اليك الدهناء وضربت اليك آباط الابل من يثرب قال فهل أتيتنا بوسيلة أو عشرة أو قرابة قال لا ولكني رأيتك لحاجتي أهلا فان قمت بها فأهل ذلك وان يحُل دونها حائل لم أذم يومك ولم أيأس من غدك فقال المهلب يُعطى ما في بيت المال فوجد مائة ألف درهم فدفعت اليه فأخذها .. وقال

يا مَنْ على الجُودِ صاغَ اللهُ راحتَهُ ... فليسَ يُحسنُ غيرَ البَذْلِ والجُودِ

عمَّتْ عطاياكَ مَنْ بالشرقِ قاطبةً ... فأنتَ والجودُ منحوتانِ من عُودِ

وقد يجب على العاقل الراغب في الادب أن يحفظ هذه المخاطبات ويدمن قراءتها .. وقد قال الأصمعي

أَمَا لَوْ أَعِي كُلَّ ما أَسْمَعُ ... وأَحفَظُ مِنْ ذاكَ ما أَجْمَعُ

ولمْ أَستَفِدْ غيرَ ما قدْ جمعتُ ... لَقِيلَ أَنَا العالِمُ المقنَعُ

ولكِنَّ نفسي إلى كُلِّ شيءٍ ... مِنَ العِلْمِ تَسمَعُهُ تَنزِعُ

فلا أَنا أَحفَظُ ما قدْ جمعتُ ... ولا أنا مِنْ جَمْعِهِ أَشْبَعُ

وأَقْعُدُ لِلجَهْلِ في مَجْلِسٍ ... وعِلْمِيَ في الكُتْبِ مُسْتَوْدَعُ

ومَنْ يكُ في عِلْمِهِ هكذا ... يَكُنْ دَهْرَهُ القَهْقَرَى يَرْجِعُ

يَضيعُ مِنَ المالِ ما قدْ جمعتَ ... وعِلْمُكَ في الكُتْبِ مُسْتَوْدَعُ

إذا لمْ تَكُنْ حافِظاً واعياً ... فَجَمْعُكَ لِلكُتْبِ ما يَنفَعُ

وقال بعضهم .. الحفظ مع الاقلال أمكن وهو مع الاكثار أبعد وتغيير الطبائع زمن رطوبة الغصن أقبل .. وفيها قال الشاعر

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلباً خالياً فتمكنا

وقيل .. العلم في الصغر كالنقش في الحجر والعلم في الكبر كالعلامة على المدر .. فسمع ذلك الأحنف فقال الكبير أكثر عقلا ولكنه أكثر شغلا .. كما قال

وإنَّ مَنْ أدَّبتَهُ في الصبَى كالعُودِ يُسقَى الماء في غرْسهِ

حتَّى تَرَاهُ مُورِقاً ناضِراً بَعْدَ الذي أبصَرْتَ مِنْ يُبْسهِ

والصبيّ عن الصبي أفهم وهو له آلف واليه أنزع .. وكذلك العالم عن العالم والجاهل عن الجاهل .. وقال الله تعالى (ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً) لأن الانسان عن الانسان أفهم وطباعه بطباعه آنس

﴿ ضـده ﴾

قال .. دخل ابو علقمة النحوى على أعين الطبيب فقال .. انى أكلت من لحوم الجوازئ وطسئت طسأة فأصابني وجع بين الوابلة الى دأية العنق فلم يزل يربو وينمو حتى خالط الشراسيف فهل عندك دواء .. قال نعم خذ خوفقا وسربقا ورقرقا فاغسله واشربه بماء فقال لا أدرى ما تقول قال ولا أنا دريت ما قلت .. قال وقال يوما آخر انى أجد معمعة في قلبي وقرقرة في صدرى فقال له أما المعمعة فلا أعرفها وأما القرقرة فهى ضراط غير نضيج .. قال وأتى رجل الهيثم بن العريان بغريم له قد مطله حقه فقال أصلح الله الأمير ان لى على هذا حقا قد غلبنى عليه فقال له الآخر اصلحك الله ان هذا باعنى عنجداً واستنسأته حولا وشرطت عليه أن أعطيه مياومة فهو لا يلقانى في لقم الا اقتضانى ذهباً فقال له الهيثم أمن بني أمية أنت قال لا قال أفمن بنى هاشم أنت قال لا قال أفمن أكفائهم من العرب قال لا قال ويلى عليك انزعوا ثيابه فلما أرادوا أن ينزعوا ثيابه قال أصلحك الله ان إزارى مرعبل قال دعوه فلو ترك الغريب فى موضع لتركه في هذا

الموضع .. قال ومرّ ابو علقمة ببعض الطرق فهاجت به مرّة فوثب عليه قوم فجعلوا يعصرون ابهامه ثم يؤذّنون في أذنه فأفلت من أيديهم فقال ما لكم تتكأكؤون عليّ تكأكؤكم على ذي جنة افرنقعوا عني فقال رجل منهم دعوه فان شيطانه يتكلم بالهندية .. قال وقال لحجّام يحجمه اشدد قصب الملازم وارهف ظبة المشارط وخفّف الوضع وعجّل النزع وليكن شرطك وَخزاً ومصّك نهزاً ولا تكرهن أبياً ولا تردّن آتياً فوضع الحجّام محاجمه في جونته وانصرف

محاسن المكاتبات

قال كعب العبسي لعروة بن الزبير .. قد أذنبت ذنباً الى الوليد بن عبدالملك وليس يزيل غضبه شيء فاكتب لي اليه فكتب اليه .. لو لم يكن لكعب من قديم حرمته ما يُغفرُ له عظيم جريرته لوجب أن لا تحرمه التفيؤ بظلّ عفوك الذي تأمله القلوب ولا تعلّق به الذنوب وقد استشفع بي اليك فوثقت له منك بعفو لا يخالطه سخط فحقق أمله وصدّق ثقتي بك تجد الشكر وافياً بالنعمة .. فكتب اليه الوليد .. قد شكرت رغبته اليك وعفوت عنه لمعوله عليك وله عندي ما يحب فلا تقطع كتبك عني في أمثاله وفي سائر أمورك .. وكتب عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر الى بعض اخوانه .. أما بعد فقد عاقني الشكّ عن عزيمة الرأي ابتدأتني بلطف من غير خبرة ثم اعقبتني جفاء من غير ذنب فأطمعني أوّلك في إحسانك وأيأسني آخرك من وفائك فلا أنا في غير الرجاء مجمع لك إطّراحاً ولا في غد انتظاره منك على ثقة فسبحان من لو شاء كشف إيضاح الرأي فيك فأقمنا على إئتلاف أو افترقنا على اختلاف .. قال وسخط مسلمة بن عبد الملك على العريان بن الهيثم فعزله عن شُرطة الكوفة فشكا ذلك الى عمر بن عبدالعزيز فكتب اليه .. ان من حفظ أنعم الله رعاية ذوي الأسنان ومن إظهار شكر الموهوب صفح القادر عن الذنب ومن تمام السودد حفظ الودائع واستتمام الصنائع وقد كنت أودعت العُريان نعمة من أنعمك فسلبتها عجلة سخطك وما أنصفته عصبته على أن

ولّيتَه ثم عزلته وخليته وأنا شفيعه فأحب أن تجعل له من قلبك نصيبه ولا تخرجه من حسن رأيك فتضيع ما أودعته وتتوي[1] ما أفدته .. فعفى عنه ورده الى عمله ..

قال وغضب سليمان بن عبد الملك على ابن عُبيد مولاه فشكا الى سعيد بن المسيّب ذلك فكتب اليه .. أما بعد فانّ أمير المؤمنين في الموضع الذى يرتفع قدره عما تقتضيه رعيته وفي عفو أمير المؤمنين سعة للمسيئين .. فرضي عنه .. قال وطلب العتّابي من رجل حاجة فقضى له بعضها ومطله ببعض فكتب اليه .. أما بعد فقد تركتني منتظراً لوعدك منتجزاً لرفدك وصاحب الحاجة محتاج الى نَعَمٍ هنيئة أو لا مريحة والعذر الجميل أحسن من المطل الطويل .. وقد قلت بيتي شعر

بَسَطْتَ لِساني ثمّ أوثَقْتَ نِصفَهُ ... فنِصفُ لِساني بامتِداحِكَ مُطلَقُ

فإنْ أنتَ لم تُنجِزْ عِداتي تَرَكتَني ... وباقي لِسانِ الشكرِ باليأسِ مُوثَقُ

قال .. وكتب عمرو بن مسعدة الى المأمون في رجل من بني ضبّة يستشفع له بالزيادة في منزلته وجعل كتابه تعريضاً .. أما بعد فقد استشفع بي فلان يا أمير المؤمنين لتطوّلك عليّ في إلحاقه بنظرائه من الخاصة فيما يرتزقون به وأعلمته ان أمير المؤمنين لم يجعلني في مراتب المستشفعين وفي ابتدائه بذلك تعدّى طاعته والسلام :: فكتب اليه المأمون قد عرفنا تصريحك له وتعريضك لنفسك وأجبناك اليهما ووقّفناك عليهما :: قال وكتب عمرو بن مسعدة الى المأمون كتابا يستعطفه على الجند :: كتابي الي أمير المؤمنين ومَنْ قبلي من أجناده وقوّاده في الطاعة والانقياد على أحسن ما تكون عليه طاعة جند تأخّرت أرزاقهم واختلّت أحوالهم :: فقال المأمون والله لأقضين حق هذا الكلام وأمر باعطائهم لثمانية أشهر :: قال وقدم رجل من أبناء دهاقين قريش على المأمون لعدة سلفت منه فطال على الرجل انتظار خروج أمر المأمون فقال لعمرو بن مسعدة توصل في رقعة مني الي أمير المؤمنين تكون أنت الذى تكتبها تكون لك علىّ نعمتان فكتب :: ان رأى أمير المؤمنين أن يفكّ اسر عبده من ربقة المطل بقضاء حاجته ويأذن له في

---

(١) ـــ التواء الهلاك

الانصراف الي بلده فعل إن شاء الله :: فلما قرأ المأمون الرقعة دعا عمراً فجعل يعجبه من حسن لفظها وايجاز المراد فقال عمرو فما نتيجتها يا أمير المؤمنين قال الكتاب له في هذا الوقت بما وعدناه لئلا يتأخر فضل استحساننا كلامه وبجائزة مائة ألف درهم صلة عن دناءة المطل وسماجة الاغفال ففعل ذلك له :: وحدثنا اسماعيل بن أبي شاكر قال :: لما أصاب أهل مكة السيل الذي شارف الحجر ومات تحته خلق كثير كتب عبيد الله بن الحسن العلوي وهو والي الحرمين الى المأمون :: ان أهل حرم الله وجيران بيته والاف مسجده وعمرة بلاده قد استجاروا بعز معروفك من سيل تراكمت أخرياته في هدم البنيان وقتل الرجال والنسوان واجتياح الأصول وجرف الأثقال حتى ما ترك طارفاً ولا تالداً للراجع اليهما في مطعم ولا ملبس فقد شغلهم طلب الغذاء عن الاستراحة الي البكاء على الأمهات والأولاد والآباء والاجداد فأجرهم يا أمير المؤمنين بعطفك عليهم واحسانك اليهم تجد الله مكافئك عنهم ومثيبك عز الشكر منهم :: قال فوجه اليهم المأمون بالأموال الكثيرة ..وكتب الى عبيد الله أما بعد فقد وصلت شكيتك لأهل حرم الله امير المؤمنين فبكاهم بقلب رحمته وأنجدهم بسيب نعمته وهو متبع ما أسلف اليهم بما يخلفه عليهم عاجلا وآجلا ان أذن الله في تثبيت عزمه على صحة نيته .. قال فصار كتابه هذا آنس لأهل مكة من الأموال التي أنفذها اليهم :: قال وكتب جعفر بن محمد بن الاشعث الى يحيى بن خالد يستعفيه من العمل :: شكري لك على ما أريد الخروج منه شكر من سأل الدخول فيه :: قال وكتب علي بن هشام الى اسحاق بن ابراهيم الموصلي :: ما أدري كيف أصنع أغيب فأشتاق وألتقي ولا أشتفي ثم يحدث لي اللقاء الذي طلبت منه الشفاء نوعا من الحرقة للوعة الفرقة :: قال وكتب معقل الى أبي دلف فلان جميل الحال عند الكرام فان أنت لم ترتبطه بفضلك عليه فعل غيرك .. وكتب أبو هاشم الحربي الى بعض الامراء :: غرضي من الامير معوز والصبر على الحرمان معجز :: وكتب آخر الي صديق له :: أما بعد فقد أصبح لنا من فضل الله ما لا نحصيه مع كثرة ما نعصيه وما ندري ما نشكر أجميل ما نشر أم كثير ما ستر أم عظيم ما أبلى أم كثير ما عفى غير انه يلزمنا في كل الامور شكره ويجب علينا حمده فاستزد الله في حسن بلائه كشكرك على حسن آلائه

﴿ ضدة ﴾

(قال الجاحظ) كتب ابن المراكبي الى بعض ملوك بغداد :: جُعِلْتُ فداك برحته .. قال وقرأت على عنوان كتاب لابي الحسن الشمري .. للموت لنا قبلة .. وقرأت أيضاً على عنوان كتاب .. الى الذي كتبَ إليّ

محاسن الجواب

قال دخل رجل على كسرى ابرويز ..فشكى اليه عاملا غصبه على ضيعة له .. فقال له كسرى منذ كم هي في يدك قال منذ أربعين سنة قال فأنت تأكلها أربعين سنة ماعليك أن يأكل عاملي منها سنة واحدة فقال وما كان على الملك أن يأكل بهرام جور الملك سنة واحدة فقال ادفعوا في قفاه فأخرجوه فلما خرج أمكنته التفاتة فقال دخلت بمظلمة وخرجت بثنتين فقال كسرى ردوه وأمر برد ضيعته وصيّره في خاصته .. ويقال أن سعيد بن مرّة الكندي حين أتى معاوية .. قال له أنت سعيد قال أمير المؤمنين سعيد وأنا ابن مرّة .. قال ودخل السيد بن أنس الازدي على المأمون .. فقال أنت السيد فقال أنت السيد يا أمير المؤمنين وأنا ابن أنس .. قال وقيل للعباس بن عبد المطلب أنت أكبر أم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هو عليه الصلاة والسلام أكبر مني وأنا وُلِدْت قبله .. قال وقال الحجّاج للمهلّب أنا أطول أم أنت قال الامير أطول وأنا أبسط قامة منه .. قيل ووقف المهدي علي امرأة من بني ثُعل فقال لها ممن العجوز قالت من طيء قال ما منع طيأً أن يكون فيها آخر مثل حاتم قالت الذي منع العرب أن يكون فيها آخر مثلك فأعجب بقولها ووصلها .. قيل ولما استوثق أمر العراق لعبد الله بن الزبير وجه مصعب اليه وفداً فلما قدموا عليه قال لهم وددت أن لي بكل خمسة منكم رجلا من أهل الشام فقال رجل من أهل العراق يا أمير المؤمنين عَلِقناك وعَلِقتَ بأهل الشام وعلق أهل الشام بآل مروان فما أعرف لنا مثلا إلا .. قول الاعشى

عُلِّقْتُها عَرَضاً وعُلِّقَتْ رَجلاً غيري وعُلِّقَ أخرى غيرَها الرَّجلُ

فما وجدنا جوابا أحسن من هذا .. قال وقال مسلمة بن عبد الملك .. ما شيء يؤتى العبد بعد الايمان بالله تعالى أحب اليَّ من جواب حاضر فان الجواب اذا اتعقب لم يكن شيئا

﴿ ضـده ﴾

قال اجتمع عند رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبرقان بن بدر وعمرو بن الاهتم فذكر عمرو الزبرقان قال .. بأبي أنت وأمي يا رسول الله انه لمطعام جواد الكف مطاع في أدانيه شديد العارضة مانع لما وراء ظهره .. فقال الزبرقان بأبي أنت وأمي يا رسول الله انه ليعرف مني أكثر من هذا ولكنه يحسدني .. فقال عمرو والله يا نبي الله ان هذا لزَمِرُ المروءة ضيِّق العَطَن لئيم العمِّ أحمق الخال فرأى الكراهية في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اختلف قوله فقال .. يا رسول الله ما كذبت في الأولى ولقد صدقت في الأخرى ولكني رضيت فقلت أحسن ما علمت وسخطت فقلت أسوأ ما أعلم .. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن من البيان لسحرا وإن من الشعر لحكما.. وذكروا ان الوليد بن عقبة قال لعقيل بن أبي طالب .. غلبك عليٌّ على الثروة والعدد .. قال وسبقني وإيَّاك الى الجنة .. قال الوليد أما والله إن شدقيك لتضمخان من دم عثمان .. قال عقيل مالك ولقريش وانما أنت فيهم كنيح الميسر .. فقال الوليد والله اني لأرى لو أن أهل الارض اشتركوا فى قتله لوردوا صَعُوداً .. فقال له عقيل كلاَّ أما ترغب عن صحبة أبيك .. قال وقال رجل من قريش لخالد بن صفوان ما اسمك قال خالد بن صفوان بن الاهتم .. قال ان اسمك لكذب ما أنت بخالد وان أباك لصفوان وهو حجر وان جدك لأهتم والصحيح خير من الأهتم .. قال له خالد من أي قريش أنت .. قال من عبد الدار بن قصيّ بن كلاب .. قال لقد هشمتك هاشم وأمتك أميَّة وجمحت بك جمح وخزمتك مخزوم وأقصتك قصيّ فجعلتك عبد دارها تفتح اذا دخلوا وتغلق اذا خرجوا .. قيل ومرّ الفرزدق فرأى خليفة الشاعر فقال له.. يا أبا فراس من القائل

هُوَ القَيْنُ وابْنُ القَيْنِ لا قَيْنَ مِثْلُهُ   لِقَطْعِ المَسَاحِي أو لجَدْلِ الأَدَاهِمِ

قال الفرزدق الذي يقول

هُوَ اللِّصُّ وابْنُ اللِّصِّ لا لِصَّ مِثْلُهُ   لِنَقْبِ جِدَارٍ أو لِطَرِّ الدَّرَاهِمِ

محاسن حفظ اللسان

قال أكثم بن صيفي .. مقتل الرجل بين فكيه ــ يعني لسانه ــ وقال .. رب قول أشد من صول وقال .. لكل ساقطة لاقطة .. وقال المهلب لبنيه .. اتقوا زلة اللسان فاني وجدت الرجل تعثر قدمه فيقوم من عثرته ويزل لسانه فيكون فيه هلاكه .. قال يونس بن عبيد .. ليست خلة من خلال الخير تكون في الرجل هي أحرى أن تكون جامعة لأنواع الخير كلها من حفظ اللسان .. وقال قسامة بن زهير .. يا معشر الناس ان كلامكم أكثر من صمتكم فاستعينوا على الكلام بالصمت وعلى الصواب بالفكر .. وكان يقال ينبغي للعاقل أن يحفظ لسانه كما يحفظ موضع قدمه ومن لم يحفظ لسانه فقد سلطه على هلاكه .. وقال الشاعر

عَلَيْكَ حِفْظَ اللِّسَانِ مُجْتَهِدًا   فإِنَّ جُلَّ الهَلَاكِ في زَلَلِهِ

غيره

وجُرْحُ السَّيْفِ تأْسُوهُ فيَبْرَا   وجُرْحُ الدَّهْرِ ما جَرَحَ اللِّسَانُ

جِرَاحَاتُ الطِّعَانِ لها الْتِئَامٌ   ولا يَلْتَامُ ما جَرَحَ اللِّسَانُ

غيره

إحفَظْ لِسَانَكَ لا تَقُولُ فتُبْتَلِي   إنَّ البَلَاءَ مُوَكَّلٌ بالمَنْطِقِ

غيره

لَعَمْرُكَ ما شَيْءٌ عَلِمْتُ مَكَانَهُ   أَحَقُّ بِسِجْنٍ مِنْ لِسَانٍ مُذَلَّلِ

عَلى فيكَ ممّا ليسَ يَعنيكَ قولُهُ   بقُفْلٍ شديدٍ حيثُ ما كُنتَ فاقفِلِ

قيل .. تكلم أربعة من الملوك بأربع كلمات كأنما رميت عن قوس واحد .. قال كسري .. أنا على ردّ ما لم أقل أقدر مني على ردّ ما قلت .. وقال ملك الهند .. اذا تكلمت بكلمة ملكتني وإن كنت أملكها .. وقال قيصر .. لا أندم على ما لم أقل وقد ندمت على ما قلت .. وقال ملك الصين .. عاقبة ما قد جرى به القول أشدّ من الندم على ترك القول .. وقال بعضهم .. من حصافة الانسان أن يكون الاستماع أحب اليه من النطق اذا وجد من يكفيه فانه لن يعدم الصمت والاستماع سلامة وزيادة في العلم .. وقال بعض الحكماء .. من قدر على أن يقول فيحسن فانه قادر على أن يصمت فيحسن .. وقال بعضهم .. كان ابن عبيدة الريحاني المتكلم الفصيح صاحب التصانيف يقول .. الصمت أمان من تحريف اللفظ وعصمة من زيغ النطق وسلامة من فضول القول .. وقال أبو عبيد الله كاتب المهدى .. كن على التماس الحظ بالسكوت أحرص منك على التماسه بالكلام .. وكان يقال .. من سكت فسلم كان كمن قال فغنم .. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم .. ان الله تعالى يكره الانبعاق في الكلام يرحم الله امرأً أوجز في كلامه واقتصر على حاجته .. قيل وكلم رجل سقراط عندقتله بكلام أطاله فقال .. أنساني أول كلامك طول عهده فارق آخره فهي لتفاوته .. ولما قدّم ليقتل بكت امرأته فقال .. ما يبكيك قالت تقتل ظلماً قال وكنت تحبين أن أقتل حقاً أو أقتل ظالماً .. وشتم رجل المهلب فلم يجبه فقيل له حلمت عنه فقال ما أعرف مساويه وكرهت أن أبهته بما ليس فيه .. وقال سلمة بن القاسم عن الزبير قال .. جئتُ الى المتوكل وأدخلت عليه فقال يا أبا عبد الله الزم أبا عبد الله — يعني المعتز — حتى تعلمه من فقه المدنيين فأدخلت حجرة فاذا أنا بالمعتز قد أتى في رجله نعل من ذهب وقد عثر به فسال دمه فجعل يغسل الدم .. ويقول

يُصابُ الفتى منْ عثْرة بلسانهِ   وليس يُصابُ المرءُ من عثْرةِ الرِّجلِ

فعثْرَتهُ منْ فيه ترمي برأسهِ   وعثْرتهُ بالرِّجل تبرَا على مهلِ

فقلت في نفسي ضممت الى من أريد أن أتعلم منه

﴿ ضده ﴾

سئل بعض الحكماء عن المنطق فقال •• انك تمدح الصمت بالمنطق ولا تمدح المنطق بالصمت وما عبّر به عن شئ فهو أفضل منه •• وسئل آخر عنهما فقال •• أخزى الله المساكتة ما أفسدها للسان وأجلبها للعي ووالله للمماراة في استخراج حق أهدم للعي من النار في يابس العرفج فقيل له قد عرفت ما في المماراة من الذم فقال ما فيها أقل ضرراً من السكتة التي تورث عللا وتولد داء أيسره العي •• وقال بعض الحكماء ••اللسان عضو فان مرّنته مرن وان تركته حرن •• وممن أفرط في قوله فاستقيل بالحلم •• ماحكى عن شهرام المروزي فانه جرى بينه وبين أبي مسلم صاحب الدولة كلام فما زال أبو مسلم يحاوره الى أن قال له شهرام يا لقطة فصمت ابو مسلم وندم شهرام على ما سبق به لسانه وأقبل معتذراً خاضعاً ومتنصلا فلما رأى ذلك أبو مسلم قال لسان سبق ووهم أخطأ وانما الغضب شيطان والذنب لي لأني جرّأتك على نفسي بطول احتمالي منك فان كنت معتمداً للذنب فقد شركتك فيه وان كنت مغلوبا فالعذر يسعك وقد غفرنا لك على كل حال قال شهرام أيها الملك عفو مثلك لا يكون غروراً قال أجل قال وان عظيم ذنبي لن يدع قلبي يسكن ولج في الاعتذار فقال أبو مسلم يا عجبا كنت تسيء وأنا أحسن فاذ أحسنت أسأت

محاسن كتمان السر

قال كان المنصور يقول •• الملك يحتمل كل شئ من اصحابه الا ثلاثاً إفشاء السر والتعرّض للحرم والقدح في الملك •• وكان يقول سرّك من دمك فانظر من تملكه •• وكان يقول سرّك لا تطلع عليه غيرك وإن من أنفذ البصائر كتمان السرّ حتى يبرم المبروم •• وقيل لأبي مسلم بأي شئ ادركت هذا الامر قال •• ارتديت بالكتمان واتزرت

بالحزم وحالفت الصبر وساعدت المقادير فأدركت طلبتي وحزت بغيتي ٠٠ وأنشد في ذلك

أَدْرَكْتُ بالحزمِ والكتمانِ ما عجزتْ عنهُ ملوكُ بني مروانَ إذْ حشدُوا

ما زلتُ أَسعى عليهمْ في ديارهم والقومُ في ملكهمْ بالشامِ قدْ رقدُوا

حتّى ضربتهمْ بالسيفِ فانتبهوا من نومةٍ لمْ ينمْها قبلهمْ أحدُ

ومنْ رعى غنماً في أرضِ مسبعةٍ ونامَ عنها تولّى رعيها الأسدُ

قال ،، وقال عبد الملك بن مروان للشعبي لما دخل عليه ،، جنبني خصالا اربعاً لا تطريني في وجهي ولا تجربنَّ عليّ كذبة ولا تغتابنَّ عندي احداً ولا تفشين لي سراً ٠٠ وقال النبي صلى الله عليه وسلم ،، استعينوا على إنجاح حوائجكم بكتمان السر فان كلّ ذي نعمة محسود ..وانشد اليزيدي في ذلك

النّجمُ أقربُ منْ سرِّ إذا اشتملتْ منّي على السّرِّ أضلاعٌ وأحشاءُ

غيره

ونفسكَ فاحفظها ولا تفشِ للعدى منَ السّرِّ ما يطوى عليهِ ضميرُها

فما يحفظُ المكتومَ منْ سرِّ أهلهِ إذا عقدُ الأسرارِ ضاعَ كثيرُها

منَ القومِ إلاّ ذو عفافٍ يُعينهُ على ذاكَ منهُ صدقُ نفسٍ وخيرُها

قال معاوية بن أبي سفيان ،، أُعنتُ على عليّ بن أبي طالب بأربع خصال كان رجلا ظهرة علنة لا يكتم سراً وكنت كتوماً لسري وكان لا يسعى حتى يفاجئه الامر مفاجأة وكنت أبادر الى ذلك وكان في أخبث جند وأشدّهم خلافا وكنت في أطوع جند وأقلهم خلافاً وكنت أحب الى قريش منه فلت ما شئت فلله من جامع إلي ومفرق عنه ٠٠ وكان يقال ،، لكاتم سرّه من كتمانه إحدى فضيلتين الظفر بحاجته والسلامة من شره فن أحسن فليحمد الله وله المنة عليه ومن أساء فليستغفر الله ٠٠ وقال بعضهم ،، كتمانك سرك يعقبك السلامة وإفشاؤك سرك يعقبك الندامة والصبر على كتمان السرّ أيسر من الندم على افشائه .. وقال بعضهم ما أقبح بالانسان أن يخاف على ما في يده من اللصوص

ويخفيه ويذكي عدوه من نفسه باظهاره ما في قلبه من سر نفسه وسر اخيه ومن عجز عن تقويم امره فلا يلومن إلا نفسه اذ لم يستقم له •• وقال معاوية ما افشيت سري الى احد الا أعقبني طول الندم وشدة الأسف ولا اودعته جوانح صدري فحكمته بين اضلاعي إلا أكسبني مجداً وذكراً وسناء ورفعة فقيل ولا ابن العاص قال ولا ابن العاص •• وكان يقول •• ما كنت كاتمه من عدوك فلا تظهر عليه صديقك •• وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كتم سره كانت الخيرة في يده ومن عرض نفسه للتهمة فلا يلومن من أساء به الظن وضع أخيك على أحسنه ولا تظنن بكلمة خرجت منه سوءاً ما كنت واجداً لها في الخير مذهباً وما كافأت من عصى الله فيك بأفضل من أن تطيع الله جل أسمه فيه وعليك باخوان الصدق فإنهم زينة عند الرخاء وعصمة عند البلاء ••

وحدث ابراهيم بن عيسى قال •• ذاكرت المنصور ذات يوم في أبي مسلم وصونه السر وكتمه حتى فعل مافعل •• فأنشد

تقسمني أمران لم أفتتحهما ... بحزم ولم تعرك بهما لي الكراكر

وماساور الأحشاء مثل دفينة ... من الهم ردتها اليك المعاذر

وقد علمت أفناء عدنان أنني ... على مثلها مقدامة متجاسر

وقال آخر

صن السر بالكتمان يرضك غبه ... فقد يظهر السر المضيع فيندم

ولا تفشين سراً إلى غير أهله ... فيظهر خرق الشر من حيث يكتم

وما زلت في الكتمان حتى كأنني ... برجع جواب السائلي عنه أعجم

لتسلم من قول الوشاة وتسلمي ... سلمت وهل حي على الدهر يسلم

وقال آخر

أمني تخاف انتشار الحديث ... وحظي في ستره أوفر

ولو لمْ أَصُنْهُ لِبُقْيا عليْكَ نظرْتُ لنفسي كما تنظُرُ

وقال أبو نواس

لا تفشِ أسرارَكَ للنَّاسِ وداوِ أحزانَكَ بالكاسِ

فإنَّ إبليسَ على ما بِهِ أرأفُ بالنَّاسِ منَ النَّاسِ

وقال المبرد .. أحسن ما سمعت فى حفظ اللسان والسر ما روى لأمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب كرم الله وجهه

لعمرُكَ إنَّ وُشاةَ الرِّجا لِ لا يترُكونَ أديماً صحيحا

فلا تُبدِ سرَّكَ إلاَّ إليكَ فإنَّ لكلِّ نصيحٍ نصيحا

وقال العتبي

ولي صاحبٌ سرِّي المُكتَّمُ عندَهُ مَحاريقُ نيرانٍ بليلٍ تحرَّقُ

غدوْتُ على أسرارِهِ فكسوْتُها ثياباً منَ الكتمانِ ما تتخرَّقُ

فمَنْ كانتِ الأسرارُ تطفو بصدرِهِ فأسرارُ صدري بالأحاديثِ تُغرَقُ

فلا تُودِعنَّ الدهرَ سرَّكَ أحمقاً فإنَّكَ إنْ أودعتَهُ منهُ أحمقُ

وحسبُكَ في سترِ الأحاديثِ واعظاً منَ القولِ ما قالَ الأديبُ الموفَّقُ

إذا ضاقَ صدرُ المرءِ عنْ سرِّ نفسه فصدرُ الذي يستودَعُ السرَّ أضيقُ

وقال آخر

لا يكتمُ السرَّ إلاَّ كلُّ ذي خطرٍ والسرُّ عندَ كرامِ النَّاسِ مكتومُ

والسرُّ عنديَ في بيتٍ لهُ غلَقٌ قدْ ضاعَ مفتاحُهُ والبابُ مردومُ

قيل .. دخل أبو العتاهية على المهدي وقد ذاع شعره فى عُتبة فقال ما أحسنت فى حبك ولا أجملت فى إذاعة سرك .. فقال

مَنْ كَانَ يَزْعَمُ أَنْ سَيَكْتُمُ حُبَّهُ — أَوْ يَسْتَطِيعُ السِّتْرَ فَهُوَ كَذُوبُ
الْحُبُّ أَغْلَبُ لِلرِّجَالِ بِقَهْرِهِ — مِنْ أَنْ يُرَى لِلسِّرِّ فِيهِ نَصِيبُ
وَإِذَا بَدَا سِرُّ اللَّبِيبِ فَإِنَّهُ — لَمْ يَبْدُ إِلاَّ وَالْفَتَى مَغْلُوبُ
إِنِّي لَأَحْسُدُ ذَا هَوًى مُسْتَحْفِظاً — لَمْ تَتَّهِمْهُ أَعْيُنٌ وَقُلُوبُ

فاستحسن المهدي شعره وقال .. قد عذرناك على إذاعة سرك ووصلناك على حسن شعرك ان كتمان السر أحسن من إذاعته •• وقال زياد لكل مستشير ثقة وان الناس قد ابتدعت بهم خصلتان اذاعة السر وترك النصيحة وليس للسر موضع إلاأحدرجلين إما آخري يرجو ثواب الله أو دنياوي له شرف في نفسه وعقل يصون به حسبه وهما معدومان في هذا الدهر •• وقال المهلب •• ما ضاقت صدور الرجال عن شيء كما تضيق عن السر •• كما قال الشاعر

وَلَرُبَّمَا كَتَمَ الْوَقُورُ فَصَرَّحَتْ — حَرَكَاتُهُ لِلنَّاسِ عَنْ كِتْمَانِهِ
وَلَرُبَّمَا رُزِقَ الْفَتَى بِسُكُوتِهِ — وَلَرُبَّمَا حُرِمَ الْفَتَى بِبَيَانِهِ

وقال آخر

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَحْفَظْ لِنَفْسِكَ سِرَّهَا — فَسِرُّكَ عِنْدَ النَّاسِ أَفْشَى وَأَضْيَعُ

وقال آخر

لِسَانِي كَتُومٌ لِأَسْرَارِكُمْ — وَدَمْعِي نَمُومٌ لِسِرِّي مُذِيعُ
فَلَوْلَا الدُّمُوعُ كَتَمْتُ الْهَوَى — وَلَوْلَا الْهَوَى لَمْ تَكُنْ لِي دُمُوعُ

***

محاسن المشورة

يقال .. إذا استخار الرجل ربه واستشار نصيحه واجتهد فقد قضى ماعليه ويقضى

الله في أمره ما يحب .. وقال آخر حسن المشورة من المشير قضاء حق النعمة .. وقيل اذا استشرتَ فانصح وإذا قدرت فاصفح .. وقيل من وعظ أخاه سراً زانه ومن وعظه جهراً شانه .. وقال آخر الاعتصام بالمشورة نجاة .. وقال آخر نصف عقلك مع أخيك فاستشره .. وقال آخر اذا أراد الله لعبد هلاكا أهلكه برأيه .. وقال آخر المشورة تقوّم اعوجاج الرأي .. وقال آخر إيّاك ومشورة النساء فان رأيهنّ الى أفن وعزمهنّ الى وهن

﴿ ضدّه ﴾

قال بعض أهل العلم .. لو لم يكن في المشورة الا استضعاف صاحبك لك وظهور فقرك اليه لوجب اطّراح ما تفيدُه المشورة والقاء ما يكسبه الامتنان وما استشرت أحداً إلا كنت عند نفسي ضعيفاً وكان عندي قوياً وتصاغرتُ له ودخلته العزّة فايّاك والمشورة وان ضاقت بك المذاهب واختلفت عليك المسالك وأدّاك الاستبهام الى الخطأ الفادح فان صاحبها أبداً مستذلّ مستضعف وعليك بالاستبداد فان صاحبه أبداً جليل في العيون مهيب في الصدور ولن تزال كذلك ما استغنيت عن ذوي العقول فاذا افتقرت اليها حقرتك العيون ورجفت بك أركانك وتضعضع بنيانك وفسد تدبيرك واستحقرك الصغير واستخف بك الكبير وعُرِفتَ بالحاجة اليهم .. وقيل نعم المستشار العلم ونعم الوزير العقل .. وممن اقتصر على دون المشورة الشعبي فانه خرج مع ابن الأشعث فقُدم به على الحجاج فلقيه يزيد بن أبي مسلم كاتب الحجاج فقال له أشر عليّ فقال لا أدري بما أشير ولكن اعتذر بما قدرت عليه وأشار بذلك عليه كافة أصحابه .. قال الشعبي فلما دخلت خالفت مشورتهم ورأيت والله غير الذي قالوا فسلمت عليه بالإمرة ثم قلت أيّد الله الأمير ان الناس قد امروني ان اعتذر بغير ما يعلم الله أنه الحقّ وايم الله أن لا أقول في مقامي هذا إلا الحق قد جهدنا وحرّضنا فما كنا بالأقوياء الفجرة ولا الأتقياء البررة ولقد نصرك الله علينا وأظفرك بنا فان سطوتَ فبذنوبنا وإن عفوت فبحلمك والحجة لك علينا .. فقال الحجاج أنت والله أحب الينا قولا ممن يدخل علينا

وسيفه يقطر من دمائنا ويقول والله ما فعلت ولا شهدت أنت آمن يا شعبي فقلت أيها الأمير اكتنحات والله بعدك السهر واستحلست الخوف وقطعت صالح الاخوان ولم أجد من الأمير خلفاً .. قال صدقت وانصرفت

محاسن الشكر

قال بعض الحكماء .. صن شكرك عمن لا يستحقه واستر ماء وجهك بالقناعة .. وقال الفضل بن سهل من أحب الازدياد من النعم فليشكر ومن أحب المنزلة فليكنف ومن أحب بقاء عزه فليسقط دالته ومكره .. ومن ذلك قول رجل لرجل شكره في معروف

لَقَدْ ثَبَتَتْ فِي القَلْبِ مِنكَ مَوَدَّةٌ   كَما ثَبَتَتْ فِي الرَّاحَتَيْنِ الأَصابِعُ

قال .. واصطنع رجل رجلاً فسأله يوماً أتحبني يا فلان قال نعم أحبك حباً لو كان فوقك لأظلك أو كان تحتك لأقلك .. وقال كسرى أنو شروان المنعم أفضل من الشاكر لأنه جعل له السبيل الى الشكر .. واختصر حبيب بن أوس هذا في مصراع واحد فقال

لَهانَ عَلَيْنا أَنْ نَقُولَ وَتَفْعَلا

الباهلي عن ابي فروة قال .. مكتوب في التوراة اشكر من انعم عليك وانعم على من شكرك فانه لا زوال للنعم اذا شكرت ولا اقامة لها اذا كفرت والشكر زيادة في النعم وامان من الغير .. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم .. خمس تعاجل صاحبهن بالعقوبة البغي والغدر وعقوق الوالدين وقطيعة الرحم ومعروف لا يشكر .. وانشد الحطيئة عمر وكعب الأحبار عنده

مَنْ يَفْعَلِ الخَيْرَ لا يَعْدَمْ جَوازِيَهُ   لا يَذْهَبُ العُرْفُ بَيْنَ اللهِ والنّاسِ

فقال كعب .. يا أمير المؤمنين من هذا الذى قال هذا فانه مكتوب فى التوراة فقال عمر كيف ذلك قال في التوراة مكتوب .. من يصنع الخير لا يضيع عندي لا يذهب العرف بيني وبين عبدى .. وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أليس قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فما هذا الاجتهاد فقال .. أفلا أكون عبداً شكوراً .. وفي الحديث ان رجلا قال فى الصلاة خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم .. اللهم ربنا لك الحمد حمداً مباركا طيبا زكياً فلما انصرف صلى الله عليه وسلم قال أيكم صاحب الكلمة قال أحدهم أنا يا رسول الله فقال لقد رأيت سبعة وثلاثين ملكا يبتدرون أيهم يكتبها أولا .. وقيل نسيان النعمة أول درجات الكفر .. وقال أمير المؤمنين على رضي الله عنه المعروف يكفّر من كفره لأنه يشكرك عليه أشكر الشاكرين .. وقد قيل فى ذلك

يدُ المعروفِ غُنْمٌ حيثُ كانتْ ... تَحَمَّلَها كَفُورٌ أمْ شَكُورُ
فعِنْدَ الشاكِرينَ لها جَزَاءٌ ... وعِنْدَ اللهِ ما كَفَرَ الكَفُورُ

.. وقال بعض الحكماء ما أنعم الله على عبد نعمة فشكر عليها إلا ترك حسابه عليها .. وقال بعض الحكماء عند التراخي عن شكر النعم تحل عظائم النقم :: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيراً ما يقول لعائشة ما فعل بيتك فتنشده

يَجْزِيكَ أو يُثْنِي عليكَ وإنَّ مَنْ ... أثْنى عليكَ بما فَعَلْتَ كَمَنْ جَزَى

فيقول صلى الله عليه وسلم صدق القائل يا عائشة إن الله إذا أجرى على يد رجل خيراً فلم يشكره فليس لله بشاكر :: وقيل لذى الرمة لم خصصت بلال بن أبي بردة بمدحك قال .. لأنه وطأ مضجعي وأكرم مجلسي وأحسن صلتي فحق لكثير معروفه عندي أن يستولي على شكرى :: ومنهم من يقدم ترك مطالبة الشكر وينسبه الى مكارم الاخلاق :: من ذلك ما قاله بزرجمهر من انتظر بمعروفه شكرك عاجل المكافأة :: وقال بعض الحكماء إن الكفر يقطع مادة الانعام فكذلك الاستطالة بالصنيعة تمحق الأجر .. وقال على بن عبيدة من المكارم الظاهرة وسنن النفس الشريفة ترك طلب الشكر

على الاحسان ورفع الهمة عن طلب المكافأة واستكثار القليل من الشكر واستقلال الكثير مما يبذل من نفسه •• وفي فصل من كتاب ولست أقابل أياديك ولا استديم احسانك إلا بالشكر الذي جعله الله للنعم حارساً وللحق مؤدياً وللمزيد سبباً

﴿ ضده ﴾

قال بعض الحكماء .. المعروف الى الكرام يعقب خيراً والى اللئام يعقب شراً ومثل ذلك مثل المطر يشرب منه الصدف فيعقب لؤلؤا وتشرب منه الأفاعي فيعقب سماً •• وقال سفيان وجدنا أصل كل عداوة اصطناع المعروف الي اللئام •• وقال أثار جماعة من الأعراب ضبعاً فدخلت خباء شيخ منهم فقالوا أخرجها فقال ما كنت لأفعل وقد استجارت بي فانصرفوا وقد كانت هزيلا فأحضر لها لقاحاً وجعل يسقيها حتى عاشت فنام الشيخ ذات يوم فوثبت عليه فقتلته •• فقال شاعرهم في ذلك

ومَنْ يَصنعِ المَعْرُوفَ مع غيرِ أهلهِ ... يُلاقِ الذي لاقى مُجيرُ أمِّ عامرِ

أقامَ لها لمَّا أناختْ ببابهِ ... لِتَسمَنَ ألبانَ اللِّقاحِ الدَّرائرِ

فأسْمَنَها حتَّى إذا ما تمكَّنَتْ ... فَرَتْهُ بأنيابٍ لها وأظافرِ

فقُلْ لِذَوِي المَعْرُوفِ هذا جزاءُ مَنْ ... يَجُودُ بإحسانٍ إلى غيرِ شاكرِ

قيل •• وأصاب إعرابي جرو ذئب فاحتمله الى خبائه وقرّب له شاة فلم يزل يمتص من لبنها حتى سمن وكبر ثم شدّ على الشاة فقتلها •• فقال الاعرابي يذكر ذلك

غَذَتْكَ شُوَيْهَتِي ونَشأْتَ عِندِي ... فَمَنْ أدراكَ أنَّ أباكَ ذِيبُ

فَجَعْتَ نُسَيَّةً وصِغارَ قَوْمٍ ... بِشاتِهِمُ وأنتَ لها رَبِيبُ

إذا كانَ الطِّباعُ طِباعَ سوءٍ ... فليسَ بنافعٍ أدبُ الأديبِ

وفي المثل •• سَمِّنْ كلبك يأكُلكَ •• وأنشد

هُمُ سَمَّنُوا كلباً ليأكلَ بعضَهُمْ ولو عَمِلوا بالحَزْمِ ما سَمَّنُوا كلباً

وقال آخر

وإني وقيساً كالمُسَمِّنِ كلبَهُ فخَدَّشَهُ أنيابُهُ وأظافِرُهُ

ويضرب المثل بسنمار .. وكان بنى للنعمان بن المنذر الخورنق فأعجبه وكره أن يبنى لغيره مثله فرمى به من أعلاه فمات .. فقيل فيه

جَزَينا بني سَعْدٍ بحُسْنِ بلائهمْ جزاءَ سِنِمَّارٍ وما كانَ ذا ذَنْبِ

وقال بشار (١)

أُثْني عليكَ ولي حالٌ تُكَذِّبُني فيما أقولُ فأستحيي منَ النّاسِ

قد قلتُ إنّ أبا حفصٍ لأكرمُ مَنْ يَمشي فخاصَمَني في ذاكَ إفلاسِي

حتّى إذا قيلَ ما أعطاكَ من صَفَدٍ طأطأتُ مِنْ سُوءِ حالي عندَها راسي

ولأبي المهول

كأنّي إذْ مَدَحْتُكَ يا ابنَ مَعْنٍ رآني النّاسُ في رَمَضانَ أزْني

فإنْ أشْرُحْتُ عنكَ بغيرِ شيءٍ فلا تفرَحْ كذلكَ كانَ ظنّي

وقال آخر

لحى اللهُ قوماً أعجبتهمْ مدائحي فقالوا مقالاً في مَلامٍ وفي عَتْبِ

أبا حازمٍ تمدَحْ فقلتُ معذّراً هبوني امرأً جرّبتُ سيفي في كلبِ

وقال آخر

عثمانُ يعلمُ أنّ الحمدَ ذو ثمنٍ لكنّهُ يشتهي حمداً بمجّانِ

والنّاسُ أكيسُ منْ أنْ يَمدحوا رجلاً حتّى يروا عندَهُ آثارَ إحسانِ

---

(١) — المشهور ان الأبيات لأبي العتاهية .. وأولها

يا ابن العلاء ويا ابن القرم مرداس إني أثيتك في صحبي وجلاسي

وقال آخر :

يحبُّ المديحَ أبو خالدٍ ويغضبُ من صلةِ المادحِ
كبكرٍ تحبُّ لذيذَ النكاحِ وتجزعُ من صولةِ الناكحِ

وقال آخر

ولو كانَ يستغني عن الشكرِ سيّدٌ لعزّةِ ملكٍ أو علوِّ مكانِ
لما أمرَ اللهُ العبادَ بشكرهِ فقالَ اشكروني أيُّها الثقلانِ

محاسن الصدق

قال بعض الحكماء .. عليك بالصدق فما السيف القاطع فى كف الرجل الشجاع بأعز من الصدق والصدق عز وإن كان فيه ما تكره والكذب ذل وإن كان فيه ما تحب ومن عرف بالكذب اتهم في الصدق .. وقيل الصدق ميزان الله الذي يدور عليه العدل والكذب مكيال الشيطان الذى يدور عليه الجور .. وقال ابن السماك ما أحسبنى أوجر على ترك الكذب لأنى أتركه أنفة .. وقال آخر لو لم يترك العاقل الكذب إلا مروءة لكان بذلك حقيقاً فكيف وفيه المأثم والعار .. وقال الشعبي عليك بالصدق حيث ترى انه يضرك فانه ينفعك واجتنب الكذب حيث ترى انه ينفعك فانه يضرك .. وقال بعضهم الصدق عز والكذب خضوع .. ومدح قوم بالصدق منهم ابو ذر رضى الله عنه فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ،، ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء ولا طلعت الشمس على ذى لهجة أصدق من أبى ذر ،، ومنهم العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه فانه روي انه اطلع على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده جبريل فقال له جبريل هذا عمك العباس قال نعم قال ان الله تعالى يأمرك أن تقرأ عليه السلام وتعلمه أن اسمه عند الله الصادق وان له شفاعة يوم القيامة فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فتبسم فقال ان شئت أخبرتك مما به تبسمت وان شئت أن تقول

فقل فقال بل تعلمني يا رسول الله فقال .. لأنك لم تحاسب بجيباً في جاهلية ولا اسلام برة ولا فاجرة ولم تفسل لسائل لا .. قال والذي بعثك بالحق نبياً ما تبسمت إلا لذلك .. ويروى ان رجلا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال .. اني استسرّ بخلال الزنا والسرقة وشرب الخمر والكذب فأيهن أحببتَ تركته .. قال دع الكذب فمضى الرجل فهمّ بالزنا فقال يسألني رسول الله صلى الله عليه وسلم فان جحدت نقضت ما جعلته له وان أقررت حُدِدْت فلم يزن فهمّ بالسرقة وشرب الخمر ففكر في ذلك فرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له قد تركتهن أجمع .. فأمّا من رُخّصَ له في الكذب فيروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال .. لا يصلح الكذب إلا في ثلاث كذب الرجل لأهله ليرضيها وكذب في إصلاح ما بين الناس وكذب في حرب .. وروي عن المغيرة بن ابراهيم انه قال .. لم يرخّص لأحد في الكذب إلا للحجاج ابن عِلاط فانه لما فُتحت خيبر قال يا رسول الله ان لي عند امرأة من قريش وديعة فأذن لي يا رسول الله أن أكذب عليك كذبة لعلي أستلّ وديعتي فرخّص له في ذلك فقدم مكة فأخبرهم انه ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم أسيراً في أيديهم يأتمرون فيه فقائل يقول يقتل وقائل يقول لا بل يبعث به الى قومه فتكون مِنّةً فجعل المشركون يتباشرون بذلك ويسيئون العبّاس عمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم والعبّاس يريهم التجمل وأخذ الرجل وديعته فاستقبله العباس وقال ويحك ما الذي أخبَرت به فأعلمه السبب ثم أخبره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد فتح خيبر ونكح صفية بنت حيي ابن أخطب وقتل زوجها وأباها .. ثم قال اكتم عليّ اليوم وغداً حتى أمضي ففعل ذلك فلمّا مضى يومان أخبرهم العباس بالذي أخبره فقالوا من أخبرك بهذا قال من أخبركم بضده

﴿ ضـدّه ﴾

قيل .. وجد في بعض كتب الهند ليس لكذوب مروءة ولا لضجور رياسة ولا لملول وفاء ولا لبخيل صديق .. وقال قتيبة بن مسلم لا تطلبن الحوائج من كذوب

فانه يقربها وإن كانت بعيدة ويبعدها وإن كانت قريبة ولا الى رجل قد جعل المسألة مأكلة فانه يقدم حاجته قبلها ويجعل حاجتك وقاية لها ولا إلى أحمق فانه يريد نفعك فيضرك .. وقيل أمران لا ينفكان من كذب كثرة المواعيد وشدة الاعتذار .. وقيل كفاك موبخاً على الكذب علمك بأنك كاذب .. وقال رجل لأبي حنيفة ما كذبت قط قال أما هذه فواحدة .. وفى المثل هو أكذب من أخيذ السند ،، وذلك انه يؤخذ الحبيس منهم فيزعم انه ابن الملك .. وكذلك يقال أكذب من سياح خراسان ،، لأنهم يجتازون في كل بلد ويكذبون للسؤال والمسألة .. ويقال هو أكذب من الشيخ الغريب ،، وذلك انه يتزوج فى الغربة وهو ابن سبعين سنة فيزعم انه ابن أربعين .. ويقال هو أكذب من مسيلمة وبه يضرب المثل .. ومما قيل فى ذلك من الشعر

حَسْبُ الكَذُوبِ منَ البَلِيَّـةِ بَعْضُ ما يُحْكى عليهِ
ما إنْ سَمِعْتُ بكِذْبةٍ مِنْ غيرِه نُسِبَتْ إليهِ

وقال آخر

لقد أَخْلَفْتني وحَلَفْتَ حتَّى إخالُكَ قدْ كَذَبْتَ وإنْ صَدَقْتَا
ألَا لا تَحْلِفَنَّ على كلامٍ فأَكْذَبُ ما تكونُ إذا حَلَفْتَا

وقال آخر

قدْ كُنْتُ أُنْجِزُ دَهراً ما وَعَدْتُ إلى أنْ أتلفَ الوَعدُ ما جمعتُ مِنْ نَشَبِ
فإنْ أكُنْ صرتُ في وعْدِي أخا كَذِبٍ فنُصْرةُ الصِّدْقِ أفضَتْ بي إلى الكَذِبِ

قال الأصمعي ــ قال الخليل بن سهل .. يا أبا سعيد أعلمت أنّ طول رمح رستم كان سبعين ذراعا من حديد مُصْمَت فى غلظ الراقود فقلت هاهنا اعرابي له معرفة فاذهب بنا اليه نحدّثه بهذا فذهبت به الى الاعرابيّ نحدّثه فقال الاعرابي ،، قد سمعت بذلك وبلغنا أن رستم هذا كان هو واسفنديار أتيا لقمان بن عاد بالبادية فوجداه نائماً

ورأسه في حجر أمه فقالت لهما ما شأنكما فقالا بلغنا شدة هذا الرجل فأتيناه فالقيه فزعا من كلامهما ففضحهما فألقاهما الى أصبهان فقبرهما اليوم بها .. فقال الخليل قبحك الله ما أكذبك قال يا ابن أخي ما يؤذنا شيئاً إلا وهو دون الراقود ٠٠ قيل وقدم بعض العمال من عمل فدعا قوماً الى طعامه وجعل يحدثهم بالكذب فقال بعضهم .. نحن كما قال الله عز وجل (سَمَّاعونَ للكَذِبِ أكَّالُونَ للسُّحتِ) ٠٠ قيل وكان رجال من أهل المدينة من بين فقيه وراوية وشاعر يأتون بغداد فيرجعون بحظوة وحال حسنة فاجتمع عدة منهم فقالوا لصديق لهم لم يكن عنده شيء من الأدب .. لو أتيت العراق فلعلك أن تصيب شيئاً .. قال أنتم أصحاب آداب تلتمسون بها .. فقالوا نحن نحتال لك فأخرجوه فلما قدم بغداد طلب الاتصال بعلي بن يقطين وشكا اليه الحاجة فقال ماعندك من الأدب فقال ليس عندي من الأدب شيء غير اني أكذب الكذبة وأخيل الى من يسمعها اني صادق وكان ظريفاً مليحاً فأعجب به وعرض عليه مالا فأبى أن يقبله وقال ما أريد منك الا أن تسهل أذني وتدني مجلسي قال ذاك لك وكان من أقرب الناس اليه مجلساً حتى عرف بذلك .. وكان المهدي قد غضب على رجل من القواد واستصفى ماله وكان يختلف الي علي بن يقطين رجاء أن يكلم له المهدى وكان يرى قرب المديني ومكانه من علي فأتى المديني القائدَ عشياً فقال ما البشرى قال لك البشرى وحكمك قال أرسلني علي بن يقطين اليك وهو يقرؤك السلام ويقول قد كلمت أمير المؤمنين في أمرك ورضي عنك وأمر برد مالك وضياعك ويأمرك بالغدو اليه لتغدوا معه الي أمير المؤمنين متشكراً فدعا له الرجل بألف دينار وكسوة وحُملاَن وغدا على علي مع جماعة من وجوه العسكر متشكراً فقال له علي وما ذاك قال أخبرني أبو فلان ـ وهو الي جنبه ـ كلامك أمير المؤمنين في أمري ورضاه عني فالتفت الي المديني وقال ما هذا فقال أصلحك الله هذا بعض ذلك المتاع نشرناه فضحك علي وقال علي بدابتي وركب الي المهدي وحدثه الحديث فضحك المهدي وقال .. إنا قد رضينا عن الرجل ورددنا عليه ماله .. وأجرى على المديني رزقاً واسعاً واستوصى به خيراً ثم وصله ٠٠ وكان يعرف بكذاب أمير المؤمنين

محاسن العفو

قيل .. أسر مصعب بن الزبير رجلا من أصحاب المختار فأمر بضرب عنقه فقال .. أيها الأمير ما أقبح بك أن أقوم يوم القيامة الي صورتك هذه الحسنة فاتعلق باطرافك وأقول رب سل مصعباً فيمَ قتلني فقال أطلقوه .. فقال أيها الأمير اجعل ما وهبت لي من عمري في خفض عيش .. فقال أعطوه مائة ألف درهم .. قال بأبي أنت وأمي اشهدك أن لابن قيس الرُّقيّات منها خمسين ألفاً قال لِمَ قال لقوله فيك

إنَّما مُصْعَبٌ شِهابٌ منَ اللّـهِ تَجَلَّتْ عَنْ وَجْهِهِ الظَّلْماءُ

مُلْكُهُ مُلْكُ رأْفةٍ ليسَ فيهِ جَبَرُوتٌ ولا لهُ كبرياءُ

فضحك مصعب وقال.. لقد تلطّفت وإنّ فيك لموضعاً للصنيعة وأمر له بالمائة ألف ولابن قيس الرُّقيات بخمسين ألف درهم .. قيل وأمر الرشيد يحيي بن خالد بحبس رجل جنَى جناية فحبسه ثم سأل عنه الرشيد فقيل هو كثير الصلاة والدعاء فقال للموكل به عرّض له بان تكلمني وتسألني اطلاقه فقال له الموكل ذلك فقال قل لأمير المؤمنين إن كل يوم يمضي من نعمتك ينقص من محنتي والأمر قريب والموعد الصراط والحاكم الله فخرّ الرشيد مغشياً عليه ثم أفاق وأمر باطلاقه .. وقيل ظفر المأمون برجل كان يطلبه فلما دخل عليه قال يا عدو الله انت الذي تفسد في الأرض بغير الحق ياغلام خذه اليك فاسقه كأس المنية فقال يا امير المؤمنين ان رأيت ان تبقيني حتى تؤيدك بمال قال لاسبيل الى ذلك فقال يا امير المؤمنين فدعني انشدك ابياتا قال هات فانشده

زعموا بأنَّ البازَ علّقَ مرّةً عصفورُ برّ ساقهُ المقدُورُ

فتكلّمَ العصفورُ تحتَ جناحهِ والبازُ منقضٌ عليهِ يطيرُ

ما بي لمَا يُغْني لمثلكَ شُبْعةً ولئنْ أُكلتُ فإنّني لحقيرُ

فتبسّمَ البازُ المُدِلُّ بنفسهِ كرماً وأطلقَ ذلكَ العصفورُ

فقال له المأمون .. أحسنت ما جرى ذلك على لسانك إلا لبقية بقيت من عمرك فأطلقه وخلع عليه ووصله ●● وعن بعضهم ان والياً أتي برجل جنى جناية فأمر بضربه فلما مُدّ قال .. بحق رأس أمك الا ما عفوت عني .. قال أوجع فقال .. بحق خديها ونحرها قال أضرب قال بحق ثدييها قال أضرب قال بحق سرتها قال ويلكم دعوه لايجدر قليلا ●● وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال .. إن الرجل اذا ظُلم فلم ينتصر ولم يجد من ينصره فرفع طرفه الى السماء ودعا قال الله له لبيك عبدى أنصرك عاجلا وآجلا .. وقال صلى الله عليه وسلم في قولهم .. انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً .. وقد سئل عن ذلك فقيل .. أنصره مظلوماً فكيف أنصره ظالماً فقال .. تمنعه من الظلم فذلك نصرك اياه .. وقال فُضيل بن عياض بكى أبي فقلت ما يبكيك فقال .. أبكي على ظالمي ومن أخذ مالي أرحمه غداً اذا وقف بين يدى الله عزّ وجلّ وسأله فلا تكون له حجّة ..وقال الحسن البصرى أيها المتصدّق على السائل برحمه ارحم أولا من ظلمت .. وروى عن عبد الله بن سلام قال .. قرأت في بعض الكتب قال الله عزّ وجلّ إذا عصاني من يعرفني سلّطت عليه من لا يعرفني .. قال خالد بن صفوان إياكم ومجانيق الضعفاء — يعني الدعاء —

﴿ ضدّه ﴾

قيل .. لما قالت التغلبية للجحّاف بن حكيم السلمي في وقعته .. بالبشر فوّض الله عمادك وأطال سُهادك وأقلّ رقادك والله ان قتلت إلا نساء أسافلهن دُمِيّ وأعاليهن ثُدِيّ .. فقال لمن حوله لولا أن تلد مثلها لخلّيت سبيلها فبلغ ذلك الحسن البصرى فقال .. أمّا الجحّاف فجذوة من نار جهنم .. قال ولما بنى زياد بناء البصرة أمر أصحابه أن يسمعوا من أفواه الناس فأتيَ برجل تلا آية ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴾ قال وما دعاك الى هذا قال آية من كتاب الله عزّ وجلّ خطرت على بالي فتلوتها قال والله لأعملن فيك بالآية الثانية ﴿ وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ

جبّارين) ثم أمر به فبني عليه ركن من أركان القصر .. قال وبعث زياد الى رجل من بني تميم فقال أخبروني بصلحاء كل ناحية فأخبروه فاختار منهم رجالاً فضمنهم الطريق .. وقال لو ضاع بيني وبين خراسان حبل لعلمت من لقطه .. وكان يدفن الناس أحياء وينزع أضلاع اللصوص .. قال وقال عبد الملك للحجاج كيف تسير في الناس قال .. انظر الى عجوز أدركت زياداً فاسألها عن سيرته فاعمل بها .. فأخذ والله بسنته حتى ما ترك منها شيئاً .. وذكروا أن الحجاج لما أتى المدينة أرسل الى الحسن بن الحسن رضي الله عنه فقال هات سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم ودرعه قال لا أفعل قال فجاء الحجاج بالسيف والسوط فقال والله لأضربنك بهذا السوط حتى أقطعه ثم لأضربنك بهذا السيف حتى تبرد أو تأتيني بهما فقال الناس يا ابا محمد لا تعرض لهذا الجبار قال فجاء الحسن بسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم ودرعه فوضعهما بين يدي الحجاج فأرسل الحجاج الى رجل من بني أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له هل تعرف سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم فخلطه بين أسيافه ثم قال اخرجه ثم جاء بالدرع فنظر اليها ثم قال هناك علامة كانت على الفضل بن العباس يوم اليرموك فطعن بحربة فخرقت الدرع فعرفناها فوجد الدرع على ما قال فقال الحجاج اما والله لو لم تجئني به وجئت بغيره لضربت به رأسك .. وذكروا ان الحجاج قال ذات ليلة لحاجبه .. أعسس بنفسك فمن وجدته فجئني به فلما أصبح أتاه بثلاثة فقال .. أصلح الله الأمير ما وجدت الا هؤلاء الثلاثة .. فقال الحجاج لواحد منهم ما كان سبب خروجك بالليل وقد نادي المنادي أن لا يخرج أحد بالليل قال .. أصلح الله الأمير كنت سكران فغلبني السكر فخرجت ولا أعقل .. ففكر ساعة ثم قال .. سكران غلبه سكره خلوا عنه لا تعودن .. ثم قال للآخر فانت ما سبب خروجك قال .. أصلح الله الأمير كنت مع قوم في مجلس يشربون فوقعت بينهم عربدة فخفت على نفسي فخرجت .. ففكر الحجاج ساعة فقال .. رجل أحب السلامة خلوا عنه .. ثم قال للآخر ما كان سبب خروجك فقال .. لي والدة عجوز وأنا رجل حمال فرجعت الى بيتي فقالت والدتي ما ذقت الي هذا الوقت طعاماً ولا ذواقا فخرجت ألتمس لها ذلك فأخذني العسس .. ففكر ساعة ثم قال .. يا غلام أضرب

عنقه فاذا رأسه بين رجليه

محاسن الصبر على الحبس

قال الكسروي .. وقع كسرى بن هرمز الى بعض المحبّسين من صبر على النازلة كان كمن لم تنزل به ومن طوّل في الحبل كان فيه عطبه ومن أكل بلا مقدار تلفت نفسه .. قيل ودخل ابن الزيّات على الافشين وهو محبوس .. فقال يخاطبه

إصبِرْ لها صبْرَ أقوامٍ نفوسهمُ   لا تستريحُ إلى عقلٍ ولا قَوَدِ

فقال الافشين .. من صحب الزمان لم ينج من خيره أو شره ووجد الكرامة والهوان .. ثم قال

لم يَنجُ مِنْ خيرِها أوْ شرِّها أحدٌ   فاذْكُرْ شَوائبَها إنْ كُنتَ مِنْ أحَدِ

خاضَتْ بكَ المَنيّةُ الحمقاءُ غمرَتَها   فتلكَ أمْواجُها تَرْميكَ بالزَّبَدِ

ولعليّ بن الجهم لما حبسه المتوكل

قالتْ حُبِستَ فقلتُ ليسَ بضائري   حَبسي وأيُّ مُهَنّدٍ لا يُغمَدُ

أوَ ما رَأيتِ الليثَ يألفُ غيلَهُ   كِبرًا وأوْباشُ السّباعِ تَرَدَّدُ

والنارُ في أحجارِها مَخبُوءةٌ   لا تُصطلى إنْ لمْ تُثِرْها الأزْنُدُ

والبَدْرُ يُدرِكُهُ الظلامُ فتنجلي   أيّامُهُ وكأنّهُ مُتجدِّدُ

والزّاعبيّةُ لا يُقيمُ كُعوبَها   إلاّ الثِّقافُ وجذوةٌ تتوقّدُ

غِيَرُ الليالي بادِئاتٌ عُوَّدٌ   والمالُ عاريةٌ يُفادُ ويَنفَدُ

لا يُؤْيِسنّكَ مِنْ تَفرُّجِ كُرْبَةٍ   خطبٌ أتاكَ بهِ الزّمانُ الأنكَدُ

فلكلِّ حالٍ مُعقِبٌ ولرُبّما   أجلى لكَ المكرُوهُ عمّا تحمَدُ

كم مِنْ عَليلٍ قد تخطّاهُ الرّدَى ... فنجَا وماتَ طَبيبُهُ والعُوَّدُ
صَبْرًا فإنَّ اليومَ يعقبُهُ غَدٌ ... ويَدُ الخلافةِ لا تُطاوِلُها يَدُ
والحبْسُ ما لمْ تغشَهُ لِدَنيّةٍ ... شَنعاءَ نِعمَ المنزِلُ المُتَوَرَّدُ
لوْ لمْ يكُنْ في الحبْسِ إلاّ أنّهُ ... لا يَستذِلُّكَ بالحِجابِ الأعبُدُ
بيتٌ يُجدِّدُ للكريمِ كرامةً ... ويُزارُ فيهِ ولا يَزُورُ ويُحمَدُ
أبلغْ أميرَ المؤمنينَ ودونَهُ ... خوفُ العِدَى ومخاوفٌ لا تَنفَدُ
أنتمْ بنو عَمِّ النّبيِّ محمّدٍ ... أولَى بما شَرَعَ النّبيُّ محمّدُ
ما كانَ مِنْ حُسنٍ فأنتمْ أهلُهُ ... كرُمَتْ مغارِسُكمْ وطابَ المَحتِدُ
أمِنَ السّويّةِ يا ابنَ عمِّ محمّدٍ ... خصمٌ تُقرّبُهُ وآخرُ يُبعَدُ
يا أحمدَ بنَ أبي دُؤادٍ إنّما ... تُدعَى لكلِّ كريهةٍ يا أحمدُ
إنَّ الذينَ سعَوْا إليكَ بباطلٍ ... أعداءُ نعمتِكَ التي لا تُجحَدُ
شهِدُوا وغِبْنا عنهمُ فتحكّموا ... فينا وليسَ كغائبٍ مَنْ يَشهَدُ
لو يَجمعُ الخُصماءَ عندَكَ منزلٌ ... يومًا لبانَ لكَ الطّريقُ الأرْشدُ
والشّمسُ لولا أنّها محجوبةٌ ... عن ناظِرَيكَ لَما أضاءَ الفرْقدُ

﴿ ضد ﴾

•• أنشدنا عاصم بن محمد الكاتب لنفسه لما حبسه احمد بن عبد العزيز بن ابي دلف . قوله

قالتْ حُبستَ فقلتُ خطبٌ أنكدُ ... أنحَى عليَّ بهِ الزّمانُ المُرصِدُ

لو كُنتُ حرًّا كانَ سَرْبي مُطْلَقاً ... ما كُنتُ أُحبَسُ عَنوةً وأُقيَّدُ
لو كُنتُ كالسَّيفِ المُهنَّدِ لم يكنْ ... وَقتَ الكَريهةِ والشَّدائدِ يُغمَدُ
لو كُنتُ كالليثِ الهَصورِ لَمَا رَعَتْ ... فيَّ الذِّئابُ وجَذْوتي تَتَوقَّدُ
مَنْ قالَ إنَّ الحَبسَ بيتُ كَرامةٍ ... فمُكاشِرٌ في قولِهِ مُتَجلِّد
ما الحَبسُ إلاَّ بيتُ كُلِّ مَهانةٍ ... ومَذَلَّةٍ ومَكارِهٍ لا تَنفَد
إن زارَني فيهِ العَدُوُّ فشامِتٌ ... يُبدِي التَّوَجُّعَ تارةً ويُفَنِّد
أو زارَني فيهِ المُحِبُّ فمُوجَعٌ ... يُذْري الدُّموعَ بزَفرةٍ تَتَردَّد
يَكفيكَ أنَّ الحَبسَ بيتٌ لا يُرَى ... أحَدٌ عليهِ من الخَلائقِ يُحسَد
تَمضي اللَّيالي لا أذوقُ لِرَقْدَةٍ ... طَعماً وكيفَ يَذوقُ مَنْ لا يَرْقُد
في مُطْبَقٍ فيهِ النَّهارُ مُشاكِلٌ ... لِلَّيلِ والظُّلُماتُ فيهِ سَرْمَد
فإلى مَتَى هذا الشَّقاءُ مُؤَكَّدٌ ... وإلى مَتَى هذا البَلاءُ مُجَدَّد
ما لي مُجيرٌ غيرُ سَيِّديَ الذي ... ما زالَ يَكفُلُني فنِعْمَ السَّيِّد
غَذِيَتْ حُشاشةُ مُهجَتي بنَوافِلٍ ... مِنْ سَيْبِهِ وصَنائعٍ لا تُجحَد
عِشرينَ حَولاً عِشتُ تحتَ جَناحِهِ ... عَيشَ المُلوكِ وحالَتي تَتَزيَّد
فخَلا العَدُوُّ بِعِرْضِي مِنْ قَلْبِهِ ... فحَشاهُ جَمراً نارُهُ تَتَوَقَّد
فاغْفِرْ لِعَبدِكَ ذَنبَهُ مُتَطَوِّلاً ... فالحِقدُ مِنكَ سَجيَّةٌ لا تُعهَد
واذْكُرْ خَصائِصَ خِدْمَتي ومَقاوِمي ... أيَّامَ كُنتُ جَميعَ أمرِي تَحمَدُ

•• وقال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنهم

خرجنا من الدنيا ونحن من أهلها   فلسنا من الأموات فيها ولا الأحيا
إذا دخل السجان يوماً لحاجة   عجبنا وقلنا جاء هذا من الدنيا
ونفرح بالرؤيا فجلّ حديثنا   إذا نحن أصبحنا الحديث عن الرؤيا
فإن حسنت كانت بطيئاً مجيئها   وإن قبحت لم تنتظر وأتت سعيا

وقال آخر

ألا أحد يدعو لأهل محلة   مقيمين في الدنيا وقد فارقوا الدنيا
كأنهم لم يعرفوا غير دارهم   ولم يعرفوا غير الشدائد والبلوى

وقال ابن المعتز

تعلمت في السجن نسج التكك   وكنت امرأ قبل حبسي ملك
وقيدت بعد ركوب الجياد   وما ذاك إلا بدور الفلك
ألم تبصر الطير في جوها   تكاد تلاصق ذات الحبك
إذا أبصرته خطوب الزمان   أوقعنه في حبال الشرك
فهذاك من حالق قد يصاد   ومن قعر بحر يصاد السمك

** ووجد في البيت الذي قتل فيه مكتوب بخطه على الأرض

يا نفس صبراً لعل الخير عقباك   خانتك بعد طوال الأمن دنياك
مرت بنا سحراً طير فقلت لها   طوباك يا ليتني إياك طوباك

وقال اعرابي

ولما دخلت السجن كبّر أهله   وقالوا أبو ليلى الغداة حزين
وفي الباب مكتوب على صفحاته   بأنك تنزو ثم سوف تلين

وفى الحديث المرفوع .. ان يوسف عليه السلام شكى الى الله تعالى طول الحبس فأوحى اليه أنت حبست نفسك حين قلت (رَبِّ السِجْنُ أحَبُّ إليَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إليه) ولو قلت العافية أحب إليَّ لعوفيت .. قال وكتب يوسف عليه السلام على باب السجن " هذه منازل البلوى وقبور الأحياء وشماتة الأعداء وتجربة الأصدقاء

محاسن المودة

قال بعض الحكماء .. ليس للانسان نعم الا بمودات الاخوان .. وقال آخر الازدياد من الاخوان زيادة فى الآجال وتوفير لحسن الحال .. وقيل عاشروا الناس معاشرة ان عشتم حنوا اليكم وإن متم بكوا عليكم .. وقال .

قد يَمكثُ النَّاسُ حيناً ليس بينَهُمُ ... وِدٌّ فيزرَعُهُ التَّسليمُ واللطفُ
يسلى الشقيقين طولُ النأيِ بينهما ... وتلتقي شُعَبٌ شتّى فتأتلفُ

وقال علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه لابنه الحسين .. ابذل لصديقك كل المودة ولا تطمئن اليه كل الطمأنينة واعطه كل المواساة ولا تفش اليه كل الأسرار .. وقال العباس بن جرير .. المودة تعاطف القلوب وائتلاف الأرواح وأنس النفوس ووحشة الاشخاص عند تنائى اللقاء وظهور السرور بكثرة التزاور وعلى حسب مشاكلة الجواهر يكون الاتفاق فى الخصال .. وقال بعضهم من لم يواخ من الاخوان الا من لا عيب فيه قل صديقه ومن لم يرض من صديقه الا بايثاره إياه على نفسه دام سخطه ومن عاتب على غير ذنب كثر عدوه .. وكان يقال أعجز الناس من فرط فى طلب الاخوان .. وقال الشاعر فى مثله

لَعَمْرُكَ مامالُ الفتى بذَخيرةٍ ... ولكنّ إخوانَ الثِّقاتِ الذَّخائرُ

﴿ ضـدّه ﴾

قال المأمون .. الاخوان ثلاث طبقات طبقة كالغذاء لا يستغنى عنه وطبقة كالدواء يحتاج اليه أحياناً وطبقة كالداء الذي لا يحتاج اليه .. وكتب بعض الكتّاب ان فلاناً أولاني جميلاً من البشر مقروناً بلطيف من الخطاب في بسط وجه ولين كنف فلما كشفه الامتحان بيسير الحاجة كان كالتابوت المطليّ عليه بالذهب المملوء بالعذرة أعجبك حسنه مادام مطبقاً فلما فتح آذاك نتنه فلا أبعد الله غيره .. ومما قيل في ذلك

واللهِ لو كَرِهَتْ كَفِّي مُنادَمَتي　　　لقلتُ للكفّ بِيني إذْ كَرِهتِني

وقال آخر

ولوْ أني تُخالِفُني شمالي　　　لَما أتبَعْتُها أبدًا يَميني

إذًا لقطَعْتُها ولقُلْتُ بِيني　　　كذلكَ اجْتوِي مَنْ يَجْتوِيني

وقال آخر

منْ لم يُرِدْكَ فلا تُرِدْهُ　　　ليَكُنْ كَمَنْ لم تَستَفِدْهُ

باعِدْ أخاكَ بِبُعْدِهِ　　　فإذا نأى شبرًا فزِدْهُ

وقال آخر

تَوَدُّ عدُوِّي ثُمَّ تزعمُ أنني　　　أوَدُّكَ إنَّ الرَّأيَ منكَ لعازِبُ

وليسَ أخي مَنْ وَدَّني رأيَ عينِهِ　　　ولكنْ أخي مَنْ ودَّني وهو غائِبُ

وقال آخر

إنَّ اختيارَكَ لا عنْ خبرَةٍ سلَفَتْ　　　إلاَّ الرَّجاءُ ومما يُخطِئُ النظَرُ

كالمُستغيثِ ببطنِ السَّيلِ يَحسَبُه　　　حرْزًا يبادِرُه إذْ بلَّهُ المطرُ

وقال آخر

وصاحبٍ كانَ لي وكُنتُ لهُ ... أشفقَ منْ والدٍ على وَلَدِ

وكانَ لي مؤنساً وكُنتُ لهُ ... ليستْ بنا وَحشةٌ إلى أحدِ

كُنَّا كساقٍ مشتْ بها قدمٌ ... أو كذراعٍ نِيطتْ إلى عضُدِ

حتّى إذا أمكنَ الحوادثُ منْ ... حظّي وحلَّ الزَّمانُ منْ عقدِي

إزورَّ عنّي وكانَ ينظرُ منْ ... عيني ويرمي بساعدِي ويدِي

حتّى إذا استرفدتْ يدِي يدَهُ ... كُنتُ كمُسترفدٍ يدَ الأسدِ

وقال آخر

فيا عجبًا لمنْ ربَّيتُ طفلاً ... أُلقمهُ بأطرافِ البنانِ

أُعلّمهُ الرِّمايةَ كلَّ يومٍ ... فلمّا استدَّ ساعدهُ رماني

أُعلّمهُ الفتوَّةَ كلَّ حينٍ ... فلمّا طرَّ شاربهُ جفاني

أُعلّمهُ الرِّوايةَ كلَّ وقتٍ ... فلمّا صارَ شاعرَها هجاني

محاسن الولايات

سئل عمّار بن ياسر رضي الله عنه عن الولاية فقال .. هي حلوة الرضاع مرة الفطام .. وذكروا انه كان سبب عزل الحجاج بن يوسف عن المدينة وقد وفد من أهل المدينة منهم عيسى بن طلحة بن عبيد الله على عبد الملك بن مروان فأثنوا على الحجاج وعيسى ساكت فلما قاموا ثبت عيسى حتى خلا له وجه عبد الملك فقام فجلس بين يديه فقال يا أمير المؤمنين من أنا قال عيسى بن طلحة بن عبيد الله قال فمن أنت قال عبد الملك بن مروان قال أجهلتنا أو تغيرت بعدنا قال وما ذاك قال ولّيت علينا

الحجاج بن يوسف يسير بالباطل ويحملنا على أن نثني عليه بغير الحق والله لئن أعدته علينا لنعصينك وان قاتلنا وغلبتنا وأسأت الينا قطعت أرحامنا ولئن قوينا عليك لنغصبنك ملكك فقال له عبد الملك انصرف والزم بيتك ولا تذكرن من هذا شيئاً قال فقام الى منزله وأصبح الحجاج غادياً الى عيسى بن طلحة فقال جزاك الله عن خلوتك بأمير المؤمنين خيراً فقد أبدلني بكم خيراً وأبدلكم بي غيري وولاني العراق .. وعن معمر بن وهيب قال .. كان عبد الملك عند ما استعفى أهل العراق من الحجاج قال لهم اختاروا أي هذين شئتم — يعني أخاه محمد بن مروان وابنه عبد الله بن عبد الملك — مكان الحجاج فكتب اليه الحجاج .. يا أمير المؤمنين ان أهل العراق استعفوا عثمان بن عفان من سعيد بن العاص فاعفاهم منه فساروا اليه من قابل وقتلوه .. فقال صدق ورب الكعبة وكتب الى محمد وعبد الله بالسمع والطاعة له

﴿ ضده ﴾

كتب .. عبد الصمد بن المعذل الى صديق له ولي النفاطات فأظهر تيهاً

لَعَمْرِى لقدْ أظهَرْتَ تِيهاً كأنّما ... تَوَلَّيتَ للفضْلِ بنِ مَرْوانَ عكْبَرا

دَعِ الكِبْرَ واستَبْقِ التَّواضُعَ إنَّهُ ... قَبيحٌ بوالي النِّفطِ أنْ يتَغَيَّرا

لِحِفْظِ عُيونِ النِّفطِ أحدَثْتَ نَخْوَةً ... فكيْفَ بهِ لوْ كانَ مِسْكاً وعَنْبَرا

وقال ابن المعتز

كمْ تائهٍ بوِلايةٍ ... وبِعَزْلِهِ يَعْدُو البَرِيدُ

سُكْرُ الوِلايةِ طَيِّبٌ ... وخُمارُهُ صَعْبٌ شَدِيدُ

وقال لبيد

لا تفرَحَنَّ فكلُّ والٍ يُعزَلُ ... وكما عُزِلْتَ فمَنْ قريبٍ تُقْتَلُ

وكذا الزمانُ بما يَسُرُّكَ تارةً　　وبما يَسوءُكَ تارةً يَتَنَقَّلُ

محاسن الصحبة

قيل .. قال علقمة بن ليث لابنه .. يا بُنيَّ ان نازعتك نفسك الى الرجال يوما لحاجتك اليهم فاصحب من إن صحبته زانك وان تخففت له صانك وان نزلت بك مؤنة مانك وان قلت صدّق قولك وان صلت شدّد صولك اصحب من اذا مددت اليه يدك لفضل مدّها وان رأى منك حسنة عدّها وان بدت منك ثلمة سدّها واصحب من لا تأتيك منه البوائق ولا تختلف عليك منه الطرائق ولا يخذلك عند الحقائق .. وقال آخر اصحب من خوّلك نفسه وملّكك خدمته وتخيرك لزمانه فقد وجب عليك حقه وذمامه .. وكان يقال من قبل صلتك فقد باعك مروءته وأذلّ لقدرك عزه ..وقال بعضهم لصاحبه انا أطوع لك من اليد واذل من النعل .. وقال بعضهم اذا رأيت كلباً ترك صاحبه وتبعك فارجمه فانه تاركك كما ترك صاحبه .. وقال ابن أبي دواد لرجل انقطع الى محمد بن عبد الملك الزيات .. ما خبرك مع صاحبك فقال .. لا يقصر في الاحسان الي فقال .. يا هذا ان لسان حالك يكذب لسان مقالك

ضده

قيل .. كان يوسف بن عمر الثقفي يتولى العراقين لهشام بن عبد الملك وكان مذموماً في عمله تخبرني المدائني قال..وزن يوسف بن عمر درهما فنقص حبة فكتب الي دور الضرب بالعراق يضرب أهلها مائة .. قيل وخطب في مسجد الكوفة فتكلم انسان مجنون فقال ..يا أهل الكوفة ألم أنهكم أن تدخلوا مساجدكم المجانين اضربوا عنقه فضربت عنقه .. قال وقال لهمام بن يحيى وكان عاملا له .. يا فاسق خرّبت مهرجانقذق قال اني لم أكن عليها انما كنت على ماه دينار وعمرت البلاد فأعاد ذلك عليه مراراً

فقال همام قد أخبرتك اني كنت على ماه دينار وتقول خربت مهر جانقذق فلم يزل يعذبه حتى مات .. قال وقال لكاتبه وقد احتبس عن ديوانه يوما .. ما حبسك قال اشتكيت ضرسي قال تشتكي ضرسك وتقعد عن الديوان ودعا الحجام وأمره أن يقلع ضرسين من أضراسه .. وعن المدائني قال .. حدثني رضيع كان ليوسف بن عمر من بني عبس قال كنت لا أحجب عنه وعن خدمته فدعا ذات يوم بجوار له ثلاث ودعا بخصي له يقال له حُدَيج فقرّب اليه واحدة فقال لها اني أريد الشخوص أفأخلفك أو أشخصك معي فقالت صحبة الأمير أحبّ إليّ ولكني أحسب ان مقامي وتخلفي اعفى وأخفّ على قلبه فقال أحببت التخلف للفجور يا حديج أضرب فضربها حتى أوجعها ثم أمره أن يأتيه بالثانية وقد رأت مالقيت صاحبتها فقال لها اني أريد الشخوص أفأخلفك أم أخرجك فقالت ما أعدل بصحبة الأمير شيئاً بل تخرجني قال أحببت الجماع ما تريدين أن يفوتك ليلة يا حديج أضرب فضربها حتى أوجعها ثم أمره أن يأتيه بالثالثة وقد رأت ما لقيت المتقدمتان فقال لها انى أريد الشخوص أفأخلفك أم أخرجك قالت الامير أعلم لينظر أخفّ الأمرين عليه فليفعله قال اختاري لنفسك قالت ماعندي اختيار فليختر الامير قال قد فرغت من كل عمل فلم يبق لي الا أن اختار لك أوجعها يا حديج فضربها حتى أوجعها قال الرجل فكأنما أوجعني من شدة غيظي عليه فولت الجارية فتبعها الخادم فلما بعدت قالت الخيرة والله فى فراقك ما تقرّ عين أحد بصحبتك فلم يفهم يوسف كلامها فقال ما تقول يا حديج قال قالت كذا وكذا فقال يا ابن الخبيثة من أمرك أن تعلمني يا غلام خذ السوط من يده فاوجع رأسه فما زال يضربه حتى اشتفى فتعرّف من الغلام الآخر كم ضربت قال لا أدرى قال يا عدوّ الله أتخرج حاصلي من بيت مالي من غير حساب اقتلوه فقتلوه [1]

---

(١) ــ هكذا فى الأصل مسندة الى يوسف بن عمر .. ولعلها من أخبار الحجاج كما في غير هــذا الــكتاب ـ

محاسن التطير

عن عكرمة قال ،، كنّا جلوساً عنـد ابن العبّاس وابن عمر فطار غراب يصيح فقال رجل من القوم خير خير فقال ابن العباس لا خير ولا شر ٠٠ والذى حضرنا من الشعر فى مثله لأبى الشيص

ماقرّقَ الأحبابَ بعـــدَ اللهِ إلاّ الإبلُ

والناسُ يلحونَ غُرا بَ البَيْنِ لمّا جهلوا

وما على ظهرِ غرا بِ البَيْنِ تُطْوى الرّحلُ

ولا إذا صاحَ غُرا بٌ فى الدّيارِ ارتحلوا

وما غُرابُ البَيْنِ إ لاّ ناقــةٌ أو جملُ

وقال آخر

أترحلُ عمّنْ أنتَ صبٌّ بمثلهِ وتَلْحى غُرابَ البينِ إنّكَ تظلمُ

أقمْ فغرابُ البينِ غيرُ مفرّقٍ ولا يأتى إلاّ على الفصلِ يحكمُ

وقال آخر

غلطَ الذينَ رأيتهمْ بجهالةٍ يلحونَ كلُّهمْ غُراباً ينعقُ

ما الذّنبُ إلاّ للجمالِ فإنّها ممّا يُشتّتُ شملَهمْ ويفرّقُ

إنّ الغُرابَ بيُمنهِ يُدني النّوى وتُشتّتُ الشّملَ الجميعَ الأينقُ

وقال آخر

لا يعلمُ المرءُ ليلاً ما يُصبّحهُ إلاّ كواذبُ ممّا يخبرُ الفالُ

والفالُ والزّجرُ والكهّانُ كلّهمُ مُضلّلونَ ودونَ الغيبِ أقفالُ

﴿ صَدّه ﴾

يُحكي عن النعمان بن المنذر .. أنه خرج متصيّدًا ومعه عديّ بن زيد العبّادي فمرّ بآرام — وهي القبور — فقال عدي .. أبيت اللعن أتدرى ما تقول هـذه الآرام قال لا قال انها .. تقول

أيُّها الرَّكبُ المُخفُّو نَ على الأَرضِ تمرُّونَ
لكما كُنتم فكُنّا وكما كُنّا تكونونَ

فقال أعِد فأعادها فترك صيده ورجع كئيباً .. وخرج معه مرّة أخرى فوقف على آرام بظهر الحيرة فقال عديّ .. أبيت اللعن أتدري ما تقول هذه الآرام قال لا قال انها: تقول

رُبَّ رَكبٍ قد أناخوا عندَنا يَشرَبونَ الخمرَ بالماءِ الزُّلال
ثُمَّ أضحَوا عصفَ الدَّهرُ بهم وكذاكَ الدَّهرُ حالاً بعدَ حال

فانصرف وترك صيده .. قال ولما خرج خالد بن الوليد الى أهل الردّة انتهى الى حيّ من بني تغلب فاغار عليهم وقتلهم .. وكان رجـل منهم جالساً على شراب له وهو يتغنّى بهذا البيت

ألا عَلِّلاني قبلَ جيشِ أبي بكرِ لعلَّ منايانا قريبٌ وما ندري

فوقف عليه رجل من أصحاب خالد فضرب عنقه فاذا رأسـه في الجفنة التي كان يشرب منها .. وهذا كقولهم

إنَّ البلاءَ مُوكّلٌ بالمَنطِقِ

محاسن الوفاء

قيل في المثل ،،أوفى من فُكيهة ،، وهي امرأة من بني قيس بن ثعلبة كان من وفائها ان السُليك بن سَلَكة غزا بكر بن وائل فلم يجد غفلة يلتمسها فخرج جماعة من بكر فوجدوا أثر قدم على الماء فقالوا : ان هذا الأثر لأثر قدم ورد الماء فقعدوا له فلما وافا حملوا عليه فعدا حتى ولج قبة فُكيهة فاستجار بها فادخلته تحت درعها فانتزعوا خمارها فنادت إخوتها فجاؤا عشرة فنعوهم منها ٠٠ قال وكان سليك يقول ،،كأني أجد خشونة شعر أستها على ظهري حين أدخلتني تحت درعها ٠٠ وقال

لَعَمْرُ أبيكَ والأنبـاء تَنْمي ... لَنِعْمَ الجارُ أُختُ بني عوَارا
من الخفرَاتِ لم تفضحْ أخاها ... ولم ترفعْ لوالدِها شَـنَارا
عنَيتُ بهِ فُـكيْهةَ حينَ قامتْ ... لِنصلِ السّيفِ فانتزعوا الخمارا

ويقال أيضاً ،، هو أوفى من أم جميـل ،، وهي من رهط ابن أبي بردة من دوس وكان من وفائها ان هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومي قتل رجلا من الأزد فبلغ ذلك قومه بالسراة فوثبوا على ضرار بن الخطاب الفهري ليقتلوه فعدا حتى دخل بيت أم جميل وعاذ بها فقامت في وجوههم ودعت قومها فنعوه لها فلما ولي عمر بن الخطاب ظنت أنه اخوه فأتته بالمدينة فلما انتسبت له عرف القصة فقال :إني لست بأخيه إلا في الاسلام وهو غاز وقد عرفنا منّتك عليه وأعطاها على انهـا ابنة سبيل ٠٠ ويقال أوفى من السموءل بن عاديا ،، وكان من وفائه ان امرأ القيس بن حجر لما اراد الخروج الى قيصر استودع السموءل دروعا له فلما مات امرؤ القيس غزاه ملك من ملوك الشام فتحرز منه السموءل فأخذ الملك ابناً له خارج الحصن وصاح به ياسموءل هذا ابنك في يدي وقـد علمت ان امرأ القيس ابن عمي وأنا أحق بميراثه فان دفعت إلي الدروع وإلا ذبحت ابنك فقال : اجلني فأجله فجمع اهل بيته فشاورهم فكلهم اشاروا بدفع الدروع وان يستنقذ ابنه فلما اصبح اشرف عليه وقال ،، ليس لي الى دفع الدروع سبيل فاصنع

ما أنت صانع فذبح الملك ابنه وهو ينظر اليه وكان يهوديا وانصرف الملك ووافى السموءل بالدروع الموسم فدفعها الى ورثة امرئ القيس .. وقال في ذلك

وَفيتُ بأَدرُعِ الكنديِّ إني ... إذا ما خانَ أقوامٌ وَفيتُ

وقالوا عندَهُ كنزٌ رَغيبٌ ... فلا وأَبيكَ أغدرُ ما مَشيتُ

بَنى لي عادِيا حِصنًا حَصينًا ... وبئراً كلَّما شئتُ استَقيتُ

وفي ذلك يقول الأعشى

كُنْ كالسموءلِ إذ طافَ الهُمامُ بهِ ... في جحفلٍ كسوادِ الليلِ جرّارِ

بالأبلقِ الفردِ من تيماءَ منزلُهُ ... حصنٌ حصينٌ وجارٌ غيرُ غدّارِ

خيّرهُ خُطّتَيْ خَسفٍ فقالَ لهُ ... مهما تقولنْ فإني سامعٌ حارِ

فقالَ ثُكلٌ وغدرٌ أنتَ بينهما ... فاختَرْ فما فيهما حظٌّ لمختارِ

فشكَّ غيرَ طويلٍ ثمّ قالَ لهُ ... أُقتلْ أسيرَكَ إني مانعٌ جاري

ويقال .. أوفى من الحارث بن عبّاد .. وكان من وفائه انه أسر عديّ بن ربيعة ولم يعرفه فقال له : دلّني على عديّ بن ربيعة ولك الأمان فقال : أنا آمن ان دللتك عليه : قال : نعم . قال : فأنا عديّ بن ربيعة فخلاّه .. وفى ذلك يقول الشاعر

لهفَ نفسي على عديٍّ وقد شا ... رفهُ الموتُ واحتوتهُ المنونُ

ويقال .. هو أوفى من عوف بن مُحَلِّم .. وكان من وفائه ان مروان القرظ غزا بكر بن وائل ففضّوا جيشه وأسره رجل منهم وهو لا يعرفه فأتى به أمه فقالت : انك تختال بأسيرك كأنك جئت بمروان القرظ فقال : مروان وما ترجين من مروان قالت : عظم فدائه قال : وكم ترجين من فدائه قالت : مائة بعير قال : لك ذلك على أن تردّيني الى جماعة بنت عوف بن محلّم قالت : ومن لي بالمائة فأخذ عوداً من الأرض وقال : هذا لك فمضت به الى بيت عوف فاستجار بجماعة ابنته فبعثت به الى عوف ثم

ان عمرو بن هند بعث الي عوف أن يأتيه بمروان وكان واجداً عليه في شيء فقال عوف لرسوله : ان حماعة ابنتى قد أجارته ، فقال .. ان الملك قد آلى أن يعفو عنه أو يضع كفه في كفه ، فقال عوف .. يفعل ذلك على أن تكون كفى بين أيديهما ، فأجابه عمرو الى ذلك ، فجاء عوف بمروان فأدخله عليه فوضع يده في يده ووضع يده بين أيديهما فعفى عنه .. ومنهم الطائي صاحب النعمان بن المنذر .. وكان من وفائه ان النعمان ركب فى يوم بؤسه وكان له يومان يوم بؤس ويوم نعيم لم يلقه أحد فى يوم بؤسه إلا قتله ولا فى يوم نعيمه إلا أحياه وحباه وأعطاه فاستقبله فى يوم بؤســه اعرابي من طيء فقال .. حيّاً الله الملك ان لى صبية صغاراً لم أوص بهم أحداً فان رأى الملك أن يأذن لي في اتيانهم وأعطيه عهد الله أن أرجع اليه اذا أوصيت بهم حتى أضع يدى فى يده ، فرقّ له النعمان وقال له .. لا إلا أن يضمنك رجل ممّن معنا فان لم تأت قتلناه ، وكان مع النعمان شريك بن عمرو بن شراحيل فنظر اليه الطائى : وقال

يا شَرِيكَ بنَ عَمْرٍو هلْ منَ الموتِ محالَهْ

يا أخا كلِّ مُضافٍ يا أخا مَنْ لا أخا لَهْ

يا أخا النُّعْمانِ فُكَّ الــــيومَ عَنْ شيخٍ غلالَهْ

ابنُ شَيْبانَ قَبِيلٌ أَصلَحَ اللهُ فَعالَهْ

فقال شريك : هو عليّ أصلح الله الملك ، فمضى الطائي وأجل له أجلا يأتي فيه فلما كان ذلك اليوم أحضر النعمان شريكا وجعل يقول له : ان صدر هذا اليوم قد ولّى وشريك يقول : ليس لك عليّ سبيل حتى تمسي ، فلما أمسوا أقبل شخص والنعمان ينظر الى شريك فقال شريك : ليس لك عليّ سبيل حتى يدنو الشخص فلعله صاحبي ، فبينما هما كذلك اذ أقبل الطائي فقال النعمان : والله ما رأيت أكرم منكما وما أدرى أيكما أكرم أهذا الذى ضمنك وهو الموت أم أنت وقــد رجعت الى القتل والله لا أكون ألأم الثلاثة فأطلقه وأمر برفع يوم بؤسه .. وأنشد الطائي

ولقد دعتني للخلاف عشيرتي　　فأبيت عند تجهم الأقوال

إني امرؤ مني الوفاء خليقة　　وفعال كل مهذب بذال

فقال النعمان : ما حملك على الوفاء قال : ديني قال : وما دينك قال : النصرانيـة قال اعرضها عليّ فعرضها عليه فتنصر النعمان

﴿ ضده ﴾

قيل .. كتب صاحب بريد همذان الى المأمون وهو بخراسان يعلمه ان كاتب صاحب البريد المعزول أخبره ان صاحبه وصاحب الخراج كانا تواطئا على اخراج مائتي ألف درهم من بيت المال واقتسماها بينهما ، فوقع المأمون : إنا نرى قبول السعاية شراً من السعاية لأن السعاية دلالة والقبول اجازة وليس من دل على شيء كمن قبله وأجازه فاتق الساعي عند ذلك وقال : يا أمير المؤمنين رضي الله عنك المعذرة فان الساعي وان كان في سعايته صادقاً لقد كان في صدقه لئيما اذ لم يحفظ الحرمة ولم يف لصاحبه .. قال : ودخل رجل على سليمان بن عبد الملك فقال : يا أمير المؤمنين عنـدي نصيحة قال : وما نصيحتك هذه ، قال : فلان كان عاملا ليزيد بن معاوية وعبد الملك والوليد فخانهم فيما تولاه ثم اقتطع أموالا كثيرة جليلة فمر باستخراجها منه ، قال : أنت شر منه وأخون حيث اطلعت على امره وأظهرته ولولا اني أنفر النصاح لعاقبتك ولكن اختر مني خصلة من ثلاث ، قال : اعرضهن يا أمير المؤمنين ، قال : ان شئت فتشنا عما ذكرت فان كنت صادقا مقتناك وان كنت كاذباً عاقبناك وان استقلت أقلناك ، فاستقاله الرجل

محاسن السخاء

روي عن نافع قال .. لقي يحيى بن زكرياء عليه السلام أبليس لعنـه الله فقال :

أخبرني بأحب الناس اليك وأبغضهم اليك . قال .. أحبهم إلىّ كل مؤمن بخيل وأبغضهم إليّ كل منافق سخيّ . قال : ولم ذاك . قال : لأن السخاء خلق الله الأعظم فأخشى أن يطلع عليه في بعض سخائه فيغفر له .. وقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : السخيّ قريب من الله قريب من الناس بعيد من النار والبخيل بعيد من الله بعيد من الجنة قريب من النار والجاهل سخي أحب الي الله عز وجلّ من عابد بخيل وأدوأ الداء البخل .. وقال صلى الله عليه وسلم : ما أشرقت شمس إلا ومعها ملكان يناديان يُسمعان الخلائق غير الجن والانس وهما الثقلان اللهم عجّل لمنفق خلفاً ولممسك تلفاً وملكان يناديان أيها الناس هلموا الى ربكم فان ما قلّ وكفى خير مما كثر وألهى .. وعن الشعبيّ قال .. قالت أم البنين ابنة عبد العزيز أخت عمر بن عبد العزيز وكانت تحت الوليد بن عبد الملك .. لو كان البخل قيصاً ما لبسته أو طريقاً ما سلكتها وكانت تعتق في كل يوم رقبة وتحمل على فرس في سبيل الله وكانت تقول . البخل كل البخل من بخل على نفسه بالجنة .. وقيل : اعتقت هند بنت عبد المطلب في يوم واحد أربعين رقبة .. وقال بعض الحكماء : ثواب الجود خلف ومحبة ومكافأة وثواب البخل حرمان واتلاف ومذمة .. وقال النبيّ صلى الله عليه وسلم لعليّ بن أبي طالب رضى الله عنه : يا عليّ كن شجاعا فان الله يحب الشجاع وكن سخيّاً فان الله يحب السخيّ وكن غيوراً فان الله يحب الغيور يا عليّ وان انسان سألك حاجة ليس لها بأهل فكن أنت أهلالها .. وقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : السخاء شجرة في الجنة من أخذ منها بغصن مدّ به الى الجنة .. وقال عبد العزيز بن مروان : لو لم يدخل على البخلاء في لؤمهم الا سوء ظنهم بالله عز وجلّ لكان عظيما .. وقال صلى الله عليه وسلم : تجافوا عن ذنب السخيّ فان الله آخذ بيده كلما عثر .. وقال بهرام جور : من أحب أن يعرف فضل الجود على سائر الاشياء فلينظر الى ما جاد الله به على الخلق من المواهب الجليلة والرغائب النفيسة والنسيم والريح كما وعدهم الله في الجنان فانه لو لا رضاه الجود لم يصطفه لنفسه .. وقال الموبذان لأبرويز : أ كنتم تمنون أنتم وآباؤكم بالمعروف وتترصدون عليه المكافأة . قال : لا ولا نستحسن ذلك لخولنا وعبيدنا فكيف نرى ذلك وفى كتاب ديننا من فعل

معروفاً خفياً وأظهره ليتطول به على المنعم عليه فقد نبذ الدين وراء ظهره واستوجب أن لا نعده من الابرار ولا نذكره في الأتقياء والصالحين .. قيل : وسئل الاسكندر ما أكبر ما شيدت به ملكك . قال : ابتداري الي اصطناع الرجال والاحسان اليهم .. قال : وكتب ارسطاطاليس في رسالته الي الاسكندر : واعلم ان الايام تأتي على كل شيء فتخلقه وتخلق آثاره وتميت الافعال إلا ما رسخ في قلوب الناس فاودع قلوبهم محبة آبدة تبقى بها حسن ذكرك وكريم فعالك وشرف آثارك .. قال : ولما قدّم بزرجمهر الي القتل قيل له : انك في آخر وقت من أوقات الدنيا وأول وقت من اوقات الآخرة فتكلم بكلام تذكر به . فقال : أي شيء أقول الكلام كثير ولكن ان أمكنك أن تكون حديثاً حسناً فافعل .. قيل : وتنازع رجلان احدهما من أبناء العجم والآخر اعرابي في الضيافة فقال الاعرابي : نحن أقرى للضيف . قال : وكيف ذلك ، قال : لأن أحدنا ربما لا يملك إلا بعيراً فاذا حل به ضيف نحره له ، فقال له الاعجمي : فنحن احسن مذهباً في القرى منكم ، قال : وما ذاك . قال : نحن نسمي الضيف مهمان ومعناه انه أكبر من في المنزل وامليكنا به .. وقال بعض الحكماء : بلغ الجود من قام بالمجهود .. وقيل : الجواد من لم يضن بالموجود .. وقال المأمون : الجود بذل الموجود والبخل سوء الظن بالمعبود .. قيل : وشكا رجل الي إياس بن معاوية كثرة ما يهب ويصل الناس وينفق . قال : ان النفقة داعية الرزق وكان جالساً على باب فقال للرجل اغلق هذا الباب فأغلقه فقال : هل تدخل فيه الريح قال : لا . قال : فافتحه ففتحه فجعلت الريح تخترق في البيت فقال : هكذا الرزق اغلقت فلم تدخل الريح فكذلك اذا امسكت لم يأتك الرزق .. قيل : ووصل المأمون محمد بن عباد المهلبي بمائة الف دينار ففرقها على اخوانه فبلغ ذلك المأمون فقال : يا أبا عبد الله ان بيوت الأموال لا تقوم بهذا . فقال : يا أمير المؤمنين البخل بالموجود سوء الظن بالمعبود .. وعن أمية بن يزيد الأموي قال : كنا عند عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية فجاءه رجل من أهل بيته فسأله المعونة على تزويج فقال له قولا ضعيفاً فيه وعد وقلة اطماع ، فلما قام من عنده ومضى دعا صاحب خزانته فقال : اعطه اربعمائة دينار . فاستكثرناها وقلنا : كنت

رددت عليه رداً طننا أنك تعطيه شيئاً قليلا فاذاً أنت أعطيته أكثر مما أمل . فقال : انى أحب أن يكون فعلي أحسن من قولي ،، وبحاتم يضرب المثل في السخاء . فحدثنا عن بعض حالات حاتم قيل : كان حاتم جواداً شاعراً وكان حيثما نزل عرف منزله وكان ظفراً إذا قاتل غلب واذا غنم نهب واذا سئل وهب واذا ضرب بالقداح سبق واذا أسر أطلق ، وكان أقسم أن لا يقتل واحد أمه ،، قيل : ولما بلغ حاتماً قول المتلمس الضبعي

قَلِيلُ المَالِ تُصْلِحُهُ فَيَبْقَى ... ولا يَبْقَى الكَثِيرُ على الفَسَادِ
وحِفْظُ المَالِ أَيْسَرُ مِنْ بُغَاهُ ... وضَرْبٍ في البِلادِ بِغَيْرِ زَادِ

فقال : ماله قطع الله لسانه يحرض الناس على البخل أفلا قال

فلا الجُودُ يُفْنِي المَالَ قَبْلَ فَنَائِهِ ... ولا البُخْلُ في مالِ الشَّحِيحِ يَزِيدُ
فلا تَلْتَمِسْ رِزْقاً بِعَيْشٍ مُقَتَّرٍ ... لِكُلِّ غَدٍ رِزْقٌ يَعُودُ جَدِيدُ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ الرِّزْقَ غَادٍ ورَائِحٌ ... وأَنَّ الذي أَعْطاكَ سَوْفَ يُعِيدُ

قيل .. ونزل على حاتم ضيف ولم يحضره القرى فنحر ناقة الضيف وعشاه وغداه وقال : انك قد أقرضتني ناقتك فاحتكم علي . قال : راحلتين . قال : لك عشرون أرضيت ؟ قال : نعم وفوق الرضى . قال : لك اربعون . ثم قال لمن بحضرته من قومه : من اتانا بناقة فله ناقتان بعد الغارة . فأتوه بأربعين فدفعها الى الضيف ،، وحكوا عن حاتم انه خرج في الشهر الحرام يطلب حاجة فلما كان بأرض عنزة ناداه أسير فيهم : يا ابا سفانة قد أكلني الاسار والقمل . قال : والله ما انا في بلادي ولا معي شئ وقد اسأت إلي ان نوهت باسمي فذهب الى العنزيين فساومهم فيه واشتراه منهم وقال : خلوا عنه وانا اقيم مكانه في قيده حتى اؤدي فداه ، ففعلوا فأتاهم بفداه .. قيل : ولما مات حاتم خرج رجل من بني اسد يعرف بابي الخيبرى في نفر من قومه وذلك قبل أن يعلم كثير من العرب بموته فأناخوا بقبره فقال : والله لأحلفن للعرب اني نزلت بحاتم

وسألته القرى فلم يفعل وجعل يضرب القبر برجله ويقول

عَجِّلْ أبا سَفَّانَةٍ قِرَاكا ... فسوفَ أُنبي سائلي ثناكا

فقال بعضهم : مالك تنادي رمة وباتوا مكانهم فقام صاحب القول من نومه مذعوراً فقال : يا قوم عليكم مطاياكم فان حاتماً أتاني فانشدني

أبا الخيبريّ وأنتَ امرؤٌ ... ظلومُ العشيرةِ شتّامُها

فما ذا أردتَ إلى رِمّةٍ ... بدوّيةٍ صخبتْ هامُها

تَبغي أذاها وإعسارَها ... وحولكَ طيٌّ وأنعامُها

وإنّا لنُطعمُ أضيافَنا ... من الكوم بالسيفِ نعتامُها

وقيل في المثل : هو اجود من كعب بن مامة وكان من إياد وبلغ من جوده انه خرج في ركب فيهم رجل من بني النمر بن قاسط في شهر ناجر والجأهم العطش فضلوا فتصافنوا ماءهم فجعل النمري يشرب نصيبه فاذا اراد كعب ان يشرب نصيبه قال : آثر اخاك النمري فيؤثره حتى اضرّ به العطش فلما رأى ذلك استحث ناقته وبادر حتى رفعت له اعلام الماء وقيل له رد كعب فانك وراد فمات قبل ان يرد ونجا رفيقه .. ومن قول ابي تمام

هوَ البحرُ من أيّ النواحي أتيتَهُ ... فلُجّتُهُ المعروفُ والجودُ ساحلُه

كريمٌ إذا ما جئتَ للعرْفِ طالباً ... حَبَاكَ بما تحوي عليهِ أناملُه

فلوْ لمْ يكنْ في كفّهِ غيرُ نفسهِ ... لجادَ بها فليتّقِ اللهَ سائلُه

وللبحتري

لو أنّ كفّكَ لم تجُدْ لمؤمّلٍ ... لكفاهُ عاجلُ وجهِكَ المتهلّلِ

ولوَ انّ مجدَكَ لم يكنْ متقادماً ... أغناكَ آخرُ سؤددٍ عن أوّلِ

ولبكر بن النطاح في أبي دلف

بَطَلٌ بصدرِ حُسامهِ وسنانهِ أجلاَنِ من صَدَرٍ ومن إيرادِ
وَرِثَ المكارمَ وابتناها قاسِمٌ بصفائحٍ وأسِنَّةٍ وجيادِ
ياعصمةَ العربِ التي لولم تكنْ حيًّا إذا كانتْ بغيرِ عمادِ
إنّ العيونَ إذا رأتكَ حِدادُها رَجعتْ من الإجلالِ غيرَ حِداد
وإذا رَميتَ الثغرَ منكَ بعزمةٍ فتحتْ منهُ مواضعَ الأسْدادِ
وكأنّ رُمحكَ منقعٌ في عُصفرٍ وكأنّ سيفكَ سُلَّ من فرصادِ
لوصالَ منْ غضبٍ أبو دُلَفٍ على بيضِ السُّيوفِ لذُبْنَ في الأغمادِ
أوْرَى ونوّرَ للعداوةِ والهوى نارينِ نارَ دَمٍ ونارَ زِنادِ

قال أبو هفان : أنشدت هذه الأبيات عبد العزيز بن أبي دلف بِسُرَّ من رأى . فقال : هل سمعت بمثل هذه الأبيات . قلت : لا . قال : ولغيره في أبي دلف

ولو يجوزُ لقالَ النّاسُ كلُّهمُ لولا أبو دلفٍ ما أورقَ الشجرُ

قال ابن يحيي النديم : دعاني المتوكل ذات يوم وهو مخمور فقال : أنشدني قول عمارة في اهل بغداد . فانشدته

مَنْ يَشتري منّي ملوكَ مُخَرِّمٍ أبِعْ حَسَنًا وابني هِشامٍ بدِرهَمِ
وأُعطِي رَجاءَ بَعدَ ذاكَ زيادةً وأمنحُ دينارًا بغيرِ تَندُّمِ
فإنْ طلبوا منّي الزّيادةَ زِدتُهمْ أبا دُلَفٍ والمُستطيلَ بنَ أكثَمِ

فقال المتوكل : ويلي على ابن البوّال على عقيبيه يهجو شقيق دولة العباس قال : فهلْ عندك من المدح في أبي دلف القاسم بن عيسى شيءٌ . قلت : نعم ياأمير المؤمنين قول الاعرابي الذي يقول فيه

أبا دُلَف إنَّ السَّماحة لم تزلْ مُغَالَة تشكو إلى الله غلَّها
فبشَّرها ربي بميلاد قاسمٍ فأرسل جبريلاً إليها فحلَّها

وقال غيره

حرٌّ إذا جئته يوماً لتسألهُ أعطاكَ ما ملكتْ كفَّاهُ واعتذرا
يُخفي صنائعَهُ والله يُظهرُها إنَّ الجميلَ إذا أخفيتَهُ ظهرا

وقال آخر

فتىً عاهدَ الرَّحمنَ في بذلِ مالهِ فليسَ تراهُ الدَّهرَ إلاَّ على العهدِ
فتىً قصُرتْ آمالُهُ عن فعالهِ وليس على الحرِّ الكريمِ سوى الجهدِ

وقال آخر

إذا ما أتاهُ السَّائلونَ توقَّدتْ عليهِ مصابيحُ الطَّلاقةِ والبِشرِ
لهُ في ذُرى المعروفِ نُعمى كأنَّها مواقعُ ماءِ المُزنِ في البلدِ القفرِ

وقال آخر

عادَ السُّرورُ إليكَ في الأعيادِ وسعدتَ من دُنياكَ بالإسعادِ
رفقاً بعبدٍ جلَّ ما أوليتَهُ رفقاً فقد أثقلتَهُ بأيادي
مَلأَ النُّفوسَ مهابةً ومحبةً بدرٌ بدا متغمِّراً بسوادِ
ما إنْ أرى لكَ مُشبِهاً فيمن أرى إنَّ الكرامَ قليلةُ الأندادِ

وقال في ابن أبي دواد

بدا حينَ أثرى بإخوانهِ فقلَّلَ عنهمْ شَباةَ العدَمْ
وحذَّرهُ الحزمُ صرفَ الزَّمانِ فبادرَ قبلَ انتقالِ النِّعَمْ

فليسَ وإنْ بخِل الباخلو ... ن يقرَعُ سنّاً له من ندم

ولا ينكتُ الأرضَ عند السؤال ... ليمنعَ سؤّاله عن نعم

ولكنْ يُرى مشرقاً وجهُهُ ... ليرغمَ في ماله من رغم

ويروى فى الحديث : انه لا يجتمع الشح والايمان في قلب عبد صالح أبداً ..
ويقولون : الشحيح أغدر من الظالم أقسم الله بعزته لا يساكنه بخيل فى جنته ..
وقال النبى صلى الله عليه وسلم : من فتح له باب من الخير فلينتهزه فانه لايدرى متى يغلق عنه .. وقال الشاعر فى ذلك

ليسَ في كُلِّ ساعةٍ وأوانٍ ... تتهيّا صنائعُ الإحسانِ

فإذا أمكنتْ تقدّمتُ فيها ... حذراً من تعذُّرِ الإمكانِ

وذكر عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضى الله عنه : ان أمير المؤمنين علياً صلوات الله عليه بعثه الي حكيم بن حزام بن خويلد يسأله مالا فانطلق به الى منزله فوجد فى الطريق سوقاً فأخذه ومرّ بقطعة كساء فأخذها فلما صار الى المنزل أعطاه طرف الصوف لجمل يفتله حتى صيّره خيطاً ثم دعا بغرارة مخرقة فرقعها بالكساء وخيّطها بالخيط وصرّ فيها ثلاثين ألف درهم لحملت معه .. قال : وأتى قوم قيس بن سعد بن عبادة الانصارى رحمه الله يسألونه فى حمالة فصادفوه فى حائط له يتتبع ما يسقط من التمر فيعزل جيّده ورديئه على حدة فهموا بأن يرجعوا عنه وقالوا : ما نظن عنده خيراً ثم كلّموه فأعطاهم فقال رجل من القوم : لقد رأيناك تصنع شيئاً لا يشبه فعالك فقال وما ذالك فأخبروه فقال : ان الذى رأيتم يؤول الى اجتماع ما ينفع وينمو .. ومنها قيل : الذود الي الذود إبل .. وأنشد

رُبَّ كبيرٍ هاجهُ صغيرُ ... وفي البحورِ تغرقُ البحورُ

وقال آخر

قد يلحقُ الصغيرُ بالجليلِ ... وإنّما القرمُ من الأفيلِ

وسحق النخل من الفسيل

قال : وأتى رجل طلحة بن عبيد الله فسأله حمالة فرآه يهنأ بعيراً له فقال : ياغلام اخرج اليه بدرة فقبضها وقال : أردت أن أنصرف حين رأيتك تهنأ البعير فقال : إنا لا نضيع الصغير ولا يتعاظمنا الكبير

مساوى البخل

المثل السائر فى البخل : هو أبخل من مادر • وهو رجل من بنى هلال بن عامر بلغ من بخله انه كان يسقى ابله فبقى في أسفل الحوض ماء قليل فسلح فيه ومدر الحوض به فسمي مادراً •• وذكروا أن بنى هلال وبني فزارة تنافروا الى أنس بن مدرك وتراضوا به • فقالت بنو هلال : يا بنى فزارة أكلتم اير الحمار فقالت بنو فزارة : لم نعرفه • وكان سبب ذلك ان ثلاثة اصطحبوا فزاريّ وثعلبيّ وكلابي فصادفوا حمار وحش ومضى الفزاري فى بعض حوائجه فطبخا وأكلا وخبآ للفزارى إير الحمار فلما رجع قالا : قد خبأنا لك حقك فكل • فأقبل يأكل ولا يسيغه • فجعلا يضحكان ففطن وأخذ السيف وقام اليهما وقال : لتأكلن منه أولاً قتلتكما فامتنعا فضرب أحدهما فقتله وتناوله الآخر فأكل منه ،، فقال فيهم الشاعر

نشدتك يافزار وأنت شيخ إذا خيرت تخطئ فى الخيار
أصيحانية أدمت بسمن أحب إليك أم إير الحمار
بلى إير الحمار وخصيتاه أحب إلي فزارة من فزاري

فقالت بنو فزارة : منكم يا بنى هلال من سقى ابله فلما رويت سلح في الحوض ومدره بخلا فنفرهم أنس بن مدرك على الهلاليين فاخذ الفزاريون منهم مائة بعير وكانوا تراهنوا عليها ،، وفي بنى هلال يقول الشاعر

لقد جلّلت خزياً هلالُ بنُ عامرٍ بني عامرٍ طرّاً بسلحةِ مادرِ

فأفٍّ لكم لا تذكُروا الفخرَ بعدها بني عامرٍ أنتم شرارُ العشائرِ

وفى المثل .. هو أبخل من أبي حُباحب . وهو رجل فى الجاهلية بلغ من بخله أنه كان يسرج السراج فاذا أراد أحد أن يأخذ منه أطفاه ، فضرب به المثل .. ومنهم صاحب نجيبح بن سلكة اليربوعي فانه ذكر : أن نجيحاً اليربوعي خرج يوماً يتصيد فعرض له حمار وحش فاتبعه حتى دفع الى أكمة فاذا هو برجل أعمى أسود قاعد في أطمار بين يديه ذهب وفضة ودرّ وياقوت فدنا منه فتناول بعضها ولم يستطع أن يحرك يده حتى ألقاه فقال : ياهذا ماهذا الذي بين يديك وكيف يستطاع أخذه وهل هولك أم لغيرك فاني أعجب مما أرى اجواد انت فتجود لنا ام بخيل فاعذرك ، فقال الأعمى : اطلب رجلا فقد منذ سنين وهو سعد بن خشرم بن شماس فأتني به يعطك ما تشاء . فانطلق نجيبح مسرعا قد استُطيرَ فؤاده حتى وصل الى قومه ودخل خباءه ووضع رأسه فنام لما به من الغم لايدري مَن سعد بن خشرم فأتاه آت فى منامه فقال له : يا نجيح ان سعد بن خشرم فى حي بنى محلّم من ولد ذهل بن شيبان . فسأل عن بني محلّم ثم سأل عن خشرم بن شماس فاذا هو بشيخ قاعد على باب خبائه فحيّاه نجيبح فردّ عليه السلام ، فقال له نجيبح من انت ، قال : انا خشرم بن شماس ، قال له : فاين ولدك سعد ، قال : خرج فى طلب نجيبح اليربوعى وذلك ان آتياً أتاه فى منامه فحدثه ان مالا له فى نواحي بنى يربوع لا يعلم به الا نجيبح اليربوعي ، فضرب نجيبح فرسه ومضى وهو يقول

أيطلبُني مَنْ قد عناني طلابُهُ فياليتني ألقاك سعدَ بن خشرمِ

أتيت بنى يربوع تبغي لقاءنا وجئتُ لكي ألقاك حيّ محلّمِ

فلما دنا من محلته استقبله سعد ، فقال له نجيبح : ايها الراكب هل لقيت سعداً في بني يربوع قال : انا سعد فهل تدل على نجيبح ، قال : انا نجيبح وحدثه بالحديث ، فقال : الدال على الخير كفاعله ــ وهو اول من قالها ــ فانطلقا حتى أتيا ذلك المكان فتواري

الرجل الأعمى عنها وترك المال فاخذه سعد كله . فقال نجيح : ياسعد قاسمني . فقال له : اطوعني وعن مالي كشحاً . وأبى أن يعطيه شيئاً فانتضى نجيح سيفه فجعل يضربه حتى برد فلما وقع قتيلا تحول الرجل الحافظ للمال سعلاة فاسرع في أكل سعد وعاد المال الى مكانه فلما رأى نجيح ذلك ولى هارباً الى قومه .. قيل : وكان ابو عبس بخيلا وكان اذا وقع الدرهم في يده نقره باصبعه ثم يقول : كم من مدينة قد دخلتها ويد قد وقعت فيها فالآن استقر بك القرار واطمأنت بك الدار ثم يرمي به في صندوقه فيكون آخر العهد به .. قيل : ونظر سليمان بن مزاحم الى درهم فقال في شق : لا إله إلا الله ، وفي شق : محمد رسول الله ما ينبغي أن تكون إلا معاذة وقذفه في صندوقه .. وذكروا انه كان بالري عامل على الخراج يقال له المسيّب فاتاه شاعر يمدحه فلم يعطه شيئاً ثم سعل سعلة فضرط .. فقال الشاعر

أتيتُ المُسيّبَ في حاجةٍ ... فما زالَ يَسعَلُ حتى ضَرَطْ

فقالَ غَلطْنا حِسابَ الخَراجِ ... فقلتُ مِنَ الضَّرطِ جاءَ الغَلَطْ

فما زالوا يقولون ذلك حتى هرب منها من غير عزل .. قال : وكتب ارسطاطاليس الى رجل بشيء فلم يفعل فكتب اليه : ان كنت أردت فلم تقدر فمعذور وان كنت قدرت ولم ترد فسيأتيك يوم تريد فيه فلا تقدر .. قال : وسمع ابو الاسود الدؤلي رجلا يقول من يعشي الجائع ، فعشاه ثم قام الرجل ليخرج فقال : هيهات تخرج فتؤذي الناس كما آذيتني ، ووضع رجله في الأدهم حتى أصبح .. قال : وكان رجل يأتي ابن المقفع فيلح عليه ويسأله أن يتغدى عنده ويقول : لعلك تظن انى أتكلف لك شيئاً والله لا اقدم لك إلا ما عندي فلما أتاه لم يجد في بيته إلا كسراً يابسة وملح جريش ، وجاء سائل الى الباب فقال له : وسع الله عليك ، فلم يذهب فقال : والله لئن خرجت اليك لأدقن رأسك . فقال ابن المقفع للسائل : ويحك لو عرفت من صدق وعيده ما عرفت من صدق وعده لم ترد كلمة ولم تقم طرفة عين .. قال : وكتب ابراهيم بن سيابة الى صديق له كثير المال يستسلفه . فكتب اليه : العيال كثير والدخل قليل والمال مكذوب عليه

فكتب اليه : ان كنت كاذباً سجعلك الله صادقاً وان كنت صادقاً جعلك الله معذوراً .. وكتب آخر الى آخر يصف رجلا : أما بعد فانك كتبت تسأل عن فلان كأنك هممت به أو حدثتك نفسك بالقدوم اليه فلا تفعل فان حسن الظن به لا يقع في الوهم الا بخذلان الله والطمع فيما عنده لا يخطر على القلب إلا بسوء التوكل على الله والرجاء فيما في يده لا ينبغي الا بعد اليأس من رحمة الله انه يرى الايثار الذي يرضى به التبذير الذي يعاقب عليه والاقتصاد الذي أمر به الاسراف الذي يعاقب عليه وان بني اسرائيل لم يستبدلوا العدس والبصل بالمن والسلوى إلا لفضل أخلاقهم وقديم علمهم وان الصنيعة مرفوعة والصلة موضوعة والهبة مكروهة والصدقة منحوسة والتوسع ضلالة والجود فسوق والسخاء من همزات الشياطين وان مواساة الرجال من الذنوب الموبقة والافضال عليهم من احدى الكبائر وأيم الله انه يقول ان الله لا يغفر أن يؤثر المرء في خصاصة على نفسه ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن آثر على نفسه فقد ضل ضلالاً بعيداً كأنه لم يسمع بالمعروف إلا في الجاهلية الذين قطع الله أدبارهم ونهى المسلمين عن اتباع آثارهم وان الرجفة لم تأخذ أهل مدين إلا لسخاء كان فيهم ولا أهلكت الريح عاداً إلا لتوسع كان منهم فهو يخشى العقاب على الانفاق ويرجو الثواب على الاقتار ويعد نفسه خاسراً ويعدها الفقر ويأمرها بالبخل خيفة أن تمر به قوارع الدهر وان يصيبه ما أصاب القرون الأولى فاقم رحمك الله مكانك واصطبر على عسرك عسى الله أن يبدلنا وإياك خيراً منه زكاة وأقرب رحما .. ولبعض الكتاب أما بعد فان كثير المواعيد من غير نجح عار على المطلوب اليه وقلتها مع نجح الحاجة مكرمة من صاحبها وقد رددتنا في حاجتنا هذه في كثرة مواعيدك من غير نجح لها حتى كأنا قد رضينا بالتمائل لها دون النجاح .. كقول القائل

لا تجعلنا ككمون بمزرعة إن فاته الماء أروته المواعيد

وكتب آخر .. ما رأيت مثل طيب قولك أمره سوء فعلك ولا مثل بسط وجهك خالفه طول تنكيدك ولا مثل قرب عدتك باعدها افراط مطالك ولا مثل أنس مداعبك أوحش منه اختبار عواقبك حتى كأن الدهر أودعك لطيف الحيلة بالمكر بأهل الملة

وكأنه زينك فيهم بالخديعة لتدرك منهم فرصة الهلكة .. وقد قيل : وعد الكريم نقد وتعجيل ووعد اللئيم مطل وتأجيل .. وقال بعضهم : وعدتنا مواعيد عرقوب ومطالتنا مطل نعاس الكلب وغررتنا غرور السراب ومنيتنا أماني الكمون .. ولبعضهم : أما بعد فلا تدعن مملتاً بوعدك فالعذر الجميل أحسن من المطل الطويل فان كنت تريد الانعام فانجح وان تعذرت الحاجة فاوضح واعطني ذلك لأصرف وجه الطلب الى غيرك .. وذكروا ان فتى من مراد كان يختلف الى عمرو بن العاص فقال له ذات يوم : ألك امرأة . قال : لا . قال : فتزوج وعلي المهر . فرجع الى أمه فأخبرها الخبر فقالت

إذا حدثتك النفسُ أنك قادرٌ ... على ما حوت أيدي الرجال فكذبِ

فتزوج وأتى عمرو بن العاص فاعتل عليه ولم ينجز وعده فشكى ذلك الى أمه فقالت

لا تغضبنَّ على امرىءٍ في مالهِ ... وعلى كرائم حرّ مالك فاغضبِ

ووصف اعرابي رجلا فقال : له بشر مطمع ومطل مؤيس وكنتُ منه أبداً بين الطمع واليأس لا بذل سريع ولا مطل مريح .. وقال اعرابي : أنا من فلان في أماني تهبط العصم وخلف يذكر العدم ولست بالحريص الذى اذا وعده الكذوب عاق نفسه لديه وأتعب راحلته اليه .. وذكر اعرابي رجلا فقال : له مواعيد عواقبها المطل وثمارها الخلف ومحصولها اليأس .. وقال : سرعة اليأس أحد النجحين .. وقال بعضهم : مواعيد فلان مواعيد عرقوب ولمع الآل وبرق الخلب وأماني الكمون ونار الحباحب وصلف تحت الراعدة .. ومما قيل في ذلك

أروحُ وأغدُ نحوكُمْ في حوائجي ... فأصبحُ فيها غدوةً كالذي أمسى
وقد كنتُ أرجو للصديق شفاعتي ... فقد صرتُ أرضى أن أُشفّعَ في نفسي

ولأبي نواس

وعدتني وعدك حتى إذا ... أطمعتني في كنز قارون
جئت من الليل بمسألةٍ ... تغسلُ ما قلتَ بصابون

ولأبي تمام

يحتاجُ من يرتجي نوالكمُ إلى ثلاثٍ من غيرِ تكذيبِ
كنوزِ قارونَ أن تكونَ لهُ وعمرِ نوحٍ وصبرِ أيوبِ

وقال آخر

إني رأيتُ من المكارمِ حسبكمُ أن تلبسوا خزَّ الثيابِ وتشبعوا

وقال حسان بن ثابت

إني لأعجبُ من قولٍ غررتَ بهِ حلوٍ يمدُّ اليهِ السمعُ والبصرُ
لو تسمعُ العصمُ من صمِّ الجبالِ بهِ ظلتْ من الراسياتِ العصمُ تنحدرُ
كالخمرِ والشهدِ يجري فوقَ ظاهرهِ وما لباطنهِ طعمٌ ولا خبرُ
وكالسرابِ شبيهاً بالغديرِ وإن تبغِ السرابَ فلا عينٌ ولا أثرُ
لا ينبتُ العشبُ عن برقٍ وراعدةٍ غرّاء ليسَ لها سيلٌ ولا مطرُ

وقال آخر

رأيتُ أبا عثمانَ يبذلُ عرضهُ وخبزُ أبي عثمانَ في أحرزِ الحرزِ
يحنُّ الى جاراتهِ بعدَ شبعهِ وجاراتهُ غرثى تحنُّ إلى الخبزِ

وقال آخر

ما كنتُ أحسبُ أنَّ الخبزَ فاكهةٌ حتى نزلتُ على أوفى بنِ منصورِ
الحابسُ الروثَ في أعفاجِ بغلتهِ خوفاً على الحبِّ من لقطِ العصافيرِ

وقال آخر

نوالكَ دونهُ خرطُ القتادِ وخبزكَ كالثريا في البعادِ
ترى الإصلاحَ صومكَ لا لنسكٍ وكسرَ الخبزِ من عملِ الفسادِ

أرى عُمْرَ الرَّغيفِ يطولُ جدًّا … لديكَ كأنَّهُ مِنْ قومِ عادِ

وقال آخر

اللومُ منك على الطعام طباعُ … فعيالُ بيتك ما حييتَ جياعُ
وإذا يمرُّ بباب دارك سائلٌ … حملتْ عليه نوابحٌ وسباعُ
وعلى رغيفك حيةٌ مسمومةٌ … وعلى خوانك عقربٌ وشجاعُ

وقال آخر

يا تاركَ البيتِ على الضيفِ … وهارباً عنهُ منَ الخوفِ
ضيفُك قد جاء بخبزٍ لهُ … فارجعْ وكُنْ ضيفاً على الضيفِ
إذا شتهى الضيفُ طبيخَ الشتا … أتاهُ بالشهوةِ في الصيفِ
وإنْ دنا المسكينُ منْ بابهِ … شدَّ على المسكينِ بالسيفِ

وقال آخر

أرى ضيفكَ بالدارِ … وكَرْبُ الجوعِ يغشاهُ
على خبزِك مكتوبٌ … سيكفيكهمُ اللهُ

وقال آخر

لأبي نوحٍ رغيفٌ … أبدًا في حجرِ دايه
أبدًا يمسحهُ الدهـــرُ … بكمٍّ ووقايه
ولهُ كاتبُ سرٍّ … خطَّ فيهِ بعنايه
فسيكفيكهمُ اللـــهُ إلى آخر الآيه

وقال آخر

الخبزُ يُبطي حين يدعو به كأنَّه يَقدُمُ من قافِ
ويمدحُ الملحَ لأصحابه يقولُ هذا ملحُ سيرافِ
سيَّانِ أكلُ الخبزِ في داره وقلعُ عينَيْهِ بخُطَّافِ

وقال آخر

فتىً لا يغارُ على عِرسهِ ولكنْ يغارُ على خبزِهِ
فمنهُ يدُ الجودِ مقبوضةٌ وكفُّ السَّماحةِ في عجزِهِ

وقال آخر

يَصونونَ أثوابَهم في التُّخوتِ وأزواجُهم بَذلةٌ في السِّكَكْ
يُنحُّونَ مَنْ رامَ رُغفانَهم ويدنونَ مَن رامَ حلَّ التِّكَكْ

وقال آخر

أمَّا الرَّغيفُ على الخُوا نِ فمنْ حَماماتِ الحرَمْ
ما إنْ يُجَسُّ ولا يُمَسُّ ولا يُذاقُ ولا يُشَمْ
فتراهُ أخضرَ يابساً بالي النُّقوشِ من الهَرَمْ

وقال آخر

أتينا أبا طاهرٍ مُفطرينَ إلى داره فرجعنا صياما
وجاءَ بخبزٍ لهُ حامضٍ فقامتْ دعوتُه وقاموا كراما

وقال آخر

يبخلُ بالماء ولو أنهُ مُنغمسٌ في وَسطِ النِّيلِ
شُحّاً فلا تطمعْ في خبزِهِ ولو تشفَّعتَ بجبريلِ

وعن حذيفة بن محمد الطائي قال : قال الرشيد ما لأحد من المولدين ما لأبي

نواس فى الهجاء

وما رَوَّحتنا لتذبَّ عنَّا ولكن خفتَ مَرْزِئة الذُّباب

شرابُك كالسَّراب إذا التقينا وخبزُك عند منقطع التراب

وقال آخر

خانَ عهدي عمرٌو وما خنتُ عهدَه وجفاني وما تغيَّرتُ بعدَه

ليسَ لي ما حييتُ ذنبٌ إليهِ غيرَ أني يوماً تغدَّيتُ عندَه

وقال الخليل بن احمد العروضي الأزدي

فكفَّاهُ لم تُخلقا للندى ولمْ يكُ بُخلُهما بِدعه

فكفٌّ على الخبزِ مقبوضةٌ كما نقصتْ مائةٌ تِسعه

وكفٌّ ثلاثةُ آلافِها وتِسعُ مِئيها الهاشرعه[1]

وقال ابن أبي البغل

وكُلُّ مَنْ أجتديهِ في بلدٍ أرُومُ مما لديهِ فى صفَد

يعقِدُ لي باليسارِ أربعةً منقوصةً تِسعةً إلى العدَد

وقال آخر

أتيتُ أبا عمرٍو أُرجّي نوالَهُ فزادَ أبو عمرٍ على حزَني حزْنا

فكنتُ كباغي القرنِ اسلَمَ أذْنَهُ فآبَ بلا أذْنٍ ولمْ يستفِدْ قرْنا

(١) — ثبت فى هامش الاصل ما نصه وذكر جعفر بن محمد التميمي فى كتابه الجامع فى اللغة الشرعة المثل يقال هذا شرعة ذاك أي مثله وعلى هذا تأولوا قول الخليل رحمه الله فكف وذكر الابيات الثلاثة ثم قال يريد مثلها أي مثل الأولى وانا أرى أن تكون شرعة هاهنا دينا وسنة قال هذا لها دينا

محاسن الشجاعة

قيل .. كان باليمامة رجل من بني حنيفة يقال له جحدر بن مالك وكان لسناً فاتكاً شجاعاً شاعراً وكان قد أبرّ على أهل هجر وناحيتها فبلغ ذلك الحجاج بن يوسف فكتب الى عامل اليمامة يوبّخه بتلاعب جحدر به ويأمره بالتجرد في طلبه حتى يظفر به فبعث العامل الى فتية من بني يربوع بن حنظلة فجعل لهم جعلا عظيما ان هم قتلوا جحدراً أو أتوه به أسيراً ووعدهم أن يوفدهم الى الحجاج ويسني فرائضهم فخرج الفتية في طلبه حتى اذا كانوا قريباً منه بعثوا اليه رجلا منهم يريه أنهم يريدون الانقطاع اليه والتحرم به فوثق بهم واطمأن اليهم فبينما هم على ذلك اذ شدوه وثاقاً وقدموا به الى العامل فبعث به معهم الى الحجاج وكتب يثني على الفتية فلما قدموا على الحجاج قال له : أأنت جحدر . قال : نعم . قال : ما حملك على ما بلغني عنك . قال : جراءة الجنان وجفوة السلطان وكلب الزمان . قال . وما الذي بلغ من أمرك فيجتري جنانك ويصلك سلطانك ولا يكلب زمانك . قال : لو بلاني الأمير لوجدني من صالحي الاعوان وبهم الفرسان وممن أوفى على أهل الزمان . قال الحجاج : إنّا قاذفوك في قبّة فيها أسد فان قتلك كفانا مؤونتك وان قتلته خليناك ووصلناك . قال : قد أعطيتَ اصلحك الله الأمنيّة واعظمت المنة وقرّبت المحنة . فأمر به فاستوثق منه بالحديد وألقي في السجن وكتب الى عامله بكسكر يأمره أن يصيد له أسداً ضارياً فلم يلبث العامل أن بعث اليه بأسود ضاريات قد أبرّت على أهل تلك الناحية ومنعت عامة مراعيهم ومسارح دوابهم فجعل منها واحداً في تابوت يجرّ على عجلة فلما قدموا به على الحجاج أمر فألقي في حيّز وأجيع ثلاثاً . ثم بعث الى جحدر فاخرج وأعطي سيفاً ودُلّي عليه فمشى الى الاسد .. وأنشأ يقول

لَيْثٌ ولَيْثٌ في مَكانٍ ضَنْكِ ... كلاهما ذو أَنَفٍ ومَحْكِ

وصَوْلَةٍ في بَطْشَةٍ وفَتْكِ ... إنْ يَكْشِفِ اللهُ قِناعَ الشَّكِّ

وظَفَراً بِجُؤْجُؤٍ وبَرْكِ ... فَهوَ أَحقُّ مَنْزِلٍ بِتَرْكِ

الذئب يعوي والغراب يبكي

حتى اذا كان منه على قدر رمح تمطّى الأسد وزأر وحمل عليه فتلقاه جحدر بالسيف فضرب هامته ففلقها وسقط الأسد كأنه خيمة قوّضتها الريح فانثنى جحدر وقد تلطّخ بدمه لشدة حملة الأسد عليه فكبّر الناس . فقال الحجاج : يا جحدر ان أحببت أن الحقك ببلادك وأحسن صحبتك وجائزتك فعلت بك وان أحببت أن تقيم عندنا أقمت فأسنينا فريضتك . قال : أختار صحبة الأمير ففرض له ولجماعة أهل بيته .. وأنشأ جحدر يقول

يا جملُ إنكِ لو رأيتِ بسالتي ... في يوم هيجٍ مُرْدِفٍ وعجاجِ
وتقدُّمي لليثِ أرسفُ نحوهُ ... حتى أكابدهُ على الإحراجِ
جهمٌ كأنّ جبينهُ لمّا بدا ... طبقُ الرحا متفجّرُ الأثباجِ
يرنو بناظرتين تحسبُ فيهما ... من ظنَّ خالهما شعاعَ سراجِ
شثنٌ براثنهُ كأنّ نيوبهُ ... زُرْقُ المعاولِ أو شذاةُ زجاجِ
وكأنما خيطت عليه عباءةٌ ... برقاءُ أو خلقٌ من الديباجِ
قرنانِ مختصرانِ قد ربّتهما ... أمُّ المنيّةِ غيرُ ذاتِ نتاجِ
وعلمتُ أني إنْ أبيتُ نزالهُ ... أني من الحجّاجِ لستُ بناجِ
فمشيتُ أرسفُ في الحديدِ مكبّلاً ... بالموتِ نفسي عند ذاك أناجي
والناسُ منهم شامتٌ وعصابةٌ ... عبراتهم لي بالحلوقِ شواجي
ففلقتُ هامتهُ فخرّ كأنهُ ... أطمٌ تقوّضَ مائلَ الأبراجِ
ثمّ انثنيتُ وفي قميصي شاهدٌ ... مما جرى من شاخبِ الأوداجِ
أيقنتُ أني ذو حفاظٍ ماجدٌ ... من نسلِ أملاكٍ ذوي أتواجِ

فلئنْ قذفتُ إلى المنيةِ عامدًا إنّي لخيرِكِ بعدَ ذلكَ راجي

علِمَ النّساء بأنّني لا أنثني [1] إذْ لا يثِقنَ بغيرةِ الأزواجِ

وحكي عن الطفيل بن عامر العمري قال : خرجت ذات يوم أريد الغارة وكنت رجلا أحب الوحدة فبينا أنا أسير اذ ضللت الطريق الذي أردته فسرت أيّاماً لا أدري أين أتوجه حتى نفد زادي فجعلت آكل الحشيش وورق الشجر حتى أشرفت على الهلاك ويئست من الحياة فبينا أنا أسير اذ أبصرت قطيع غنم في ناحية من الطريق فملت اليها واذا شاب حسن الوجه فصيح اللسان قال لي : يا ابن العمّ أين تريد • فقلت: أردت حاجة لي في بعض المدن وما أظنني الا قد ضللت الطريق • فقال : أجل ان بينك وبين الطريق مسيرة أيّام فانزل حتى تستريح وتطمئن وتريح فرسك فنزلت فرمى لفرسي حشيشاً وجاء إليّ بثريد كثير ولبن ثم قام الى كبش فذبحه وأجج ناراً وجعل يكبب لي ويطعمني حتى اكتفيت فلما جنّنا الليل قام وفرش لي وقال : قم فارم بنفسك فان النوم أذهب لتعبك وارجع لنفسك فقمت ووضعت رأسي فبينا أنا نائم اذ أقبلت جارية لم تر عيناي مثلها قط حسنا وجمالا فقعدت الى الفتى وجعل كل واحد منهما يشكو الي صاحبه ما يلقى من الوجد به فامتنع علي النوم لحسن حديثهما فلما كان في وقت السحر قامت الى منزلها فلما أصبحنا دنوت منه فقلت له : ممن الرجل • قال : أنا فلان بن فلان • فانتسب لي فعرفته فقلت له : ويحك ان أباك لسيد قومه فما حملك على وضعك نفسك في هذا المكان • فقال : أنا والله أخبرك كنت عاشقاً لابنة عمي هذه التي رأيتها وكانت هي أيضاً لي وامقة فشاع خبرنا في الناس فأتيت عمي فسألته أن يزوجنيها فقال : يا بنيّ والله ما سألت شططاً وما هي بآثر عندي منك ولكن الناس قد تحدثوا بشيء وعمك يكره المقالة القبيحة ولكن انظر غيرها في قومك حتى يقوم عمك بالواجب لك • فقلت : لا حاجة لي فيما ذكرت وتحملت عليه بجماعة من قومي فردّهم وزوّجها رجلا من ثقيف له رئاسة وقدر فحملها الي ههنا ـ وأشار بيده الي خيم كثيرة بالقرب منا ـ

(١) ـ المشهور في رواية البيت (ممن يغار على النساء حفيظة البيت الخ

فضاقت عليّ الدنيا برحبها وخرجت فى اثرها فلما رأتنى فرحت فرحاً شديداً فقلت لها: لا تخبري أحداً انى منك بسبيل ثم أتيت زوجها وقلت : انا رجل من الازد أصبت دماً وانا خائف وقد قصدتك لما أعرف من رغبتك فى اصطناع المعروف ولى بصر بالغنم ان رأيت أن تعطيني من غنمك شيئاً فاكون فى جوارك وكنفك فافعل • قال : نعم وكرامة فاعطاني مائة شاة وقال لي : لا تبعد بها من الحي وكانت ابنة عمي تخرج اليّ كل ليلة في الوقت الذى رأيت وتنصرف فلما رأى حسن حال الغنم أعطانى هذه فرضيت من الدنيا بما ترى • قال : فاقمت عنده أياما فبينا انا نائم اذ نبهني وقال : ياأخا بني عامر • قلت له : ما شأنك • قال : ان ابنة عمي قد أبطأت ولم تكن هذه عادتها ووالله ما أظن ذلك إلا لأمر حادث نبه ني • فجعلت أحدثه .. فانشأ يقول

ما بالُ ميَّةَ لا تأتي كعادتِها هل هاجها طربٌ أو صدَّها شغلُ

لكنَّ قلبي لا يعنيه غيرُكمُ حتى المماتِ ولا لي غيرَكم أملُ

لو تعلمينَ الذي بي من فراقكمُ لما اعتذرتِ ولا طابتْ لكِ العللُ

نفسي فداؤكِ قد احللتِ بي حرقاً تكادُ من حرِّها الاحشاءُ تنفصلُ

لو كان عاديةٌ منهُ على جبلٍ لزالَ وانهدَّ من أركانه الجبلُ

فوالله ما اكتحل بغمض حتى انفجر عمود الصبح وقام ومرّ نحو الحيّ فابطأ عنى ساعة ثم أقبل ومعه شيء وجعل يبكي عليه • فقلت له : ما هذا • قال : هذه ابنة عمي افترسها السبع فأكل بعضها ووضعها بالقرب مني فاوجع والله قلبي ثم تناول سيفه ومرّ نحو الحي فابطأ هنيهة ثم أقبل الي وعلى عاتقه ليث كأنه حمار فقلت له : ما هذا • قال : صاحبي • قلت : وكيف علمته • قال : اني قصدت الموضع الذى أصابها فيه وعلمت أنه سيعود الى ما فضل منها فجاء قاصداً الى ذلك الموضع فعلمت انه هو فحملت عليه فقتلته ثم قام فحفر فى الارض فامعن وأخرج ثوبا جديداً وقال : يا أخا بني عامر اذا انا مت فادرجني معها فى هذا الثوب ثم ضعنا فى هذه الحفرة وهل التراب واكتب هذين

البيتين على قبرنا وعليك السلام

كُنَّا على ظَهْرِها والعيشُ في مَهَلٍ ... والدهرُ يجمعُنا والدارُ والوطَنُ

فخاننا الدهرُ في تفريقِ أُلفتنا ... واليومَ يجمعُنا في بطنِها الكفَنُ

ثم التفتَ الى الأسد وقال

ألا أيُّها الليثُ المُدِلُّ بنفسهِ ... هُبِلتَ لقد جرَّتْ يداكَ لنا حُزْنا

وغادرتَني فرداً وقد كنتُ آلِفاً ... وصيَّرتَ آفاقَ البلادِ لنا سِجْنا

أأَصحبُ دهراً خانني بفراقِها ... معاذَ إلهي أنْ أكونَ لهُ خِدْنا

ثم قال : يا أخا بنى عامر اذا فرغت من شأننا فصح فى أدبار هذه الغنم فردّها الى صاحبها ثم قام الى شجرة فاختنق حتى مات فقمت فادرجتهما فى ذلك الثوب ووضعتهما فى تلك الحفرة وكتبت البيتين على قبرهما ورددت الغنم الى صاحبها وسألنى القوم فأخبرتهم الخبر فخرج جماعة منهم فقالوا والله لننحرن عليه تعظيما له فخرجوا وأخرجوا مائة ناقة وتسامع الناس فاجتمعوا الينا فنحرت ثلاثمائة ناقة ثم انصرفنا ٠ وقيل لما كان من أمر عبد الرحمن بن الأشعث الكندى ما كان قال الحجاج اطلبوا لى شهاب بن حرقة السعدى فى الأسرى أو القتلى فطلبوه فوجدوه فى الأسرى فلما أدخل على الحجاج قال له من انت قال انا شهاب بن حرقة قال والله لأقتلنك قال لم يكن الأمير بالذى يقتلنى قال ولمَ قال لأنّ فىّ خصالا يرغب فيهن الأمير قال وما هى قال ضروب بالصفيحة هزوم للكتيبة أحمى الجار وأذب عن الذمار واجود على العسر واليسر غير بطىء عن النصر قال الحجاج ما احسن هذه الخصال فاخبرنى بأشد شىء مرّ عليك قال نعم اصلح الله الأمير

بينما أنا أسير ✽ ومركبى ✽ فى عصبة من قومى ✽ فى ليلتى ويومى

يعدون كالأجادل ✽ فى الحرب كالبواسل ✽ انا المطاع فيهم ✽ فى كل ما يليهم

فسرت خمساً عوماً ✽ وبعد خمس يوما ✽ حتى وردت ارضا ✽ ما ان ترام عرضا

من بلد البحرين ✽ عند طلوع العين ✽ فوجدتهم نهارا ✽ النفس المغارا

حتى اذا كان السحر ✽ من بعد ما غاب القمر ✽ اذا أنا بعير ✽ يقودها خمسير

موقرة متساعا * مقبلة سراعا
فصلت بالسنان * مع سادة فتيان

فسقتها جميعا * أحثها سريعا
أريد رمل عالج * أمعج بالمناجج

أسير في الليالي * خرقاً بعيداً خالي
وقد لقينا تعبا * وبعد ذاك نصبا

حتى اذا هبطنا * من بعد ما صعدنا
عنت لنا بيدانه * قد كان فيها عانه

رميتها بقوسي * في مهمه كالترس
حتى اذا ما أمعنت * بالقفر ثم درمت

وردت قصراً آمنهلا * في جوفه ظام حلا
وعنده خييمه * في جوفها نعيمه

عزيزة كالشمس * فاقت جميع الأنس
فعجت مهري عندها * حتى وقفت معها

حييت ثم ردت * في لطف وحيت
فقلت يا لعوب * والطفلة العروب

هل عندكم قراء * إذ نحن بالعراء
قالت نعم برحب * في لطف وقرب

أربع هنا عتيدا * ولا تكن بعيدا
حتى يجيئك عامر * مثل الهلال زاهر

فعجت عن قريب * في باطن الكثيب
حتى رأيت عامرا * يحمل ليثاً خادرا

على عتيق سابح * كمثل طود اللائح

قال : وكان الحجاج متكئاً فاستوى جالساً ثم قال : ويحك دعنا من السجع والرجز وخذ في الحديث . قال : نعم أيها الأمير ثم نزل فربط فرسه وجمع حجارة وأوقد عليها ناراً وشق عن بطن الأسد وألقى مراقه في النار فجعلت أصابح الله الامير أسمع للحم الأسد نشيشاً فقالت له نعيمة : قد جاءنا ضيف وأنت في الصيد . قال : فافعل . قالت . ها هو ذالك بظهر الكثيب والخيمة فأومأت الي فأتيتها فاذا أنا بغلام أمرد كأن وجهه دارة القمر فربط فرسي الى جنب فرسه ودعاني الى طعامه فلم أمتنع من أكل لحم الاسد لشدة الجوع فاكلت أنا ونعيمة منه بعضه وأتى الغلام على آخره ثم مال الى زق فيه خمر فشرب ثم سقاني فشربت ثم شرب الغلام حتى أتى على آخره فبينا نحن كذلك اذ سمعت وقع حوافر خيل أصحابي فقمت وركبت فرسي وتناولت رمحي وصرت معهم ثم قلت : يا غلام خل عن الجارية ولك ما سواها . فقال : ويلك احفظ الممالحة . قلت : لا بد من الجارية . فالتفت اليها وقال لها : قفي ثم قال : يا فتيان هل لكم في العافية والا فارس وفارس . فبرز اليه رجل من أصحابي فقال له الغلام : من أنت فلست

أقاتل من لا أعرفه ولا أقاتل الا كفؤاً أعرفه . فقال : أنا عاصم بن كلـ[illegible]
فشد عليه .. وأنشأ يقول

إنك يا عاصمُ بي لجاهـل ... إذ رُمتَ أمراً أنت عنه ناكل
إني كميٌّ في الحروب باسلْ ... ليثٌ إذا اصطكَّ الليوثُ بازل
ضرّابُ هاماتِ المدى منُازل ... قتّالُ أقرانِ الوغا مقاتل

ثم طعنه فقتله وقال : يا فتيان هل لكم في العافية والا فارس وفارس فتقدم اليه آخر من أصحابي فقال له الغلام : من أنت . فقال : أنا صابر بن حرقة . فشد عليه وأنشأ يقول

إنكَ والإلهِ لستَ صابرا ... على سنانٍ يجلبُ المقادِرا
ومنصلٍ مثلَ الشهابِ باترا ... في كفِّ قرمٍ يمنعُ الحرائرا
إني إذا رُمتُ امرأً فآسرا ... يكونُ قِرني في الحروبِ بائرا

ثم طعنه فقتله وقال : يا فتيان هل لكم في العافية والا فارس لفارس فلما رأيت ذلك هالني أمره وأشفقت على أصحابي فقلت : احملوا عليه حملة رجل واحد فلما رأى ذلك انشأ يقول

الآنَ طابَ الموتُ ثمَّ طابا ... إذ تطلبونَ رخصةً كعابا
ولا نُريدُ بعدَها عتابا

فركبت نعيمة فرسها وأخذت رمحها فما زال يجالدنا ونعيمة حتى قتل منا عشرين رجلا فاشفقت على أصحابي فقلت : يا غلام قد قبلنا العافيـة والسلامة . فقال : ما كان أحسن هذا لو كان أولا ونزلنا وسالمنا ثم قلت يا عامر بحق الممالحة من انت قال انا عامر بن حرقة الطائي وهذه ابنة عمي ونحن في هذه البرّية منذ زمان ودهر عامر بيا انسي عبركم فقلت من أين طعامكم قال حشرات الطير والوحش والسباع قلت فمن أين شرابكم قال الخمر أجلبها من بلاد البحرين كل عام مرة او مرتين قلت ان هي مائة من

الابل موقرة متاعاً نخذ منها حاجتك فقال لا أرب لي فيها ولو أردت ذلك لكنت أقدر عليه فارتحلنا عنه منصرفين . فقال الحجاج . الآن يا عدوّ الله طاب قتالك لندرك بالفتى قال كان خروجي على الامير اصلحه الله اعظم من ذلك فان عفى عني الامير رجوت أن لا يؤاخذني بغيره . فأطلقه ووصله ورده الى بلده

﴿ ضـدّه ﴾

قال .. دخل ابو زبيد الطائي على عثمان بن عفّان في خلافته وكان نصرانياً فقال له بلغني انك تجيد وصف الأسد . فقال له : لقد رأيت منه منظراً وشهدت منه مخبراً لا يزال ذكره يتجدد على قلبي . قال : هات ما مرّ على رأسك منه . قال : خرجت يا أمير المؤمنين في صُيابة من أفناء قبائل العرب ذوي شارة حسنة ترتمي بنا المهاري باكسائها القزوانيات ومعنا البغال عليها العبيد يقودون عتاق الخيل نريد الحارث بن أبي شمر الغسّاني ملك الشام فاخروّط بنا المسير في حمارّة القيظ حتى اذا عصبت الأفواه وذبلت الشفاه وشالت المياه واذكت الجوزاء المعزاء وذاب الصيخد وصرّ الجندب وضاق العصفور العنب في وجاره . قال قائلنا : ايها الركب غوّروا بنا في دوح هذا الوادي فاذا واد كثير الدغل دائم الغلل شجراؤه مغنّة وأطياره مرنّة فحططنا رحالنا بأصول دوحات كنهبلات فاصبنا من فضلات المزاود واتبعناها بالماء البارد فانّا لنصف حرّ يومنا ومماطلته ومطاولته إذ صرّ أقصى الخيل أذنيه وفحص الأرض بيديه ثم ما لبث أن جال فحمحم وبال فهمهم ثم فعل فعله الذي يليه واحد بعد واحد فتضعضعت الخيل وتكعكعت الابل وتقهقرت البغال فمن نافر بشكاله وناهض بعقاله فعلمنا أن قد أتينا وانه السبع لا شكّ فيه ففزع كل امرئ منا إلى سيفه واستله من جُربانه ثم وقفنا له رزدقاً فاقبل يتظالع في مشيته كأنه مجنوب او في هجار لصدره نحيط ولبلاعيمه غطيط ولطرفه وميض ولارساغه نقيض كأنما يخبط هشيما او يطأ صريماً واذا هامة كالمجنّ وخدّ كالمسنّ وعينان سجراوان كأنهما سراجان يقدان وقصرة ربلة ولهزمة رهلة وكتد مُغبط وزور مفرط وساعد مجدول وعضد مفتول وكف شثنة البراثن الى مخالب كالمحاجن ثم ضرب

بذنبه فارهج وكشر فافرج عن أنياب كالمعاول مصقولة غير مفلولة وفم أشدق كالغار الأخرق ثم تملى فأسرع بيديه وحفز وركيه برجليه حتى صار ظله مثليه ثم أقعى فاقشعر ثم مثل فاكفهر ثم تجهم فازبأر فلا والذي بيته في السماء ما اتقيناه بأول من أخ لنا من بني فزاره كان ضخم الجزاره فوهصه ثم أقعصه فقضقض متنه وبقر بطنه فجعل يلغ في دمه فذمرت أصحابي فبعد لأي ما استقدموا فكر مقشعر الزبرة كأن به شيهماً حولياً فاختلج من دوني رجلا أعجر ذا حوايا فنفضه نفضة تزايلت أوصاله وانقطعت أوداجه ثم نهم فقرقر ثم زفر فبربر ثم زأر فجرجر ثم لحظ فوالله لخلت البرق يتطاير من تحت جفونه عن شماله ويمينه فارتعشت الأيدي واصطكت الأرجل وأطت الأضلاع وارتجت الأسماع وحملجت العيون وانخزلت المتون ولحقت الظهور البطون ثم ساءت الظنون .. وانشأ يقول

عبوسٌ شموسٌ مُصلخِدٌ خنابسٌ ... جريٌ على الأرواح للقرن قاهرُ
منيعٌ ويحمي كلَّ وادٍ يرومُه ... شديدٌ أصولِ الماضغين مكابرُ
براثنه شثْنٌ وعيناه في الدجى ... كجمرِ الغضا في وجهه الشرُّ ظاهرُ
يدلُّ بأنيابٍ حدادٍ كأنها ... إذا قلص الأشداق عنها خناجرُ

فقال عثمان : اكفف لا أم لك فقد أرعبت قلوب المسلمين ولقد وصفته حتى كأني أنظر اليه يريد يواثبني .. وقيل في المثل : هو أجبن من هجرس — وهو القرد — وذلك انه لا ينام الا وفي يده حجر مخافة أن يأكله الذئب .. وحدثنا رجل بمكة قال : اذا كان الليل رأيت القرود تجتمع في موضع واحد ثم تبيت مستطيلة واحداً في أثر واحد في يد كل واحد منهم حجر لئلا ترقد فيأتيها الذئب فيأكلها وان نام واحد وسقط الحجر من يده فزع فتحرك الآخر فصار قدامه فلا تزال كذلك طول الليل فتصبح وقد صارت من الموضع الذي باتت فيه على ثلاثة أميال أو أكثر جبناً .. وقيل : هو أجبن من صافر .وهو طائر يتعلق برجليه وينكس رأسه ثم يصفر ليلته كلها خوفاً من أن ينام فيؤخذ .. وقيل أيضاً : هو أجبن من المنزوف ضرطاً .وكان من حديثه أن

نسوة من العرب لم يكن لهن رجل فتزوجت واحدة منهن برجل كان ينام الى الضحى فاذا اتاه ضربته وقالت له قم فاصطبح ويقول : لو لعادية نبهتني ــ أي خيل عادية عليكن مغيرة فادفعها عنكن ــ فلما رأين ذلك فرحن وقلن ان صاحبنا لشجاع ثم أقبلن وقلن تعالين نجربه فأتينه كما كن يأتينه فأيقظنه فقال : لو لعادية نبهتني ، فقلن له : نواصي الخيل معك ، فجعل يقول : الخيل الخيل ويضرط حتى مات فضرب به المثل ..

وقيل لجبان : انهزمت فغضب الأمير عليك ، قال : يغضب الأمير وأنا حي أحبّ إليّ من أن يرضى وانا ميت .. وقيل لبعض الجبّان : مالك لا تغزو ، قال : والله اني لأبغض الموت على فراشي فكيف أمرّ اليه ركضاً .. قال : وقال الحجاج لحميد الارقط وقد أنشده قصيدة يصف فيها الحرب : يا حميد هل قاتلت قط ، قال لا أيها الأمير إلّا في النوم ، قال : وكيف كانت وقعتك ، قال : انتبهت وأنا منهزم .. ومما قيل في ذلك من الشعر

ظلّتْ تُشجّعني هندٌ بتضليلِ	وللشّجاعة خطبٌ غيرَ مجهولِ
هاتي شُجاعاً لغيرِ القتلِ مصرعهُ	اوجدكِ ألفَ جبانٍ غيرِ مقتولِ
الحرْبُ تُوسعُ منْ يصلي بها حرباً	يُتمَ العيالِ وإثكالَ المثاكيلِ
اسمُ الوغى اشتقّ منْ غوغاءِ مجرِبها	يغدُونَ للموتِ كالطيرِ الأبابيلِ
واللهِ لوْ أنّ جبريلاً تكفّلَ لي	بالنّصرِ ماخاطرتْ نفسي لجبريلِ
هلْ غيرَ أنْ يعذِروني أنني فشلٌ	فكانَ هذا نعمْ فاغزُوا بتعزيلي
إنْ أعتذِرْ منْ فراري في الوغى أبدا	كانَ اعتذاري رديداً غيرَ مقبولِ
إسمعْ أُخبّرْكَ عنْ بأسي بذي سلبٍ	خلافَ بأسِ المساعيرِ البهاليلِ
لمّا بدتْ منهمُ نحوي عشوزنةٌ	شنعاءُ تشرعُ في عرضي وفي طولي

فقلت ويحكم لا تزهبوا جلدي رمحي كسير وسيفي غير مصقول

لما اتقيتهم طوعاً بذات يدي وانصرفت أطوي الفلا ميلاً إلى ميل

الله خلصني منهم وفلسفتي حتى تخلصت مخضوب السراويل

وقال آخر

أضحت تشجعني هند فقلت لها إن الشجاعة مقرون بها العطب

لا والذي حجت الأنصار كعبته ما يشتهي الموت عندي من له أرب

للحرب قوم أضل الله سعيهم إذا دعتهم الي حومانها وثبوا

ولست منهم ولا أهوى فعالهم لا القتل يعجبني منهم ولا السلب

وقال آخر

يقول لي الأمير بغير جرم تقدم حين حل بنا المراس

فمالي إن أطعتك في حياة ولا لي غير هذا الراس راس

محاسن حب الوطن

قال عمر بن الخطاب : لولا حب الوطن لخرب بلد السوء ، وكان يقال : بحب الاوطان عمرت البلدان .. وقال جالينوس : يتروح العليل بنسيم أرضه كما تتروح الارض الجدبة ببل المطر .. وقال بقراط : يداوى كل عليل بعقاقير أرضه فان الطبيعة تنزع الى غذائها .. ومما يؤكد ذلك قول اعرابي وقد مرض بالحضر فقيل له : ما تشتهي . فقال: مخيضاً روياً وضباً مشوياً .. وقد قيل : أحق البلدان بنزاعك اليها بلد أمسك حلب رضاعه .. وقيل : احفظ أرضاً ارضعتك رضاعها واسلمك غذاؤها وارع حمى اكتنفك فناؤه .. وقيل : لا تنتك بلداً فيه قبالتك .. وقيل : من علامة الرشد أن تكون النفس

الى أوطانها مشتاقة والى مولدها توّاقة .، وحدثنا بعض بني هاشم قال قلت لاعرابي من اين اقبلت قال من هذه البادية قلت واين تسكن منها قال مساقط الحمى حمى ضريّة ما إن لعمر الله أريد بها بدلا ولا ابتغي عنها حولا حفّتها الفلوات فلا يملولح ماؤها ولا تحمى تربتها ليس فيها أذى ولا قذى ولا وعك ولا موم ونحن بأرفه عيش واوسع معيشة واسبغ نعمة قلت فما طعامكم قال بخ بخ الهبيد والضباب واليرابيع مع القنافذ والحيات وربّما والله أكلنا القدّ واشتوينا الجلد فلا نعلم احداً أخصب منا عيشاً فالحمد لله على مارزق من النعمة وبسط من حسن الدعة .، وقيل لاعرابي كيف تصنع بالبادية اذا انتصف النهار وانتعل كل شئ ظله فقال وهل العيش إلّا ذاك يمشي أحدنا ميلا فيرفضّ عرقاً كأنه الجمان ثم ينصب عصاه ويلقي عليها كساه وتقبل الرياح من كل جانب فكأنه في ايوان كسرى .، وقال بعض الحكماء عسرك في بلدك خير من يسرك في غربتك .، وقيل لاعرابي ما الغبطة قال الكفاية ولزوم الاوطان والجلوس مع الاخوان ، وقيل فما الذل قال التنقل في البلدان والتنحي عن الاوطان .، وقال بعض الأدباء الغربة ذلّة والذلّة قلّة .، وقال الآخر لا تنهض عن وطنك ووكرك فتنقصك الغربة وتضمتك الوحدة .، وشبه الحكماء الغريب باليتيم اللطيم الذي ثكل ابويه فلا ام ترأمه ولا أب يحدب عليه .، وكان يقال الغريب عن وطنه ومحل رضاعه كالفرس الذي زايل ارضه وفقد شربه فهو ذاو لا يثمر وذابل لا ينضر .، وكان يقال الجالي عن مسقط رأسه كالعير الناشز عن موضعه الذي هو لكل سبع فريسة ولكل كلب قنيصة ولكل رام رميّة .، واحسن من ذلك واصدق قول الله عزّ وجلّ (ولولا أنْ كَتَبَ اللهُ عليهمُ الجَلاءَ) وقال تعالى (ولوْ أنّا كَتَبْنا عليهم أنِ اقتُلوا أنفُسَكم اوِ اخرُجوا مِنْ دِيارِكم ما فعلوهُ إلّا قليلٌ منهم) فقرن جلّ ذكره الجلاء عن الوطن بالقتل ، وقال تقدّست اسماؤه (وما لَنا ألّا نُقاتِلَ في سَبيلِ اللهِ وقد أُخرِجنا مِن دِيارِنا وأبنائنا) فجعل القتال بازاء الجلاء .، وقال النبيّ صلى الله عليه وسلم الخروج عن الوطن عقوبة .، ومما قيل في ذلك من الشعر

اذا ماذكرتُ الثغرَ فاضتْ مدامعي ... وأضحى فؤادي نهبةً للهماهم

حنيناً إلى أرض بها اخضرّ شاربي — وحُلّتْ بها عنّي عقود التمائم
وألطف قوم بالفتى أهلُ أرضه — وأرعاهمُ للمرء حقّ التقادم

وقال آخر

أحنّ إلى أرض الحجاز وحاجتي — خيامٌ بنجدٍ دونها الطرْف يقصُرُ
وما نظري من نحو نجدٍ بنافعي — أجلْ لا ولكني على ذاك أنظرُ
ففي كلّ يومٍ نظرةٌ ثمّ عبرةٌ — لعينيك يجري ماؤها يتحدّرُ
متى يستريحُ قلبٌ فإمّا مُجاوِرٌ — حزينٌ وإمّا نازحٌ يتذكّرُ

وقال آخر

نقّلْ فؤادكَ حيثُ شئتَ من الهوى — ما الحبُّ إلاّ للحبيبِ الأوّلِ
كمْ منزلٍ في الأرضِ يألفه الفتى — وحنينُهُ أبداً لأوّلِ منزلِ

وقال ابن أبي السرح قرأت على حائط بيتٍ شعر وهما

إنّ الغريبَ ولو يكونُ ببلدةٍ — يُجبى إليه خراجُها لغريبُ
وأقلُّ ما يلقى الغريبُ من الأذى — أنْ يستذلَّ وأنْ يقالَ كذوبُ

قال وقرأت على حائط بعسكر مكرم

إنّ الغريبَ إذا ينادي موجعاً — عند الشدائدِ كان غيرَ مجابِ
فاذا نظرتَ إلى الغريبِ فكنْ لهُ — مترحّماً لتباعُدِ الأحبابِ

وقال وقرأت على حائط ببغداد

غريبُ الدّارِ ليس له صديقْ — جميعُ سؤالهِ أينَ الطريقْ
تعلّقَ بالسؤالِ لكلِّ شيءٍ — كما يتعلّقُ الرجُلُ الغريقْ

فلا تجزعْ فكلُّ فتىً سيأتي ... على حالاته سعةٌ وضيقُ

قال ووجدت على حائط باب مكتوباً

عليكَ سلامُ اللهِ يا خيرَ منزلٍ ... رحلْنا وخلّفناكَ غيرَ ذميمِ

فإنْ تكنِ الأيّامُ فرّقنَ بيننا ... فما أحدٌ من ريبِها بسليمِ

وقال آخر

وإنّ اغترابَ المرءِ من غيرِ حاجةٍ ... ولا فاقةٍ يسمو لها لعجيبُ

فحسبُ امرئٍ ذُلّاً ولو أدركَ الغنى ... ونالَ ثراءً أنْ يقالَ غريبُ

وقال آخر

إنّ الغريبَ وإنْ يكنْ في غبطةٍ ... لمعذَّبٌ وفؤادُهُ محزونُ

ومتى يكونُ معَ التغرّبِ عاشقاً ... ومفارِقاً يا ربِّ كيفَ يكونُ

وقال آخر

إنّ الغريبَ ذليلٌ أينَ ما سلكا ... لوْ أنّهُ ملكٌ كلَّ الورى ملكا

إذا تغنّى حمامُ الأيكِ في غُصُنٍ ... حنَّ الغريبُ إلى أوطانِهِ فبكى

وقال آخر

سلِ اللهَ الإيابَ منَ المغيبِ ... فكم قدْ ردَّ مثلكَ منْ غريبِ

وسلِّ الحزْنَ منكَ بحسنِ ظنٍّ ... ولا تيأسْ منَ الفرجِ القريبِ

وقال آخر

تصبّرْ ولا تعجلْ وُقيتَ منَ الرّدى ... لعلَّ إيابَ الظاعنينَ قريبُ

فقلتُ وفي قلبي جوىً لفراقِها ... ألا لا تصبِّرْني فلستُ أُجيبُ

وقال آخر

أعاذِلَ حبي للغريبِ سَجيةٌ ... وكلُّ غريبٍ للغريبِ حَبيبُ
لئن قلتُ لم أجزعْ من البَينِ إنهم ... مَضَوا لطيتهمْ إني إذاً لكَذُوبُ
بلى غمراتُ الشوقِ أضرمتِ الحشا ... ففاضتْ لها من مقلتيَّ غروبُ

وقال آخر

إذا اغترَبَ الكريمُ رأى أموراً ... مُحِلّةً يَشيبُ لها الوَليدُ

وقال آخر

ما كنتُ أحسبُ أن يكو ... نَ كذا تفرُّقُنا سَريعا
بَخِلَ الزّمانُ عليَّ أنْ ... نَبقى كما كُنّا جَميعا
فأحلّني في بلدةٍ ... وأحلّكَ البلدَ الشّسيعا
قد كنتُ أنتظرُ الوصا ... لَ فصِرتُ أنتظرُ الرُّجوعا

وقال آخر

نَسيمُ الخُزامى والرِّياحُ التي جرَتْ ... بنَجدٍ علي نجدٍ تُذكِّرُني نَجْدا
أتاني نسيمُ السدْرِ طيباً إلى الحِمى ... فذكّرني نجْدًا فقطّعني وَجْدا

وفى معناه (الدعاء للمسافر) بايمن طالع وأسرّ طائر .. ولا كبا بك مركب ولا اشتّ بك مذهب ولا تعذّر عليك مطلب .. سهل الله لك السير وأنالك القصد وطوى لك البعد بمسرة الظفر وكرامة المدخر .. على الطائر الميمون والكوكب السعدالى حيث تتقاصر ايدى الحوادث عنك وتتقاعس نوائب الأيام دونك بسهولة المطالب ونجاح المنقلب .. كان الله لك في سفرك خفيراً وفى حضرك ظهيراً بسعي نجيح وأوب سريع .. بمترك الله تعالى وهداك رحالك وسرّ بأوبتك أهلك ولا زلت آمنا مقيما وظاعنا بأسعد جد وأنجح

مطلب وأسر منقلب وأكرم بدأة واحمد عاقبة .. اشخص مصحوبا بالسلامة والكلاءة آئباً بالنجح والغبطة محوطاً فيما تطالبه بالعناية والشفقة .. في ودائع الله وكنفه وجواره وستره وأمانه وحفظه وذمامه .. وقال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم: اني أريد سفراً . فقال : في كنف الله وستره زودك الله التقوى ووجهك الى الخير حيث ما كنت أستخلف الله فيك وأستحفظه منك .. وقال الشاعر

في كنفِ اللهِ وفي ستره   من ليسَ يخلو القلبُ من ذكرِه

وقال آخر

إرحل أبا بشرٍ بأيمنِ طائرٍ   وعلى السعادةِ والسلامةِ فانزلِ

﴿ ضده ﴾

قال بعض حكماء الفلاسفة اطلبوا الرزق في البعد فانكم ان لم تكسبوا مالا غنمتم عقلا كثيراً .. وقال آخر لا يألف الوطن الا ضيق العطن .. وقيل لا توحشنك الغربة اذا آنستك النعمة .. وقيل المقتر في الأهل مصروم والغني في الغربة موصول .. وقال لا تستوحش من الغربة اذا أنست مصروما .. وقيل أوحش قومك ما كان في ايحاشهم أنسك واهجر وطنك ما نبت عنه نفسك .. وانشد

لا يمنعنكَ خفضُ العيشِ في دعةٍ   نزوعُ نفسٍ إلى أهلٍ وأوطانِ

تلقى بكلِّ بلادٍ إنْ حللتَ بها   أهلاً بأهلٍ وجيراناً بجيرانِ

وقال آخر

نبتْ بكَ الدارُ فسرْ آمناً   فللفتى حيثُ انتهى دارُ

وفي معناه (الدعاء على المسافر) بالبارح الاشأم والسانح الاعضب والصرد الأنكد والسفر الأبعد .. لااستدرت به مطيته ولا استتبت به امنيته ولا تراخت منيته .. بنحس مستمر وعيش مر .. لا قرى اذا استضاف ولا أمن اذا خاف .. ويقال ان علياً عليه

السلام لما اتصل به مسير معاوية قال لا أرشد الله قائده ولا أسعد رائده ولا اصاب غيثاً ولا سار الا ريثاً ولا رافق الّا ليثاً ابعده الله واسحقه واوقد على أثره واحرقه لا حفظ الله رحله ولا كشف محله ولا بشر به اهله لا زكى له مطلب ولا رحب له مذهب ولا يسر له مراما لا فرج الله له غمه ولا سرّي همه لا سقاه الله ماء ولا حلّ عقده ولا اورى زنده جعله الله سفر الفراق وعصى الشقاق ،، وانشد

بأنكدِ طائرٍ وبشرّ فالِ ... لأبعدِ غايةٍ وأخسّ حالِ

بحدّ السدّ حيثُ يكونُ منّي ... كما بينَ الجنوبِ إلي الشمالِ

غريباً تمتطي قدميك دهراً ... على خوف تحن إلي العيالِ

وقال آخر

إذا استقلّت بك الركابُ ... فحيثُ لا درّت السحابُ

وحيثُ لا تبتغي فلاحاً ... وحيثُ لا يرتجي إيابُ

وحيثُ ما دُرتَ فيه يوماً ... قابلكَ الذئبُ والغرابُ

وقال آخر

فسر بالنحوس إلي بلدة ... نمسّ فيها ولا ترزقْ

ولا تمرع الارض من زهرة ... ولا يثمر الشجرُ المورقْ

تفيض البحار بها مرّة ... وبكدى السحاب بها المغدقْ

وقال آخر

أدني خطاك الهند والصين ... وكلّ نحس بك مقرون

بحيث لا يأنس مستوحش ... وحيث لا يفرح محزون

تهوي بك الأرض إلى بلدة ... ليس بها ماء ولا طين

محاسن الدهاء والحيل

الهيثم بن الحسن بن عمار قال .. قدم شيخ من خزاعة أيام المختار فنزل على عبد الرحمن بن أبان الخزاعي فلما رأى ما تصنع سوقة المختار من الإعظام جعل يقول : يا عباد الله أبا المختار يصنع هذا والله لقد رأيته يتتبع الإماء بالحجاز فبلغ ذلك المختار فدعا به وقال : ما هذا الذي بلغني عنك • قال : الباطل • فأمر بضرب عنقه • فقال : لا والله لا تقدر على ذلك • قال : ولِمَ • قال : اما دون أن أنظر اليك وقد هدمتَ مدينة دمشق حجراً حجراً وقتلت المقاتلة وسبيت الذرّيّة ثم تصلبني على شجرة على نهر والله انى لأعرف الشجرة الساعة وأعرف شاطئ ذلك النهر فالتفت المختار الى أصحابه فقال لهم : ان الرجل قد عرف الشجرة فحبس حتى اذا كان الليل بعث اليـه فقال : يا أخا خزاعة أومزاح عند القتل • قال : انشدك الله أن أقتل ضياعا • قال : وما تطلب هنا • قال : أربعة آلاف درهم اقضى بها دينى • قال : ادفعوها اليه وإياك أن تصبح بالكوفة فقبضها وخرج عنه .. قال كان سراقة البارقي من ظرفاء أهل الكوفة فأسره رجل من أصحاب المختار فأتي به المختار فقال له : أسرك هذا • قال سراقة : كذب والله ما أسرني إلا رجل عليه ثياب بيض على فرس أبلق • فقال المختار : الا ان الرجل قد عاين الملائكة خلوا سبيله • فلما أفلت منه أنشأ يقول

ألا أبلغْ أبا إسحاق أنى رأيتُ البلقَ دُهماً مُصْمَتاتِ
أُرِى عَيْنيَّ مالمْ ترَأياهُ كلانا عالمٌ بالتُّرَّهاتِ
كفرتُ بوحيكمْ وجعلتُ نذراً عليَّ قتالكمْ حتّى المماتِ

وعنه قال .. كان الأحوص بن جعفر المخزومي يتغدّى في دبر الثلج في يوم شديد البرد ومعه حمزة بن بيض وسراقة البارقي فلما كان على ظهر الكوفة وعليه الوبر والخز وعليهما الأطمار قال حمزة لسراقة : أين يذهب بنا في البرد ونحن في أطمار • قال :

سأكفيك فبينا هو يسير إذ دنا منهم راكب مقبل فحرك سراقة دابته نحوه وواقفه ساعة ولحق بالأحوص فقال له ما خبرك الراكب . قال : زعم ان خوارج خرجت بالقطقطانة . قال : بعيد . قال : ان الخوارج تسير في ليلة ثلاثين فرسخا وأكثر . وكان الأحوص أحد الجبناء فثنى رأس دابته وقال : ردوا طعامنا نتغدى في المنزل فلما حاذى منزله قال لأصحابه : ادخلوا ومضى الى خالد بن عبد الله القسري فقال : خرجت خارجة بالقطقطانة . فنادى خالد في العسكر فجمعهم ووجه خيلا تركض نحو الماء لتعرف الخبر فاعلموه أنه لا أصل للخبر . فقال للأحوص : من أعلمك بهذا . قال : سراقة . قال : وأين هو . قال : في منزلي . فأرسل اليه من أتاه به قال : أنت أخبرته عن الخارجة . قال : ما فعلت أصلح الله الأمير . قال له الأحوص: أتكذبني بين يدي الأمير . قال خالد : ويحك أصدقني . قال : نعم أخرجنا في هذا البرد وقد ظاهر الخز والوبر ونحن في أطمارنا هذه فأحببت أن أرده . فقال له خالد : ويحك وهذا مما يتلاعب به .. وسراقة هذا هو القائل

قالوا سراقة عنين فقلت لهم ... الله يعلم أني غير عنين

فان ظننتم بي الشيء الذي زعموا ... فقربوني من بنت ابن ياسين

وذكروا .. أن شبيب بن يزيد الخارجي مر بغلام مستنقع في الفرات فقال له : يا غلام اخرج اني أسائلك . فعرفه الغلام فقال له : اني أخاف أفآمن انا اذا خرجت حتى ألبس ثيابي . قال : نعم . فخرج وقال : والله لا ألبسها اليوم. فضحك شبيب وقال : خدعتني ورب الكعبة ووكل به رجلا من أصحابه يحفظه أن لا يصيبه أحد بمكروه .. قال وكان رجل من الخوارج يقول

فمنا يزيد والبطين وقعنب ... ومنا أمير المؤمنين شبيب

فسار البيت حتى سمعه عبد الملك بن مروان فأمر بطلب قائله فأتي به فلما وقف بين يديه قال : أنت القائل ● ومنا أمير المؤمنين شبيب ●

قال : لم أقل هكذا يا أمير المؤمنين انما قلت ● ومنا أميرَ المؤمنين شبيب ●

فضحك عبد الملك وأمر بتخلية سبيله فتخلص بدهائه وفطنته لازالة الاعراب من الرفع الي النصب .. وزعموا أن عمرو بن معدى كرب هجم فى بعض غاراته على شابة جميلة منفردة وأخذها فلما أمعن بها بكت فقال : ما يبكيك ، قالت : أبكي لفراق بنات عمي هن مثلي فى الجمال وأفضل مني خرجت معهن فانقطعنا عن الحي ، قال : وأين هن ، قالت : خلف ذلك الجبل ووددت اذ أخذتني انك أخذتهن معي فامض الى الموضع الذي وصفته ، فمضى الي هنالك فما شعر بشيء حتى هجم على فارس شاك فى السلاح فعرض عليه المصارعة فصرعه الفارس ثم عرض عليه ضروبا من المناوشة فغلبه الفارس فى كلها فسأله عمرو عن اسمه فاذا هو ربيعة بن مكدم الكناني فاستنقذ الجارية .. وعن عطاء ان مخارق بن عفان ومعن بن زائدة لقيا رجلا ببلاد الشرك ومعه جارية لم يريا أحسن منها شبابا وجمالا فصاحا به خل عنها ومعه قوس فرمى بها وهابا الاقدام عليه ثم عاد ليرمي فانقطع وتره وسلم الجارية واسند فى جبل كان قريباً منه فابتدراه وأخذا الجارية وكان فى أذنها قرط فيه درة فانتزعاه من أذنها ، فقالت : وما قدر هذه لو رأيتما درتين معه فى قلنسوته وفى القلنسوة وتر قد أعده ونسيه من الدهش فلما سمع قول المرأة ذكر الوتر فأخذه وعقده فى قوسه فوليا ليست لهما همة الا النجاء وخليا عن الجارية .. وعن الهيثم قال كان الحجاج حسوداً لا يتم له صنيعة حتى يفسدها فوجه عمارة بن تميم اللخمي الي عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث فظفر به وصنع ما صنع ورجع الى الحجاج بالفتح ولم ير منه ما أحب وكره منافرته وكان عاقلا رفيقاً فجعل يرفق به ويقول ايها الأمير أشرف العرب أنت من شرفته شرف ومن وضعته اتضع وما ينكر ذلك لك مع رفقك ويمنك ومشورتك ورأيك وما كان هذا كله الا بصنع الله وتدبيرك وليس أحد أشكر لبلائك مني ومن ابن أشعث وما خطر حتى عزم الحجاج على المسير الي عبد الملك فاخرج عمارة معه وعمارة يومئذ على أهل فلسطين امير فلم يزل يلطف بالحجاج فى مسيره ويعظمه حتى قدموا على عبد الملك فلما قامت الخطباء بين يديه واثنت على الحجاج قام عمارة فقال يا أمير المؤمنين سل الحجاج عن طاعتي ومناصحتي وبلائي ، قال الحجاج : يا أمير المؤمنين صنع وصنع ومن بأسه ونجدته وعفافه كذا وكذا وهو أيمن الناس نقيبة

وأعلمهم بتدبير وسياسة ولم يُبق في الثناء عليه غاية ، فقال عمارة : قد رضيت يا أمير المؤمنين ، قال ثم فرضي الله عنك حتى قالها ثلاثا في كلها يقول قد رضيت ، قال عمارة فلا رضي الله عن الحجاج يا أمير المؤمنين ولا حفظه ولا عافاه فهو والله السيء التدبير الذي قد أفسد عليك أهل العراق وألب الناس عليك وما أتيت إلا من قبله ومن قلة عقله وضعف رأيه وقلة بصره بالسياسة فلك والله أمثالها ان لم تعزله ، فقال الحجاج مه يا عمارة ، فقال لا مه ولا كرامة كل امرأة له طالق وكل مملوك له حر ان سار تحت راية الحجاج ابداً ، قال اني أعلم أنه ما خرج هذا منك الا عن معتبة ولك عندي العتبى وأرسل اليه ارجع اليه ، فقال ما كنت أظن ان عقلك على هذا أرجع اليه بعد الذي كان من طعنى عليه وقولي عند أمير المؤمنين ما قلت فيه لا ولا كرامة

﴿ ضده ﴾

قيل في المثل .. هو أحمق من عجل ، وهو عجل بن لجيم ، وذلك انه قيل له ماسميت فرسك ففقأ عينه وقال سميته الأعور .. فقال الشاعر فيه

رَمَتْنِي بنو عِجْلٍ بِدَاءِ أبيهِمْ   وأيُّ امرىءٍ في النَّاسِ أحمقُ من عِجلِ

أليس أبوهمْ عارَ عينَ جوادِه   فصارتْ بهِ الأمثالُ تُضرَبُ في الجهلِ

وقيل .. هو أحمق من هبنقة ، وبلغ من حمقه انه ضل له بعير فجعل ينادي من وجد بعيري فهو له ، فقيل له ولم تنشده ، قال وأين حلاوة الظفر والوجدان .. واختصمت اليه الطفاوة وبنو راسب في رجل ادّعى هؤلاء وهؤلاء فيه فقالوا قد رضينا بحكم أول طالع يطلع علينا فطلع عليهم هبنقة فلما رأوه قالوا انظروا بالله من طلع علينا فلما دنا قصوا عليه القصة فقال هبنقة الحكم في هذا بيّن اذهبوا به الى نهر البصرة فألقوه فيه فان كان راسبياً رسب وان كان طفاوياً طفا ، فقال الرجل لا أريد أن أكون من أحد هذين الحيّين ولا حاجة لي في الديوان .. وقيل هو أحمق من دُغة وهي مارية بنت مغنج تزوجت في بني العنبر وهي صغيرة فلما ضربها المخاض ظنت انها تريد الخلاء فخرجت

تبرّز فصاح الولد فجاءت مدمرفة فصاحت يا أمّاه هل يفتح الجمر فاه قالت نعم ويدعو أباه فسُبّت بنو العنبر بذلك فقيل بنو الجمراء .. وقيل هو أحمق من باقل وكان اشترى عنزاً بأحد عشر درهما فسئل بكم اشتريت العنز ففتح كفيه وفرق أصابعه وأخرج لسانه يريد أحد عشر درهما فعيّروه بذلك قال الشاعر

يلومونَ فى حُمقهِ باقلاً ... كأنَّ الحماقةَ لمْ تُخلَق

فلا تكثرُوا العذْلَ فى عيِّهِ ... فللصمْتُ أجملُ بالأموَقِ

خرُوجُ اللسانِ وفتحُ البَنانِ ... أحبُّ الينا منَ المَنطقِ

ومما قيل فيه أيضا من الشعر

يا ثابتَ العقلِ كمْ عاينتَ ذا حُمقٍ ... الرّزقُ أغرَى بهِ منْ لازمِ الجرَبِ

فإنّني واجدٌ في النّاسِ واحدةً ... الرّزقُ أروَغُ شيءٍ عنْ ذوِي الأدَبِ

وخصلةً ليسَ فيها منْ يخالفُني ... الرّزقُ والنوكُ مقرُونانِ في سببِ

وقال آخر

أرى زمناً نوكاهُ أسعَدُ خلقهِ ... علي أنّهُ يَشقَى بهِ كلُّ عاقلِ

علاَ فوقَه رجلاهُ والرأسُ تحتَه ... فكبَّ الأعالي بارتفاعِ الأسافلِ

وقال آخر

كمْ منْ قويٍّ قويٍّ في تقلُّبهِ ... مُهذَّبِ اللُّبِّ عنه الرّزقُ مُنحرِفُ

ومنْ ضعيفٍ ضعيفِ العقلِ مختلطٍ ... كأنّه منْ خليجِ البحرِ يَغترِفُ

محاسن المفاخرة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنا سيد ولد آدم ولا فخر .. وسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا ينشد بيتاً من شعر

إني امرؤٌ حميَرِيٌّ حين تَنسبُني ... لا من رَبيعة آبائي ولا مُضرِ

فقال له : ذلك ألأم لك وأبعد عن الله ورسوله .. وقال بعضهم

إذا مُضرُ الحمراءُ كانت أُرُومتي ... وقامَ بنَصري خازمٌ وابنُ خازمِ
عَطَستُ بأنفٍ شامخٍ وتناولَتْ ... يَدايَ الثُّرَيّا قاعداً غيرَ قائمِ

شعيب بن ابراهيم عن عليّ بن زيد عن عبد الله بن الحارث عن عبد المطلب بن ربيعة قال .. مرّ العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه بنفر من قريش وهم يقولون انما محمد فى أهله مثل نخلة نبتت فى كناسة فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد منه فخرج حتى قام فيهم خطيباً ثم قال : أيها الناس من أنا . قالوا : أنت رسول الله . قال : أفأنا محمد عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ان الله عزّ وجلّ خلق خلقه فجعلني من خير خلقه ثم جعل الخلق الذي انا منهم فريقين فجعلني من خير الفريقين من خلقه ثم جعل الخلق الذي أنا منهم شعوباً فجعلني فى خيرهم شعباً ثم جعلهم بيوتاً فجعلني من خيرهم بيتاً فأنا خيركم بيتاً وخيركم والداً وانى مُباه لكم قم يا عباس فقام عن يمينه ثم قال قم يا سعد فقام عن يساره فقال يقرّب امرؤ منكم عماً مثل هذا وخالا مثل هذا .. وحدثنا سنان بن الحسن التسترى عن اسماعيل بن مهران السكريّ عن أبان بن عثمان عن عكرمة عن ابن عباس رحمهما الله تعالى عن عليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه قال : لما أُمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعرض نفسه على القبائل خرج وانا معه وابو بكر وكان عالماً بأنساب العرب فوقفنا على مجلس من مجالس العرب عليهم الوقار والسكينة فتقدّم ابو بكر فسلم عليهم فردّوا عليه السلام فقال من القوم فقالوا من ربيعة . قال من هامتها أم لهازمها . قالوا بل من هامتها العظمى . قال وأي هامتها

قالوا ذهل ، قال ذهل الأكبر أم ذهل الأصغر ، قالوا بل الأكبر ، قال فمنكم عوف الذي كان يقال لا حرّ بوادي عوف ، قالوا لا . قال أفمنكم بسطام بن قيس صاحب اللواء ومنتهى الأحياء ، قالوا لا ، قال أفمنكم جساس بن مرة حامي الذمار ومانع الجار ، قالوا لا ، قال أفمنكم المزدلف صاحب العمامة . قالوا لا ، قال أفأنتم أخوال الملوك من كندة ، قالوا لا ، قال أفأنتم أصهار الملوك من لخم قالوا لا ، قال فلستم من ذهل الأكبر اذاً أنتم من ذهل الأصغر • فقام اليه اعرابي غلام حين بقل وجهه فأخذ بزمام ناقته ورسول الله صلى الله عليه وسلم واقف على ناقته يسمع مخاطبته .. فقال

لنا على سائلنا أن نسأله　　　والعبء لا تعرفه أو تحمله

يا هذا انك قد سألتنا أي مسألة شئت فلم نكتمك شيئاً فأخبرنا عن أنت ، فقال ابو بكر من قريش . فقال بخ بخ أهل الشرف والرئاسة فأخبرني من أي قريش أنت ، قال من تيم بن مرة ، قال أفمنكم قصي بن كلاب الذي جمع القبائل من فهر فكان يقال له مجمّع . قال ابو بكر لا . قال أفمنكم هاشم الذي يقول فيه الشاعر

عمرو العلى هشم الثريد لقومه　　　ورجال مكة مسنتون عجاف

قال أبو بكر لا . قال أفمنكم شيبة الحمد الذي كان وجهه يضيء في الليلة الداجية، مطعم الطير ، قال لا ، قال أفمن المفيضين بالناس أنت ، قال لا . قال أفمن أهل الرفادة أنت ، قال لا ، قال أفمن أهل السقاية أنت ، قال لا ، قال أفمن أهل الحجابة أنت ، قال لا ، قال أما والله لو شئت لأخبرتك لست من أشراف قريش • فاجتذب أبو بكر زمام ناقته منه كهيئة المغضب .. فقال الاعرابي

صادف درّ السيل درّاً يدفعه　　　في هضبة ترفعه وتضعه

فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال علي كرم الله وجهه فقلت : يا أبا بكر لقد وقعت من هذا الاعرابي على باقعة ، قال : أجل يا أبا حسن ما من طامة الا وفوقها طامة وان البلاء موكل بالمنطق .. قال وأتى الحسن بن علي رضي الله عنهما معاوية بن أبي سفيان وقد سبقه ابن عباس رحمه الله فأمر معاوية بانزاله فبينا معاوية مع عمرو بن

العاص ومروان بن الحكم وزياد المدّعى الى ابي سفيان يتحاورون في قديمهم ومجدهم إذ قال معاوية : قد أكثرتم الفخر ولو حضركم الحسن بن عليّ وعبد الله بن عباس لقصروا من أعنتكم ، فقال زياد : وكيف ذاك يا أمير المؤمنين وما يقومان لمروان بن الحكم في غرب منطقه ولا لنا في بواذخنا فابعث اليهما حتى تسمع كلامهما ، فقال معاوية لعمرو : ما تقول في هذا الليل فابعث اليهما في غد فبعث معاوية بابنه يزيد اليهما فأتيا فدخلا عليه وبدأ معاوية فقال : اني أجلكما وأرفع قدركما عن المسامرة بالليل ولا سيما أنت يا أبا محمد فانك ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيد شباب أهل الجنة فشكر له فلما استويا في مجلسهما علم عمرو ان الحدّة ستقع به فقال : والله لا بدّ أن أتكلم فان قَهَرْتُ فسبيل ذلك وان قُهِرْتُ أكون قد ابتدأت فقال : ياحسن إنّا قد تفاوضنا فقلنا ان رجال بني أمية أصبر على اللقاء وأمضى في الوغاء وأوفى عهداً وأكرم خيماً وأمنع لما وراء ظهورهم من بني عبد المطلب ، ثم تكلم مروان بن الحكم فقال : كيف لا يكون ذلك وقد قارعناهم فغلبناهم وحاربناهم فملكناهم فان شئنا عفونا وان شئنا بطشنا ، ثم تكلم زياد فقال : ماينبغي لهم أن ينكروا الفضل لأهله ويجحدوا الخير في مظانّه نحن الحملة في الحروب ولنا الفضل على سائر الناس قديماً وحديثاً ، فتكلم الحسن ابن عليّ رضي الله عنه فقال : ليس من الحزم أن يصمت الرجل عند إيراد الحجة ولكن من الإفك ان ينطق الرجل بالخنا ويصوّر الكذب في صورة الحقّ يا عمرو افتخاراً بالكذب وجراءة على الافك ما زلت أعرف مثالبك الخبيثة أبديها مرة بعد مرة أتذكر مصابيح الدّجى وأعلام الهدى وفرسان الطراد وحتوف الاقران وابناء الطعان وربيع الضيفان ومعدن العلم ومهبط النبوة وزعمتم أنكم أحمى لما وراء ظهوركم وقد تبيّن ذلك يوم بدر حين نكصت الأبطال وتساورت الأقران واقتحمت الليوث واعتركت المنية وقامت رحاها على قطبها وفرّت عن نابها وطار شرار الحرب فقتلنا رجالكم ومنّ النبي صلى الله عليه وسلم على ذراريكم وكنتم لعمري في هذا اليوم غير مانعين لما وراء ظهوركم من بني عبد المطلب ثم قال : وأما أنت يامروان فما أنت والإكثار في قريش وأنت ابن طليق وأبوك طريد تنقلب في خزاية الى سوءة وقد أتي بك الى أمير المؤمنين يوم الجمل

فلما رأيت الضرغام قد دميت براثنه واشتبكت أنيابه كنت كما قال الأول

يَتَصبصَنَ ثم رَمَينَ بالأبصارِ

فلما مَنّ عليك بالعفو وأرخى خناقك بعد ما ضاق عليك وغصصت بريقك لاتقعد منّا مقعد أهل الشكر ولكن تساوينا وتجارينا ونحن من لا يدركنا عار ولا يلحقنا خزاية ثم التفت إلى زياد وقال : وما أنت يا زياد وقريش ما أعرف لك فيها أديماً صحيحاً ولا فرعاً نابتاً ولا قديماً ثابتاً ولا منبتاً كريماً كانت أمك بغياً يتداولها رجالات قريش وفجار العرب فلما وُلدتَ لم تعرف لك العرب والداً فادّعاك هذا — يعني معاوية — فما لك والافتخار تكفيك سمية ويكفينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي سيد المؤمنين الذي لم يرتد على عقبيه وعمّاي حمزة سيد الشهداء وجعفر الطيار في الجنة وأنا وأخي سيدا شباب أهل الجنة . ثم التفت الى ابن عباس فقال : انما هي بغاث الطير انقض عليها البازي . فأراد ابن عباس أن يتكلم فأقسم عليه معاوية أن يكف فكفّ ثم خرجا . فقال معاوية : أجاد عمرو الكلام أولاً لولا أن حجته دحضت وقد تكلم مروان لولا أنه نكص ثم التفت الى زياد فقال ما دعاك الى محاورته ما كنت إلا كالحجل في كف العقاب . فقال عمرو : أفلا رميت من ورائنا . قال معاوية : إذاً كنت شريككم في الجهل أفاخر رجلاً رسول الله صلى الله عليه وسلم جده وهو سيد من مضى ومن بقي وأمه فاطمة سيدة نساء العالمين ثم قال لهم : والله لئن سمع أهل الشام ذلك انه للسوأة السوآء فقال عمرو : لقد أبقى عليك ولكنه طحن مروان وزياداً طحن الرحا بثفالها ووطئهما وطء البازل القُراد بمنسمه . فقال زياد : والله لقد فعل ولكنك يا معاوية تريد الاغراء بيننا وبينهم لا جرم والله لا شهدت مجلساً يكونان فيه إلا كنتَ معهما على من فاخرهما فخلا ابن عباس بالحسن رضي الله عنه فقبّل بين عينيه وقال : افديك يا ابن عمي والله ما زال بحرك يزخر وانت تصول حتى شفيتني من أولاد البغايا ثم ان الحسن رضي الله عنه غاب أياماً ثم رجع حتى دخل على معاوية وعنده عبد الله بن الزبير فقال معاوية : يا أبا محمد اني أظنك تعباً نصباً فأتِ المنزل فأرح نفسك فقام الحسن رضي الله عنه فخرج

فقال معاوية لعبد الله بن الزبير لو افتخرت على الحسن فأنت ابن حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمته ولأبيك في الاسلام نصيب وافر . فقال ابن الزبير : انا له ثم جعل ليلته يطلب الحجج فلما أصبح دخل على معاوية وجاء الحسن رضي الله عنه فحياه معاوية وسأله عن مبيته فقال خير مبيت وأكرم مستفاض فلما استوى في مجلسه قال له ابن الزبير : لولا انك خوار في الحروب غير مقدام ما سلمت لمعاوية الأمر وكنت لا تحتاج الى اختراق السهوب وقطع المراحل والمفاوز تطلب معروفه وتقوم ببابه وكنت حريا أن لا تفعل ذلك وأنت ابن علي في بأسه ونجدته فما أدري ما الذي حملك على ذلك أضعف حال أم وهي نحيزة ما أظن لك مخرجا من هذين الحالين اما والله لو استجمع لي ما استجمع لك لعلمت انني ابن الزبير واني لا أنكص عن الأبطال وكيف لا أكون كذلك وجدتي صفية بنت عبد المطلب وأبي الزبير حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم وأشد الناس بأساً وأكرمهم حسباً في الجاهلية وأطوعهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم فالتفت الحسن اليه وقال : أما والله لولا ان بني أمية تنسبني الى العجز عن المقال لكففت عنك تهاونا بك ولكن سأبين ذلك لتعلم اني لست بالكليل أاياي تعير وعلي تفتخر ولم تك لجدك في الجاهلية مكرمة الا تزوجه عمتي صفية بنت عبد المطلب فبذخ بها على جميع العرب وشرف بمكانها فكيف تفاخر من في القلادة واسطتها وفي الأشراف سادتها نحن أكرم أهل الأرض زنداً لنا الشرف الثاقب والكرم الغالب ثم تزعم أني سلمت الأمر لمعاوية فكيف يكون ويحك كذلك وانا ابن أشجع العرب ولدتني فاطمة سيدة النساء وخيرة الامهات لم افعل ويحك ذلك جبناً ولا فرقا ولكنه بايعني مثلك وهو يطلب بترة ويداجيني المودة فلم أثق بنصرته لأنكم بيت غدر واهل احن ووتر فكيف لا تكون كما اقول وقد بايع امير المؤمنين ابوك ثم نكث بيعته ونكص على عقبيه واختدع حشية من حشايا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليضل بها الناس فلما دلف نحو الأعنة ورأى بريق الأسنة قتل بمضيعة لا ناصر له وأتي بك اسيراً وقد وطئتك الكماة بأظلافها والخيل بسنابكها واعتلاك الأشتر فغصصت بريقك واقعيت على عقبيك كالكلب اذا احتوشته الليوث فنحن ويحك نور البلاد واملاكها وبنا تفتخر الأمة والينا تلقى مقاليد

لسول وأنت تختدع النساء ثم تفتخر على بني الأنبياء لم تزل الأقاويل منا مقبولة وعليك وعلى أبيك مردودة دخل الناس في دين جدّي طائعين وكارهين ثم بايعوا أمير المؤمنين صلوات الله عليه فسار الي أبيك وطلحة حين نكثا البيعة وخدعا عرس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتلا عند نكثهما بيعته واتي بك أسيراً تبصبص بذنبك فناشدته الرحم الا يقتلك فعفى عنك فأنت عتاقة أبي وانا سيدك وأبي سيد أبيك فذق وبال أمرك فقال ابن الزبير : اعذرنا يا أبا محمد فانما حملني على محاورتك هذا واشتهى الاغراء بيننا فهلاّ إذ جهلتُ أمسكتَ عني فانكم أهل بيت سجيتكم الحلم . قال الحسن : يا معاوية انظر أأكع عن محاورة أحد ويحك أتدري من أي شجرة أنا والى من أنتمي انتهِ قبل أن أسمك بسمة يتحدث بها الركبان في آفاق البلدان . قال ابن الزبير هو لذلك أهل . فقال معاوية أما انه قد شفا بلابل صدري منك ورمى مقتلك فبقيت في يده كالحجل في كف البازي يتلاعب بك كيف شاء فلا أراك تفتخر على أحد بعدهذا .. وذكروا أن الحسن بن عليّ صلوات الله عليهما دخل على معاوية فقال في كلام جرى من معاوية في ذلك

فيم الكلامُ وقد سبقتُ مبرّزاً سبقَ الجوادِ من المدي والمقوَس

فقال معاوية : إيّاي تعني والله لآتينّك بما يعرفه قلبك ولا ينكره جلساؤك أنا ابن بطحاء مكة انا ابن أجودها جوداً وأكرمها أبوّة وجدوداً وأوفاها عهوداً انا ابن من ساد قريشاً ناشئاً . فقال الحسن : أجل إياك أعني أفعليّ تفتخر يا معاوية وانا ابن ماء السماء وعروق الثرى وابن من ساد أهل الدنيا بالحسب الثاقب والشرف الفائق والقديم السابق وابن من رضاه رضى الرحمن وسخطه سخط الرحمن فهل لك أب كأبي أو قديم كقديمي فان تقل لا تغلب وان تقل نعم تكذب . فقال : أقول لا تصديقاً لقولك . فقال الحسن رضى الله عنه

ألحقُّ أبلج لا تزيغُ سبيلُه والحقُّ يعرفُه ذوو الألباب

قال .. وقال معاوية ذات يوم وعنده أشراف الناس من قريش وغيرهم أخبروني

بأكرم الناس أباً وأماً وعماً وعمةً وخالاً وخالة وجداً وجدةً . فقام مالك بن عجلان وأومى الى الحسن بن عليّ صلوات الله عليه فقال : هو ذا أبوه عليّ بن أبي طالب وأمه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمه جعفر الطيار وعمته أم هانئ بنت أبي طالب وخاله القاسم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم وخالته زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وجده رسول الله صلى الله عليه وسلم وجدته خديجة بنت خويلد . فسكت القوم ونهض الحسن فاقبل عمرو بن العاص على مالك فقال : أحُبّ بني هاشم حملك على أن تكلمت بالباطل . فقال ابن عجلان ما قلت إلّا حقاً وما أحد من الناس يطلب مرضاة مخلوق بمعصية الخالق إلّا لم يعط أمنيته في دنياه وختم له بالشقاء في آخرته بنو هاشم أنضركم عوداً وأوراكم زنداً أكذلك هو يا معاوية . قال اللهم نعم . . قال واستأذن الحسن بن عليّ رضي الله عنه على معاوية وعنده عبد الله بن جعفر وعمرو بن العاص فأذن له فلما اقبل قال عمرو قد جاءكم الفهه العيّ الذي كأن بين لحييه عقلة . فقال عبد الله بن جعفر مه والله لقد رمت صخرة ململمة تحط عنها السيول وتقصر دونها الوعول لا تبلغها السهام فإيّاك والحسن إيّاك فانك لا تزال راتعاً في لحم رجل من قريش ولقد رميت فما برح سهمك وقدحت فما أورى زندك فسمع الحسن الكلام فلما أخذ مجلسه قال يا معاوية لا يزال عندك عبد يرتع في لحوم الناس أما والله لئن شئت ليكونن بينا ما تتفاقم فيه الامور وتحرج منه الصدور ثم أنشأ يقول

أتأمر يا معاوي عبد سهم ... بشتمي والملا منا شهود

إذا أخذت مجالسها قريش ... فقد علمت قريش ما تريد

أأنت تظل تشتمني سفاهاً ... لضغن ما يزول ولا يبيد

فهل لك من أب كأبي تسامي ... به من قد تسامي أو تكيد

ولا جدّ كجدي يا ابن حرب ... رسول الله إن ذكر الجدود

ولا أمّ كأمي من قريش ... إذا ما حصّل الحسب التليد

فما مثلي تهكم يا ابن حرب ولا مثلي ينهنهُ الوعيد

فمهلاً لا تهيج منا أمورًا يشيب لهولها الطفل الوليد

وذكروا ان عمرو بن العاص قال لمعاوية ابعث الي الحسن بن علي فأمره أن يخطب على المنبر فلعله يحصر فيكون فى ذلك ماتعيره به فبعث اليه معاوية فأمره أن يخطب فصعد المنبر وقد اجتمع الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن علي بن أبي طالب ابن عم النبي أنا ابن البشير النذير السراج المنير انا ابن من بعثه الله رحمة للعالمين انا ابن من بُعث الى الجن والانس انا ابن مستجاب الدعوة انا ابن الشفيع المطاع انا ابن اول من ينفض رأسه من التراب انا ابن اول من يقرع باب الجنة انا ابن من قاتلت معه الملائكة ونصر بالرعب من مسيرة شهر وامعن فى هذا الباب ولم يزل حتى أظلمت الأرض على معاوية ، فقال ياحسن قد كنت ترجو ان تكون خليفة ولست هناك ، قال الحسن انما الخليفة من سار بسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمل بطاعته وليس الخليفة من دان بالجور وعطل السنن واتخذ الدنيا اباً واماً ولكن ذلك ملك أصاب ملكا يتمتع به قليلا ويعذب بعده طويلا وكان قد انقطع عنه واستعجل لذته وبقيت عليه التبعة فكان كما قال الله تعالى (وإنْ أدرى لَعَلَّه فتنة لكم ومَتاع الى حِين) ثم انصرف ، فقال معاوية لعمرو : ما أردت إلا هتكي ماكان اهل الشام يرون احداً مثلي حتى سمعوا من الحسن ماسمعوا ،، قال وقدم الحسن بن عليّ رضي الله عنه على معاوية فلما دخل عليه وجد عنده عمرو بن العاص ومروان بن الحكم والمغيرة بن شعبة وصناديد قومه ووجوه أهل بيته ووجوه أهل اليمن وأهل الشام فلما نظر اليه معاوية اقعده على سريره واقبل عليه بوجهه يريه السرور به وبقدومه فحسده مروان وقد كان معاوية قال لهم لا تحاوروا هذين الرجلين فقد قلدا كم العار عند أهل الشام ـــ يعني الحسن بن عليّ رضي الله عنه وعبد الله بن عباس ـــ فقال مروان يا حسن لولا حلم امير المؤمنين وما قد بناه له آباؤه الكرام من المجد والعلا ما أقعدك هذا المقعد

ولقتلك وانت لهذا مستحق بقودك الجماهير الينا فلما قاومتنا وعلمت ألا طاقة لك بفرسان أهل الشام وصناديد بني أمية أذعنت بالطاعة واحتجزت بالبيعة وبعثت تطلب الأمان أما والله لولا ذلك لأراق دمك ولعلمت انا نعطي السيوف حقها عند الوغى فاحمد الله إذ ابتلاك بمعاوية وعفى عنك بحلمه ثم صنع بك ما ترى ، فنظر اليه الحسن وقال: ويلك يا مروان لقد تقلدت مقاليد العار في الحروب عند مشاهدتها والمخاذلة عند مخالطتها هبلتك أمك لنا الحجج البوالغ ولنا عليكم ان شكرتم النعم السوابغ ندعوكم الى النجاة وتدعوننا الى النار فشتان ما بين المنزلتين تفتخر ببني أمية وتزعم انهم صُبُرٌ في الحرب أسد عند اللقاء ثكلتك امك أولئك البهاليل السادة والحماة الذادة والكرام القادة بنو عبد المطلب اما والله لقد رأيتهم أنت وجميع من في المجلس ما هالتهم الأهوال ولا حادوا عن الأبطال كالليوث الضارية الباسلة الحنقة فعندها وليت هاربا وأخذت أسيرا فقلدت قومك العار لأنك في الحروب خوار أتهريق دمي فهلا أهرقت دم من وثب على عثمان في الدار فذبحه كما يذبح الجمل وانت تثغو ثغاء النعجة وتنادي بالويل والثبور كالمرأة الوكعاء ما دفعت عنه بسهم ولا منعت دونه بحرب قد ارتعدت فرائصك وغشي بصرك واستغثت كما يستغيث العبد بربه فأنجيتك من القتل ثم جعلت تحث عن دمي وتحض على قتلي ولو رام ذلك معاوية معك لذبح كما ذبح ابن عفان وانت معه أقصر يداً واضيق باعاً وأجبن قلباً من أن تجسر على ذلك ثم تزعم اني ابتليت بحلم معاوية اما والله لهو اعرف بشأنه وأشكر لنا إذ وليناه هذا الأمر فمتى بدا له فلا يغضين جفنه على القذى معك فوالله لأعنفن أهل الشام بجيش يضيق فضاؤه ويستأصل فرسانه ثم لا ينفعك عند ذلك الروغان والهرب ولا ينفع بتدريجك الكلام فنحن من لا يجهل آباؤنا الكرام القدماء الأكابر وفروعنا السادة الأخيار الأفاضل انطق ان كنت صادقاً . فقال عمرو: ينطق بالخنا وتنطق بالصدق .. ثم أنشأ يقول

قد يَضْرُطُ العيرُ والمكواةُ تأخذُه لا يَضْرُطُ العيرُ والمكواةُ في النارِ

ذق وبال أمرك يا مروان . فأقبل عليه معاوية فقال : قد نهيتك عن هذا الرجل

وأنت تأبى إلا انهماكاً فيما لا يعنيك أربع على نفسك فليس أبوه كأبيك ولا هو مثلك أنت ابن الطريد الشريد وهو ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم الكريم ولكن رب باحث عن حتفه بظلفه فقال مروان ارم دون بيضتك وقم بحجة عشيرتك ثم قال لعمرو : لقد طعنك أبوه فوقيت نفسك بخصيتيك ومنها ثنيت أعنتك وقام مغضباً . فقال معاوية : لا تجار البحار فتغمرك ولا الجبال فتقهرك واسترح من الاعتذار .. قال ولقي عمرو بن العاص الحسن بن علي عليهما السلام في الطواف فقال ياحسن ازعمت ان الدين لا يقوم إلا بك وبأبيك فقد رأيت الله أقامه بمعاوية فجعله ثابتاً بعد ميله وبيّناً بعد خفائه افرضي الله قتل عثمان أم من الحق أن تدور بالبيت كما يدور الجمل بالطحين عليك ثياب كغرقئ البيض وانت قاتل عثمان والله انه لألمّ للشعث واسهل للوعث ان يوردك معاوية حياض أبيك . فقال الحسن صلوات الله عليه: إن لأهل النار علامات يعرفون بها وهي الإلحاد في دين الله والموالاة لأعداء الله والإنحراف عن دين الله والله انك لتعلم ان علياً لم يتريث في الأمر ولم يشك في الله طرفة عين وايم الله لتنتهين يا ابن العاص أو لأقرعن قصتك ـ يعني جبينه ـ بقراع وكلام وإيّاك والجراءة علي فاني من عرفت لست بضعيف المغمز ولا بهش المشاشة ـ يعني العظام ـ ولا مرئ الأكلة واني لمن قريش كأوسط القلادة معرق حسبي لا أدّعي لغير أبي وقد تحاكمت فيك رجال من قريش فغلب عليك الأمها حسباً وأعظمها لعنة فإيّاك عني فانما أنت نجس ونحن أهل بيت الطهارة أذهب الله عنا الرجس وطهرنا تطهيرا.. قال واجتمع الحسن بن علي صلوات الله عليهما وعمرو بن العاص فقال الحسن: قد علمت قريش بأسرها اني منها في عز أرومتها لم اطبع على ضعف ولم أعكس على خسف اعرف نسبي وأدّعى لأبي . فقال عمرو : وقد علمت قريش انك ابن أقلها عقلا وأكثرها جهلا وان فيك خصالا لو لم يكن فيك إلا واحدة منها لشملك خزيها كاشمل البياض الحالك وأيم الله لئن لم تنته عما أراك تصنع لأكبسن لك حافة كجلد العائط اذا اعتاطت رحمها فما تحمل أرميك من خلالها بأحر من وقع الأثافي أعرك منها أديمك عرك السلعة فانك طالما ركبت المنحدر ونزلت في أعراض الوعر التمساساً للفرقة وإرصاداً للفتنة ولن يزيدك الله فيها إلا فظاعة . فقال الحسن : أما والله لو كنت تسمو بحسبك

وتعمل برأيك ما سلكت فج قصد ولا حللت راية مجد أما والله لو أطاعنا معاوية لجعلك بمنزلة العدو الكاشح فانه طال ما تأخر شأوك واستمر داؤك وطمح بك الرجا الى الغاية القصوى التى لا يورق بها غصنك ولا يخضر منها رعيك أما والله لتوشكن يا ابن العاص أن تقع بين لحيي ضرغام ولا يغنيك منه الروغان اذا التقت حلقتا البطان .. ابن المنذر عن أبيه عن الشعبي عن ابن عباس انه دخل المسجد وقد سار الحسين بن علي رضي الله عنه الى العراق فاذا هو بابن الزبير فى جماعة من قريش قد استعلاهم بالكلام فجاء ابن عباس فضرب بيده على عضد ابن الزبير وقال : أصبحت والله كما قال الشاعر

يالكِ مِنْ قُنْبَرَةٍ بِمَعْمَرِ ... خلا لكِ الجوُّ فبيضي واصفِرِي

ونقِّرِي ما شئتِ أن تُنَقِّرِي ... قد ذهبَ الصيَّادُ عنكِ فابشري

لا بُدَّ مِنْ أخذِكِ يوماً فاصبِرِي

خلت الحجاز من الحسين بن علي واقبلت تهدر فى جوانبها . فغضب ابن الزبير وقال : والله انك لترى انك أحق بهذا من غيرك . فقال ابن عباس : انما يرى ذلك من كان فى حال شك وانا من ذلك على يقين . قال : وبأي شيء استحق عندك انك بهذا الأمر أحق مني . فقال ابن عباس : لأنا أحق بمن يدل بحقه وبأي شيء استحق عندك انك أحق بها من سائر العرب إلاّ بنا . فقال ابن الزبير : استحق عندى انى احق بها منكم لشرفي عليكم قديماً وحديثاً . فقال أنت أشرف أم من شرفت به . فقال : ان من شرفت به زادني شرفاً الى شرفي . قال : ففي الزيادة أم منك . فتبسم ابن عباس . فقال ابن الزبير : يا ابن عباس دعني من لسانك هذا الذى تقلبه كيف شئت والله يا بنى هاشم لا تحبوننا أبداً . قال ابن عباس : صدقت نحن أهل بيت مع الله لا نحب من أبغضه الله . قال : يا ابن عباس أما ينبغي لك أن تصفح عن كلمة واحدة . قال : انما يصفح عمن أقر وأما من هر فلا والفضل لاهل الفضل . قال ابن الزبير : فأين الفضل . قال : عند أهل البيت لا تصرفه عن أهله فتظلم ولا تضعه فى غير أهله فتندم . قال ابن الزبير : أفلستُ من أهله . قال : بلى إن نبذت الحسد ولزمت الجدد . وانقضى حديثهما .. وروى عن

ابن عباس انه قال : قدمت على معاوية وقد قعد على سريره وجمع من بني أمية ووفود العرب عنده فدخلت وسلمت وقعدت فقال : يا ابن عباس من الناس ، فقلت : نحن ، قال : فاذا غبتم ، قلت : فلا أحد ، قال : فانك تري أني قعدت هذا المقعد بكم ، قال : نعم فبمن قعدت ، قال بمن كان مثل حرب بن أمية ، قال : من كفأ عليه اناءه واجاره بردائه ، قال فغضب وقال : أرحني من شخصك شهراً فقد أمرت لك بصلتك وأضعفتها لك . فلما خرج ابن عباس قال لخاصته : ألا تسألوني ما الذى أغضب معاوية ، قالوا : بلى فقل بفضلك ، قال : إن أباه حرباً لم يلق أحداً من رؤساء قريش في عقبة ولا مضيق إلا تقدمه حتى يجوزه فلقيه يوما رجل من تميم في عقبة فتقدمه التميمي فقال حرب انا حرب بن أمية فلم يلتفت اليه وجازه فقال ، وعدك بمكة فخافه التميمي ثم أراد دخول مكة فقال من يجيرني من حرب بن أمية فقيل له عبد المطلب فقال عبد المطلب أجل قدراً من أن يجير على حرب فأتى ليلا الى دار الزبير بن عبد المطلب فدق بابه فقال الزبير لعبده قد جاءنا رجل إما طالب قرى وإما مستجير وقد أجبناه الى ما يريد ثم خرج الزبير اليه ،، فقال التميمي

لاقيتُ حرْباً في الثنيةِ مقبلاً ... والصبحُ أبلجَ ضوؤه للساري

فدعا بصوتٍ واكتنى ليروعني ... وسما عليَّ سموَّ ليثٍ ضاري

فتركتهُ كالكلبِ ينبحُ ظلهُ ... وأتيتُ قرمَ معالمٍ وفخارِ

ليثاً هزبرًا يستجارُ بعزهِ ... رحبَ المباءةِ مكرماً للجارِ

ولقدْ حلفتُ بمكةٍ وبزمزمٍ ... والبيتِ ذي الأحجارِ والأستارِ

إنَّ الزبيرَ لمانعي من خوفهِ ... ما كبَّرَ الحجاجُ في الأمصارِ

فقدمه الزبير وأجاره ودخل به المسجد فرآه حرب فقام اليه فلطمه فحمل عليه الزبير بالسيف فولى هارباً يعدو حتى دخل دار عبد المطلب فقال : أجرني من الزبير فأكفأ عليه جفنة كان هاشم يطعم فيها الناس فبقي تحتها ساعة ثم قال له اخرج قال وكيف

أخرج وعلى الباب سبعة من تيك قد احتبوا سيوفهم فألقى عليه رداء كان كساه إياه سيف بن ذي يزن له طرة خضراوان فخرج عليهم فعلموا أنه قد أجاره عبدالمطلب فتفرقوا عنه .. قال وحضر مجلس معاوية عبد الله بن جعفر فقال عمرو بن العاص: قد جاءكم رجل كثير الخلوات بالتمني والطربات بالتغني محب للقيان كثير مزاحه شديد طماحه صدود عن السنان ظاهر الطيش رخي العيش أخاذ بالسلف منفاق بالسرف فقال ابن عباس : كذبت والله أنت وليس كما ذكرت ولكنه لله ذكور ولنعمائه شكور وعن الخنا زجور جواد كريم سيد حليم اذا رمى أصاب واذا سئل أجاب غير حصر ولا هياب ولا عيابة مغتاب حل من قريش في كريم النصاب كالهزبر الضرغام الجريء المقدام في الحسب القمقام ليس بدعي ولا دني لا كمن اختصم فيه من قريش شرارها فغلب عليه جزارها فاصبح الأمها حسبا وأدناها منصبا ينوء منها بالذليل ويأوي منها الى القليل مذبذب بين الحيين كالساقط بين المهدين لا المضطر فيهم عرفوه ولا الظاعن عنهم فقدوه فليت شعري بأي قدر تتعرض للرجال وبأي حسب تعتد به عند النضال ابنفسك وأنت الوغد اللئيم والنكد الذميم والوشيع الزنيم أم بمن تمى اليهم وهم أهل السفه والطيش والدناءة في قريش لا بشرف في الجاهلية شهروا ولا بقديم في الاسلام ذكروا جعلت تتكلم بغير لسانك وتنطق بالزور في غير أقرانك والله لكان أبين للفضل وأبعد للعدوان أن ينزلك معاوية منزلة البعيد السحيق فانه طالما سلس داؤك وطمح بك رجاؤك الى الغاية القصوى التي لم يخضر فيها رعيك ولم يورق فيها غصنك . فقال عبد الله بن جعفر : اقسمت عليك لما أمسكت فانك عني ناضلت ولي فاوضت . فقال ابن عباس : دعني والعبد فانه قد يهدر خالياً ولا يجد ملاحياً وقد أتيح له ضيغم شرس للأقران مفترس وللأرواح مختلس . فقال ابن العاص : دعني يا أمير المؤمنين انتصف منه فوالله ما ترك شيئاً . قال ابن عباس دعه فلا يبقي المبقي إلا على نفسه فوالله إن قلبي لشديد وان جوابي لعتيد وانى لكما قال نابغة بني ذبيان

وقدماً قد قرعت وقارعوني ... فما نزر الكلام ولا شجاني

يَصُدُّ الشاعرُ المرّافُ عنى صُدُودَ البِكْرِ عن قَرْمٍ هِجانِ

قال ،، وبلغ عاتمة بنت عام[1] ثلب معاوية وعمرو بن العاص لبنى هاشم فقالت لأهل مكة : أيها الناس ان بنى هاشم سادت فجادت وملكت ومُلِّكت وفضلت وفُضِّلت واصطفت واصطفيت ليس فيها كدر عيب ولا افك ريب ولا خسروا طاغين ولا خازين ولا نادمين ولا هم من المغضوب عليهم ولا الضالين ان بنى هاشم أطول الناس باعا وأمجد الناس أصلا وأعظم الناس حلماً وأكثر الناس علماً وعطاء منا عبد مناف المؤثر ،، وفيه يقول الشاعر

كانَتْ قُرَيشٌ بيضةً فتفلقَتْ فالمُحُّ خالصها لعبْدِ مَنافِ

وولده هاشم الذى هشم الثريد لقومه ،، وفيه يقول الشاعر

عمْرُو العلا هشَمَ الثريدَ لقومهِ ورِجالُ مكةَ مُسْنِتونَ عِجافُ

ومنا عبد المطلب الذي سُقينا به الغيث ،، وفيه يقول أبو طالب

ونحن سِنيَّ المحلِ قامَ شفيعُنا بمكةَ يدعو والمياهُ تغورُ

وابنه أبو طالب عظيم قريش ،، وفيه يقول الشاعر

آتيتُه ملِكاً فقامَ بحاجتى وترى المُليّجَ خائباً مذموماً

ومنا العباس بن عبد المطلب أردفه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعطاه ماله ،، وفيه يقول الشاعر

رَدِيفُ رَسولِ اللهِ لمْ ترَ مثلَه ولا مثلُه حتى القيامةِ يُولَدُ

ومنا حمزة سيد الشهداء ،، وفيه يقول الشاعر

أبايَعلَى بكَ الأركانُ هُدّتْ وأنتَ الماجدُ البرُّ الوَصولُ

ومنا جعفر ذو الجناحين أحسن الناس حالا وأكملهم كمالا ليس بغدار ولا جبان

---

(١) ـــ هكذا في الاصل وفي نسخة عاتمة بنت عام ،، وفي السامرات غانمة بنت غانم

أبدله الله بكلتي يديه جناحين يطير بهما في الجنة .. وفيه يقول الشاعر

هاتوا كجعفرنا ومثل علينا ... كانا أعز الناس عند الخالق

ومنا ابو الحسن عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه أفرس بني هاشم وأكرم من احتفى وانتعل .. وفيه يقول الشاعر

عليٌّ أَلِفَ الفرقانَ صحفاً ... ووالى المصطفى طفلاً صبياً

ومنا الحسن بن عليّ عليه السلام سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيد شباب أهل الجنة ..وفيه يقول الشاعر

يا أجلّ الأنام يا ابن الوصيّ ... أنت سبطُ النبيّ وابن عليّ

ومنا الحسين بن علي حمله جبريل عليه السلام على عاتقه وكفاه بذلك فخراً .. وفيه يقول الشاعر

حبُّ الحُسين ذخيرةٌ لمحبّهِ ... يارَبِّ فاحشرْني غداً في حزبِهِ

يا معشر قريش والله ما معاوية كأمير المؤمنين عليّ ولا هو كما يزعم هو والله شانئ رسول الله صلى الله عليه وسلم واني آتية معاوية وقائلة له ما يعرق منه جبينه ويكثر منه عويله وأنينه . فكتب عامل معاوية اليه بذلك فلما بلغه أنها قربت منه امر بدار ضيافة فنظفت وألقي فيها فرش فلما قربت من المدينة استقبلها يزيد في حشمه ومماليكه فلما دخلت المدينة أتت دار أخيها عمرو بن عامر فقال لها يزيد ان أبا عبد الرحمن يأمرك أن تنتقلي الى دار ضيافته وكانت لا تعرفه فقالت : من أنت كلاك الله . قال : انا يزيد بن معاوية. قالت : فلا رعاك الله يا ناقص لست بزائد . فتغير لون يزيد وأتى أباه فأخبره . فقال : هي أسن قريش وأعظمهم حلماً . قال يزيد : كم تعد لها . قال : كانت تعد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعمائة عام وهي من بقية الكرام فلما كان من الغد أتاها معاوية فسلم عليها فقالت : على المؤمنين السلام وعلى الكافرين الهوان واللام ثم قالت : أفيكم عمرو بن العاص . قال عمرو : هاأنا ذا . قالت : أنت تسب قريشاً وبني هاشم وأنت أهل السب وفيك السب واليك يعود السب يا عمرو اني والله عارفة بك وبعيوبك

وعيوب أمك وانى أذكر ذلك : وُلدت من أمة سوداء مجنونة حمقاء تبول من قيامها وتعلوها الاثام واذا لامسها الفحل فكان نطفتها أنفذ من نطفته ركبها في يوم واحد أربعون رجل وأما أنت فقد رأيتك غاوياً غير مرشد ومفسداً غير مصلح والله لقد رأيت فحل زوجتك على فراشك فما غرت ولا أنكرت ، وأما أنت يا معاوية فما كنت في خير ولا ربيت في نعمة فمالك ولبنى هاشم انساؤك كنسائهم أم أعطي أمية في الجاهلية والاسلام ما أعطي هاشم وكفى فخراً برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال معاوية : أيتها الكبيرة أنا كافّ عن بني هاشم ، قالت : فاني أكتب عليك كتابا فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا ربه أن يستجيب لى خمس دعوات فاجعل تلك الدعوات كلها فيك ، فخاف معاوية فحلف أن لا يسب بنى هاشم أبداً ، فهذا ما كان بين معاوية وبين بني هاشم من المفاخرة .. قال وكان عليّ بن عبد الله بن عباس عند عبد الملك بن مروان فأخذ عبد الملك يذكر أيام بنى أمية فبينا هو على ذلك إذ نادى المنادي بالأذان فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ، فقال عليّ

هذي المكارم لا قعبان من لبن شيبا بماء فعادا بعدُ أبوالاَ

فقال عبد الملك : الحقّ في هذا أبين من أن يكابر .. عليّ بن محمد النديم قال : دخلت على المتوكل وعنده الرضيّ فقال : يا عليّ من أشعر الناس فى زماننا ، قلت : البحتري ، قال : وبعده ، قلت : مروان بن أبي حفصة عبدك ، فالتفت الى الرضيّ فقال : يا ابن عم من أشعر الناس ، قال : عليّ بن محمد العلويّ . قال : وما تحفظ من شعره ، قال : قوله

لقد فاخرتنا من قريش عصابة بمطّ خدود وامتداد أصابع

فلمّا تنازعنا القضاء قضى لنا عليهم بما نهوى نداء الصّوامع

فقال المتوكل : ما معنى قوله ــ نداء الصوامع ــ قال : الشهادة ، قال : وأبيك انه أشعر الناس .. ومما قيل في هذا المعنى من الشعر قوله أيضاً

بلغنا السّماء بأنسابنا ولولا السّماء لجزنا السّماء

فحسبُكَ من سُؤْدَدٍ أنّنا بحُسْنِ البلاءِ كشفنا البلاء

إذا ذُكِرَ النّاسُ كُنّا ملوكاً وكانوا عبيداً وكانوا إماء

يَطيبُ الثناءُ لآبائنا وذِكرُ علىّ يُطيبُ الثناء

هَجاني رجالٌ ولم أهجُهم أبى اللهُ لي أنْ أقولَ الهجاء

وقال آخر

وإني منَ القومِ الذينَ عرفتهمْ إذا ماتَ منهمْ سيّدٌ قامَ صاحبُهْ

أضاءت لهمْ أحسابُهم ووُجوهُهم دُجى الليلِ حتّى نظّمَ الجزعَ ثاقبُهْ

نجومُ سماءٍ كلّما انقضَّ كوكبٌ بدا كوكبٌ تأوي إليهِ كواكبُهْ

وقال آخر

خُطَباءُ حينَ يقولُ قائلُهم بيضُ الوُجوهِ مقاولٌ لُسُنُ

لا يَفطُنونَ لعيبِ جارهِمُ وهُمُ لحفظِ جِوارِهِم فُطُنُ

﴿ ضده ﴾

عن ابن عباس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تفتخروا بآبائكم فى الجاهلية فوالذي نفسى بيده لما يدحرج الجُعَل برجله خير من آبائكم الذين ماتوا فى الجاهلية .. قال وكان الحسن البصرى يقول: يا ابن آدم لِمَ تفتخر وإنما خرجت من سبيل بولين نطفة مشجت بأقذار .. وقال بعضهم لرجل : أتفتخر ويحك وأولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة وأنت فيما بينهما وعاء عذرة فما هذا الافتخار .. وروي عن ابن عباس انه قال: الناس يتفاضلون فى الدنيا بالشرف والبيوتات والإمارات والغنى والجمال والهيئة والمنطق ويتفاضلون في الآخرة بالتقوى واليقين وأتقاهم أحسنهم يقيناً وأزكاهم عملا وأرفعهم درجة .. وقيل في ذلك

يَزِينُ الفتى في النَّاسِ صحةُ عقلِهِ ... وإنْ كانَ محظوراً عليهِ مكاسِبُه

وشينُ الفتى في النَّاسِ قلَّةُ عقلِهِ ... وإنْ كَرُمَتْ آباؤُهُ ومناسِبُه

وقيل لعاصم بن قيس : ما تقول فى الانسان ، قال : وما أقول فيمن ان جاع ضَرَع وان شبع بغى وطغى .. وقال بعض الحكماء : لا يكون الشرف بالنسب الا ترى أن أخوين لأب وأم يكون أحدهما أشرف من الآخر ولو كان ذلك من قبل النسب لما كان لأحد منهم على الآخر فضل لأن نسبهما واحد ولكن ذلك من قبل الأفعال لأن الشرف انما هو بالفضل لا بالنسب .. قال الشاعر

أبوك أبي والجدُّ لا شكَّ واحدٌ ... ولكنَّنا عودان آسٌ وخِرْوَعُ

وبلغنا عن المدائني انه قال : ليس السؤدد بالشرف وقد ساد الأحنف بن قيس بحلمه وحصين بن المنذر برأيه ومالك بن مسمع بمحبته فى العامة وسويد بن منجوف بعطفه على أرامل قومه وساد المهلّب بن أبي صفرة بجميع هذه الخصال .. وأما الشرف بالدين فالحديث المعروف عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أتاه اعرابي فقال بأبى أنت وأمى يارسول الله من أكرم الناس حسباً ، قال أحسنهم خلقاً وأفضلهم تقوى . فانصرف الاعرابي ، فقال ردُّوه ثم قال يا اعرابي لعلك أردت أكرم الناس نسباً . قال نعم يارسول الله ، قال يوسف الصديق صديق الله بن يعقوب اسرائيل الله بن اسحاق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله فاين مثل هؤلاء الأباء فى جميع الدنيا ما كان مثلهم ولا يكون مثلهم احد أبداً .. وقال الشاعر فى ذلك

ولمْ أرَ كالأسباطِ أبناءَ والدٍ ... ولا كأبيهمْ والداً حين يُنْسَبُ

قال ودخل عيينة بن حصن الفزارى على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانتسب له فقال انا ابن الأشياخ الأكارم فقال صلى الله عليه وسلم انت إذاً يوسف صديق الرحمن عليه السلام ابن يعقوب اسرائيل الله أو اسحق ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله .. وقال صلى الله عليه وسلم خير البشر آدم وخير العرب محمد وخير الفرس سلمان الفارسى

وخير الروم صهيب وخير الحبشة بلال .. قال وسمع عمر بن الخطاب وهو خليفة صوتاً ولغطاً بالباب فقال لبعض من عنده اخرج فانظر من كان من المهاجرين الأولين فادخله فخرج الرسول فوجد بلالاً وصهيباً وسلمان فادخلهم وكان ابو سفيان بن حرب وسهيل ابن عمرو في عصابة من قريش جلوساً على الباب فقال : يا معشر قريش أنتم صناديد العرب وأشرافها وفرسانها بالباب ويدخل حبشيّ وفارسيّ وروميّ . فقال سهيل : يا أبا سفيان أنفسكم فلوموا ولا تذمّوا أمير المؤمنين دُعي القوم فأجابوا ودُعيتم فأبيتم وهم يوم القيامة أعظم درجات وأكثر تفضيلاً . فقال أبو سفيان : لا خير في مكان يكون فيه بلال شريفاً ﴿ فأما صناعات الأشراف ﴾ فانه رُوي ان ابا طالب كان يعالج العطر والبزّ . وأما أبو بكر وعمر وطلحة وعبد الرحمن بن عوف فكانوا بزّازين ، وكان سعد بن أبي وقاص يَبري النبل ، وكان أخوه عتبة نجّاراً ، وكان العاص بن هشام أخو أبي جهل بن هشام جزّاراً ، وكان الوليد بن المغيرة حدّاداً ، وكان عقبة بن أبي معيط خمّاراً ، وكان عثمان بن طلحة صاحب مفتاح البيت خيّاطاً ، وكان ابو سفيان بن حرب يبيع الزيت والأدم ، وكان أمية بن خلف يبيع البرم ، وكان عبد الله بن جُدعان نخّاساً ، وكان العاص بن وائل يعالج الخيل والابل ، وكان جرير بن عمرو وقيس ابو الضحاك بن قيس ومعمر بن عثمان وسيرين بن محمد بن سيرين كانوا كلهم حدّادين ، وكان المسيّب ابو سعيد زيّاتاً ، وكان ميمون بن مهران بزّازاً ، وكان مالك بن دينار ورّاقاً ، وكان أبو حنيفة صاحب الرأي خزّازاً ، وكان مجمّع الزاهد حائكاً .. قيل اتخذ يزيد بن المهلب بستاناً في داره بخراسان فلما ولي قتيبة بن مسلم جعله لابله فقال مرزبان مرو : هذا كان بستاناً وقد اتخذته لابلك ، فقال قتيبة : أبي كان اشتربان وكان ابو يزيد بستانيان فمها صار ذلك كذلك .. قال وذكروا ان المأمون ذكر أصحاب الصناعات فقال : السوقة سفل والصُّناع انذال والتجار بخلاء والكتّاب ملوك على الناس والناس أربعة أصحاب الحرف وهي امارة وتجارة وصناعة وزراعة فمن لم يكن منهم صار عيالاً عليهم

محاسن الثقة بالله سبحانه

قيل .. خطب سليمان بن عبد الملك فقال : الحمد لله الذي انقذني من نار بخلافته ..وقال الوليد بن عبد الملك لأشفعن للحجاج بن يوسف وقرة بن شريك عند ربي ..وقال الحجاج يقولون مات الحجاج مه ماأرجو الخير كله إلا بعد الموت والله ما رضي الله البقاء إلا لأهون خلقه عليه ألبس ابليس اذ قال (رَبِّ أَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ) .. وقال ابو جعفر المنصور الحمد لله الذي أجارني بخلافته وأنقذني من النار بها .. وحدثني ابراهيم بن عبد الله عن أنس ابن مالك قال دخلنا على قوم من الأنصار وفيهم فتى عليل فلم نخرج من عنده حتى قضى نحبه فاذا عجوز عند رأسه فالتفت اليها بعض القوم فقال استسلمي لأمر الله واحتسبي . قالت أمات ابني . قال نعم . قالت أحق ما تقولون . قلنا نعم . فمدت يدها الى السماء وقالت اللهم انك تعلم أني أسلمت لك وهاجرت الى نبيك محمد صلوات الله عليه رجاء أن تغيثني عند كل شدة فلا تحملني هذه المصيبة اليوم . فكشف ابنها الذي سجيناه وجهه وما برحنا حتى طعم وشرب وطعمنا معه

﴿ ضده ﴾

قال عيسى بن مريم صلوات الله تعالى عليه .. يامعشر الحواريين ان ابن آدم مخلوق في الدنيا في أربع منازل هو في ثلاث منها واثق وهو في الرابعة سيء الظن يخاف خذلان الله إياه فأما المنزلة الأولى فانه خلق في ظلمات ثلاث ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة فوقاه الله رزقه في جوف ظلمة البطن فاذا أخرج من ظلمة البطن وقع في اللبن لا يخطو اليه بقدم ولا ساق ولا يتناوله بيد ولا ينهض اليه بقوة بل يكره اليه إكراهاً ويوجر إيجاراً حتى ينبت عليه لحمه ودمه فاذا ارتفع عن اللبن وقع في المنزلة الثالثة من الطعام من أبويه يكسبان عليه من حلال وحرام فان ماتا عطف عليه الناس هذا يطعمه

وهذا يسقيه وهذا يؤويه وهذا يكسوه فاذا وقع في المنزلة الرابعة واشتد واستوى وكان رجلا خشي أن لا يرزق فيثب على الناس فيخون أماناتهم ويسرق امتعتهم ويغصبهم أموالهم مخافة خذلان الله تعالى إياه

محاسن طلب الرزق

قال عمرو بن عتبة من لم يقدمه الحزم أخره العجز .. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى يا ابن آدم أحدث لي سفراً أحدث لك رزقاً ، وفي بعض الحديث سافروا تغنموا .. وقال الكميت بن زيد الأسدي

وَلَنْ يُزِيحَ هُمُومَ النَّفْسِ إِنْ حَضَرَتْ ... حَاجَاتُ مِثْلِكَ إِلاَّ الرَّحْلُ وَالْجَمَلُ

وقال أبو تمام الطائي

وَطُولُ مُقَامِ الْمَرْءِ فِي الْحَيِّ مُخْلِقٌ ... لِدِيبَاجَتَيْهِ فَاغْتَرِبْ تَتَجَدَّدِ

فَإِنِّي رَأَيْتُ الشَّمْسَ زِيدَتْ مَحَبَّةً ... إِلَى النَّاسِ أَنْ لَيْسَتْ عَلَيْهِمْ بِسَرْمَدِ

وقال بعض الحكماء لا تدع الحيلة في التماس الرزق بكل مكان فان الكريم محتال والدنيّ عيال .. وأنشد

فَسِرْ فِي بِلَادِ اللهِ وَالْتَمِسِ الْغِنَى ... تَعِشْ ذَا يَسَارٍ أَوْ تَمُوتَ فَتُعْذَرَا

وَلَا تَرْضَ مِنْ عَيْشٍ بِدُونٍ وَلَا تَنَمْ ... وَكَيْفَ يَنَامُ اللَّيْلَ مَنْ كَانَ مُعْسِرَا

وتقول العامة كلب جوّال خير من أسد رابض . وتقول من غلى دماغه صائفاً غلت قدره شاتياً .. ووقّع عبد الله بن طاهر من سعى رعى ومن لزم المنام رأى الأحلام .. هذا المعنى سرقه من توقيعات انو شروان فانه يقول هرك روذ تجرّد هرك خسبد خواب بيند .. وأنشد

كفى حزناً أنّ النوى قذفت بنا بعيداً وأنّ الرزق أعيت مذاهبه

ولو أنّنا إذ فرّق الدهر بيننا غني واحد منّا تموّل صاحبه

ولكننا من دهرنا في مؤونة يكالبنا طوراً وطوراً نكالبه

وقال آخر

ومن يك مثلي ذا عيال ومقتراً من المال يطرح نفسه كلّ مطرح

ليبلغ عذراً أو ينال غنيمة ومبلغ نفس عذرها مثل منجح

وقال آخر

وليس الرزق عن طلب حثيث ولكن أدل دلوك في الدلاء

تجئك بملئها حيناً وطوراً تجيء بحمأة وقليل ماء

﴿ ضده ﴾

قيل .. وجد في بعض خزائن ملوك العجم لوح من حجارة مكتوب عليه كن لما لا ترجو أرجى منك لما ترجو فان موسى عليه السلام خرج ليقتبس ناراً فنودي بالنبوّة .. وبلغنا عن ابن السماك أنه قال لا تشتغل بالرزق المضمون عن العمل المفروض وكن اليوم مشغولاً بما أنت مسؤول عنه غداً وإياك والفضول فان حسابها يطول ..

قال الشاعر

إني علمت وعلم المرء ينفعه أنّ الذي هو رزقي سوف يأتيني

أسعى له فيعنّيني تطلّبه ولو قعدت أتاني لا يعنّيني

وقال آخر

لعمرك ما كلّ التعطّل ضائر ولا كلّ شغل فيه للمرء منفعه

إذا كانتِ الأرزاقُ في القُربِ والنوى | عليكَ سَواءً فاغتنم لذّةَ الدّعه

وقال آخر

سهّلْ عليكَ فإنّ الرزقَ مقدورُ | وكلُّ مُستأنفٍ في اللوحِ مسطورُ
أتى القضاءُ بما فيهِ لمُدّتهِ | وكلُّ ما لم يكُنْ فيهِ فمحظورُ
لا تكذِبَنّ فخيرُ القولِ أصدقهُ | إنّ الحريصَ على الدُّنيا لمغرورُ

وقال آخر

لا تعتبَنّ على العبادِ فإنّما | يأتيكَ رزقُكَ حينَ يُؤذَنُ فيهِ

وقال آخر

هي المقاديرُ تجري في أعنّتِها | فاصبرْ فليسَ لها صبرٌ على حالِ
يوماً تريشُ خسيسَ القومِ ترفعهُ | دونَ السماءِ ويوماً تخفضُ العالي

وقال آخر

إصبرْ على زمنٍ جمٍّ نوائبهُ | فليسَ من شدّةٍ إلّا لها فرَجُ
تلقاهُ بالأمسِ في عمياءَ مظلمةٍ | ويُصبحُ اليومَ قد لاحتْ له السُّرُجُ

وقال آخر

ألا رُبَّ راجٍ حاجةً لا ينالُها | وآخرَ قد تُقضى لهُ وهو آيسُ
يجولُ لها هذا وتُقضى لغيرِهِ | فتأتي الذي تُقضى لهُ وهو جالسُ

وقال آخر

فلمّا أنْ عُنيتُ بما أُلاقي | وأعيتني المسائلُ بالقروضِ
دعوتُ اللهَ لا أرجو سِواهُ | وربُّ العرشِ ذو فرجٍ عريضِ

وقال آخر

يا صاحبَ الهمِّ إنَّ الهمَّ منفرِجٌ ... أبشرْ بخيرٍ كأنْ قدْ فرَّجَ اللهُ

اليأسُ يَقطعُ أحياناً بصاحبِهِ ... لا تيأسَنَّ فإنَّ الصانعَ اللهُ

إذا ابتليتَ فثقْ باللهِ وارضَ بهِ ... إنَّ الذي يكشفُ البلوى هوَ اللهُ

وقال آخر

وإذا أصابكَ منَ الحوادثِ نكبةٌ ... فاصبرْ فكلُّ بليةٍ تتكشفُ

محاسن المواعظ

قال الأصمعي حججت فنزلت ضرية فاذا اعرابي قد كوّر عمامته على رأسه وقد تنكّب قوساً فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس إنما الدنيا دار ممرّ والآخرة دار مقر فخذوا من ممرّكم لمقركم ولا تهتكوا أستاركم عند من يعلم أسراركم أما بعد فانه ان يستقبل أحد يوماً من عمره إلا بفراق آخر من أجله فاستعجلوا لأنفسكم لما تقدمون عليه لا لما تظعنون عنه وراقبوا من ترجعون اليه فانه لا قويّ أقوى من خالق ولا ضعيف أضعف من مخلوق ولا مهرب من الله إلا اليه وكيف يهرب من يتقلب بين يدى طالبه وانما توفّون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلّا متاع الغرور .. وقال بعض الأعراب ان الموت ليقتحم على بني آدم كاقتحام الشيب على الشباب ومن عرف الدنيا لم يفرح بها فهو خائف ولم يحزن فيها على بلوى ولا طالب أغشم من الموت ومن عطف عليه الليل والنهار ارdياه ومن وكل به الموت أفناه .. وقال اعرابي كيف يفرح بعمر تنقصه الساعات وبسلامة بدن معرض للآفات لقد عجبت من المرء يفرّ من الموت وهو سبيله ولا أرى أحداً الا استدركه الموت .. وقيل وجد في كتاب من كتب بزرجمهر صحيفة مكتوب فيها ان حاجة الله الى عباده أن

يعرفوه فمن عرفه لم يعمه طرفة عين كيف البقاء مع الفناء وكيف يأتى المرء على ما فاته والموت يطلبه .. وقال كسرى لم يكن من حق عليه ان يقتل وأني لنادم على ذلك (١) .. قال وحضرت الوفاة رجلا من حكماء فارس فقيل له كيف يكون حال من يريد سفراً بعيداً بغير زاد ويقدم على ملك عادل بغير حجة ويسكن قبراً موحشاً بغير أنيس

﴿ ضده ﴾

قيل .. لما مات عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز جزع أبوه عليه جزعا شديداً فقال ذات يوم لمن حضره هل من منشد شعراً يعزيني به أو واعظ يخفف عني فأتسلى به . فقال رجل من أهل الشام : يا أمير المؤمنين كل خليل مفارق خليله بأن يموت أو بأن يذهب الى مكان . فتبسم عمر بن عبد العزيز وقال : مصيبتي فيك زادتني الى مصيبتي مصيبة .. وأصيب الحجاج بن يوسف بمصيبة وعنده رسول لعبد الملك بن مروان فقال: ليت اني وجدت انساناً يخفف عني مصيبتي . فقال له الرسول : أقول . قال : قل . قال : كل انسان مفارق صاحبه بموت أو بصلب أو بنار تقع عليه من فوق البيت أو يقع عليه البيت أو يسقط في بئر أو يغشى عليه أو يكون شئ لا يعرفه . فضحك الحجاج وقال مصيبتي في أمير المؤمنين أعظم حين وجه مثلك رسولا

محاسن فضل الدنيا

قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه : الدنيا دار صدق لمن صدقها ودار عافية لمن فهم عنها ودار غنى لمن تزود منها مسجد أنبياء الله ومهبط وحيه ومصلى ملائكته ومتجر أوليائه يكسبون فيها الرحمة ويربحون فيها الجنة فمن ذا يذمها وقد آذنت ببينها ونادت بفراقها ونعت نفسها وشوقت بسرورها الى السرور وببلائها الى البلاء تخويفاً

(١) ـــ هكذا في الاصل وفي العبارة نقص فليحرر

وتحذيراً وترغيباً وترهيباً فيا أيها الذام للدنيا والمفتتن بغرورها متى غرّتك أبمصارع آبائك من البِلَى أم بمضاجع أمهاتك تحت الثرى كم عللت بكفيك وكم مرضت بيديك تبتغي لهم الشفاء وتستوصف لهم الأطباء وتلتمس لهم الدواء لم تنفعهم بطلبتك ولم تنفعهم بشفاعتك ولم تستشفهم باستشفائك بطبك مثّلت بهم الدنيا مصرعك ومضجعك حيث لا ينفعك بكاؤك ولا يُغني عنك أحباؤك ثم التفت الي قبور هنالك فقال : يا أهل الثراء والعز الأزواج قد نُكحت والأموال قد قسمت والدور قد سكنت هذا خبر ما عندنا فما خبر ما عندكم ثم قال لمن حضر : والله لو أذن لهم لأجابوا بأن خير الزاد التقوى .. وأنشد

ما أحسنَ الدُّنيا وإقبالَها إذا أطاع اللهَ مَنْ نالَها

من لم يُواسِ النَّاسَ من فضلها عرَّضَ للإِدْبارِ إقبالَها

قال أبو حازم الدنيا طالبة ومطلوبة طالب الدنيا يطلبه الموت حتى يخرجه منها وطالب الآخرة تطلبه الدنيا حتى توفّيه رزقه .. وقال الحسن البصري بينا أنا أطوف بالبيت اذا انا بعجوز متعبّدة فقلت : من أنت . فقالت : من بنات ملوك غسان . قلت : فمن أين طعامك . قالت : اذا كان آخر النهار جاءتني امرأة متزيّنة فتضع بين يدي كوزاً من ماء ورغيفين . قلت لها : أتعرفينها . قالت : اللهم لا . قلت : هي الدنيا خدمت ربك جلّ ذكره فبعث اليك الدنيا تخدمك

﴿ ضده ﴾

زعموا أن زياد بن أبيه مرّ بالحيرة فنظر الى دير هنالك فقال لخادمه لمن هذا قيل له هذا دير حُرقة بنت النعمان بن المنذر فقال ميلوا بنا اليه لنسمع كلامها فجاءت الى وراء الباب فكلمها الخادم فقال لها : كلّمي الأمير . فقالت : أأوجز ام أطيل . قال : بل أوجزي قالت : كنا أهل بيت طلعت الشمس علينا وما على الأرض أحد أعزّ منا وما غابت تلك الشمس حتى رحمنا عدوّنا قال : فأمر لها بأوساق من شعير فقالت : أطعمتك يد

شماء جاعت ولا أطعمتك يد جوعاء شبعت .. فسرّ زياد بكلامها فقال لشاعر معه قيّد هذا الكلام ليدرس .. فقال

سَلِ الخيرَ أهلَ الخيرِ قِدْماً ولا تَسَلْ فتىً ذاقَ طَعْمَ الخيرِ مُنْذُ قريبِ

ويقال .. إن فروة بن إياس بن قبيصة انتهى الى دير حرقة بنت النعمان فألفاها وهي تبكي فقال لها : ما يبكيك، قالت: ما من دار امتلأت سروراً إلّا امتلأت بعد ذلك ثبوراً ثم قالت

فبينا نَسُوسُ النّاسَ والأمرُ أمرُنا إذا نحنُ فيهمْ سُوقَةٌ نَتَنَصَّفُ

فأُفٍّ لِدُنيا لا يَدُومُ نعيمُها تقلّبُ تاراتٍ بنا وتَصَرَّفُ

قال .. وقالت حرقة بنت النعمان لسعد بن أبي وقّاص لا جعل الله لك الى لئيم حاجة ولا زالت لكريم اليك حاجة وعقد لك المنن في أعناق الكرام ولا أزال بك عن كريم نعمة ولا أزالها بغيرك إلا جعلك سبباً لردّها عليه.. قال وقال عبد الملك بن مروان لسلم بن يزيد الفهمي أيّ الزمان أدركت أفضل وأي ملوكه أكمل . قال : أما الملوك فلم أر إلّا ذاما وحامداً وأما الزمان فرفع أقواماً ووضع آخرين وكلهم يذم زمانه لأنه يبلي جديدهم ويهرم صغيرهم وكل ما فيه منقطع إلّا الأمل . قال : فأخبرني عن فهم . قال: هم كما قال الشاعر

دَرَجَ اللّيلُ والنّهارُ على فَهْــمِ بنِ عَمْرٍو فأصبحوا كالرّميمِ

وخَلَتْ دارُهم فأضحتْ قِفاراً بعدَ عِزٍّ وثروةٍ ونعيمِ

وكذاكَ الزّمانُ يَذهبُ بالنّا سِ وتبقى ديارُهم كالرّسومِ

قال : فمن يقول منكم

رأيتُ النّاسَ مذْ خُلِقوا وكانوا يُحِبُّونَ الغنيَّ منَ الرّجالِ

وإنْ كانَ الغنيُّ أقلَّ خيراً بخيلاً بالقليلِ منَ النّوالِ

فلا أدري علامَ وفيمَ هذا ... وما ذا يرتجون من المُحال

أللدُّنيا فليسَ هناكَ دُنيا ... ولا يُرجى لحادثةِ الليالي

قال : أنا وقد كتمتها .. قال ولما دخل علي صلوات الله عليه المدائن فنظر الى إيوان كسرى أنشد بعض من حضره .. قول الأسود بن يعفر

ماذا أؤمّلُ بعدَ آلَ محرّقٍ ... تركوا منازلهمْ وبعدَ إيادِ

أهلِ الخورنقِ والسديرِ وبارقٍ ... والقصرِ ذي الشُّرفاتِ من سنداد

نزلوا بأنقرةٍ يسيلُ عليهمُ ... ماءُ الفراتِ يجيءُ من أطوادِ

أرضٌ تخيّرَها لطيبِ نسيمها ... كعبُ بنُ مامةَ وابنُ أمِّ دُوادِ

جرتِ الرياحُ على محلِّ ديارِهم ... فكأنما كانوا على ميعادِ

فإذا النعيمُ وكلُّ ما يُلهَى بهِ ... يوماً يصيرُ إلى بلىً ونفادِ

وقال علي صلوات الله عليه : أبلغ من ذلك قول الله تعالى ﴿ كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ﴾ .. وقال عبدالله بن المعتز أهل الدنيا كركب يسار بهم وهم نيام .. وقال غيره طلاق الدنيا مهر الجنة .. وذكروا ان اعرابيا ذكر الدنيا فقال هي جمة المصائب رنقة المشارب .. وقال آخر الدنيا لا تمتع بصاحب .. قال ابو الدرداء من هوان الدنيا على الله تعالى انه لا يعصى إلّا فيها ولا ينال ما عنده إلّا بتركها .. وقال : اذا أقبلت الدنيا على امرئ اعارته محاسن غيره واذا أدبرت عنه سلبته محاسن نفسه .. وقال الشاعر

أيا دُنيا حسرتِ لنا قناعاً ... وكان جمالُ وجهكِ في النقابِ

ديارٌ طالما حُجبتْ وعزّتْ ... فأصبحَ اذنُها سهلَ الحجابِ

وقد كانتْ لنا الأيامُ ذَلّتْ ... فقدْ قُرِنَتْ بأيامٍ صِعابِ
كأنَّ العيشَ فيها كانَ ظِلاً ... يقلّبهُ الزمانُ إلى ذهابِ

قال الأصمعي : وُجد في دار سليمان بن داود عليه السلام على قُبّة مكتوباً

ومَنْ يحمَدِ الدُّنيا لشيءٍ يَسُرُّهُ ... فسوفَ لعَمْري عن قريبٍ يلومُها
إذا أدبرَتْ كانتْ على المرءِ حسرةً ... وإنْ أقبلَتْ كانتْ كثيراً همومُها

وكان ابراهيم بن أدهم ينشد

نُرَقِّعُ دُنيانا بتمزيقِ دِينِنا ... فلا دِينُنا يَبقى ولا ما نُرَقِّعُ

وقال أبو العتاهية

يا مَنْ ترفَّعَ بالدُّنيا وزينتِها ... ليسَ الترفُّعُ رَفعَ الطينِ بالطِّينِ
إذا أردتَ شريفَ القومِ كلِّهمِ ... فانظُرْ إلى مَلِكٍ في زِيِّ مسكينِ
ذاكَ الذي عظُمَتْ في النَّاسِ همّتُهُ ... وذاكَ يصلُحُ للدنيا وللدِّينِ

وقال آخر

هَبِ الدنيا تُساقُ إليكَ عفواً ... أليسَ مَصيرُ ذاكَ إلى زوالِ

وقال محمود الوراق

هيَ الدُّنيا فلا يَغرُرْكَ منها ... مَخايلُ تَستفِزُّ ذوي العقولِ
أقلُّ قليلِها يكفيكَ منها ... ولكنْ لستَ تقنعُ بالقليلِ
تُشيدُ وتبتني في كلِّ يومٍ ... وأنتَ على التجهُّزِ للرَّحيلِ
ومِنْ هذا على الأيامِ تبقى ... مَضارِبُهُ بمَدرَجةِ السُّيولِ

وقال آخر

دُنيا تَداوَلُها العِبادُ ذَميمةٌ ... شِيبَتْ بأكرَهَ من نَقيعِ الحَنظَلِ

وثباتُ دُنيا ما تزالُ مُلِمّةً　　منها فجائعُ مثلَ وقعِ الجندلِ

وقال آخر

حتّى متى أنتَ في دُنياكَ مُشتغلٌ　　وعاملُ اللهِ بالرّحمنِ مشغولُ

وقال ابو نواس الحسن بن هانئ

دَعِ الحرصَ على الدُّنيا　　وفي العيشِ فلا تطمعْ

ولا تجمعْ لكَ المالَ　　فما تدري لمن تجمعْ

ولا تدري أفي أرضِ..　　كَ أم في غيرها تُصرَعْ

قال الاصمعي : سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول بينا أنا أدور في بعض البراري اذا أنا بصوت

وإنّ امرأً دُنياهُ أكبرُ همّهِ　　لمستمسكٌ منها بحبلِ غرورِ

فقلت : أانسي أم جنيّ فلم يجبني أحد فنقشته على خاتمي .. قال وسمع يحيى بن خالد بيت العدوي في صفة الدنيا

حتوفُها رَصَدٌ وعيشُها نكَدٌ　　وشربُها رنَقٌ وملكُها دُوَلُ

فقال : لقد نظم في هذا البيت صفة الدنيا .. قال وسمع المأمون بيت أبي نواس

إذا امتحنَ الدُّنيا لبيبٌ تكشّفتْ　　له عن عدوٍّ في ثيابِ صديقِ

فقال : لو سئلت الدنيا عن نفسها ما وصفة نفسها كصفة أبي نواس .. وقيل للحسن البصري : ما تقول في الدنيا . قال : ما أقول في دار حلالها حساب وحرامها عقاب فقيل : ما سمعنا كلاما أوجز من هذا قال بلى كلام عمر بن عبد العزيز كتب اليه عديّ ابن أرطاة وهو على حمص ان مدينة حمص قد تهدمت واحتاجت الى صلاح حيطانها فكتب اليه حصّنها بالعدل ونقّ طرقها من الظلم والسلام

محاسن الزهد

محمد بن الحسن عن أبي همام وكان قد عرف ضيغما قال: كنت معه في طريق مكة فلما بعدنا في الرمل نظر الى ما تلقى الابل من شدة الحر فبكى ضيغم فقلت: لو دعوت الله أن يمطر علينا كان أخف على هذه الابل قال فنظر الى السماء وقال: إن شاء الله فعل قال فوالله ما كان إلا أن تكلم حتى نشأت سحابة فهطلت .. وعن عطاء بن يسار ان أبا مسلم الخولاني خرج الى السوق بدرهم يشتري لأهله دقيقاً فعرض له سائل فأعطاه بعضه ثم عرض له سائل آخر فأعطاه الباقي فأتى النجارين فملأ مزودة من نشارة الخشب وأتى منزله فألقاه وخرج هارباً من أهله فأخذت المرأة المزود فاذا دقيق حُوّاري لم تر مثله فعجنته وخبزته فلما جاء قال من أين لك هذا قالت الدقيق الذي جئت به .. وعن أبي عبد الله القرشي عن صديق له قال: دخلت بئر زمزم فاذا بشخص ينزع الدلو مما يلي الركن فلما شرب أرسل الدلو فأخذته فشربت فضلته فاذا هو سويق لوز لم أر أطيب منه فلما كانت القابلة في ذلك الوقت جاء الرجل وقد أسبل ثوبه على وجهه ونزع الدلو فشرب ثم أرسله فأخذته فشربت فضلته فاذا هو ماء مضروب بالعسل لم أر شيئاً قط أطيب منه فأردت أن آخذ طرف ثوبه فانظر من هو ففاتني فلما كان في الليلة الثالثة قعدت قبالة زمزم في ذلك الوقت فجاء الرجل وقد أسبل ثوبه على وجهه فنزع الدلو فشرب وأرسله وأخذته وشربت فضلته فاذا هو أطيب من الأول فقلت يا هذا أسألك برب هذه البنية من أنت. قال: تكتم علي حتى أموت. قلت: نعم. قال لي: أنا سفيان الثوري وكانت تلك الشربة تكفيني اذا شربتها الى مثلها لا أجد جوعا ولا عطشا .. وقال الاصمعي: رأيت اعرابياً يكدح جبهته بالأرض يريد أن يحمل سجادة فقلت ما تصنع قال اني وجدت الاثر في وجه الرجل الصالح .. وقال الشاعر

كيف يبكي لمحبس في طلول   من سيقضي ليوم حبس طويل
إنّ في البعث والحساب لشغلاً   عن وقوف برسم ربع محيل

وقال آخر

إنَّ الشقيَّ الذي في النَّار منزِلُه … والفوزُ فوزُ الذي ينجو منَ النَّارِ

يا ربِّ أسرفتُ في ذنبي ومعصيتي … وقد علمتُ يقيناً سوءَ آثاري

فاغفرْ ذنوباً إلهي قد أحطتَ بها … ربَّ العبادِ وزحزحني عن النَّارِ

وقال ذو الرمة

تعصي الإلهَ وأنتَ تُظهِرُ حبَّهُ … هـذا مُحالٌ في القياسِ بديعُ

لو كانَ حبُّكَ صادقاً لأطعتَهُ … إنَّ المُحِبَّ لمَنْ يُحِبُّ مُطيعُ

وقال أبو نواس

أيا عجباً كيفَ يُعصى الإلـٰــهُ … أمْ كيفَ يجحدُهُ الجاحدُ

وللهِ في كلِّ تحـريكةٍ … وتسكينةٍ فاعلمنْ شـاهدُ

وفي كلِّ شيْءٍ لهُ آيةٌ … تدُلُّ علـى أنَّهُ واحـدُ

وقال أيضا

سبحانَ منْ خلقَ الخلـــقَ منْ ضعيفٍ مهينِ

يسوقُهمْ منْ قرارٍ … إلى قـرارٍ مكينِ

يحوزُ خلقاً فخلقاً … في الحجْبِ دُونَ العيونِ

حـتَّى بدَتْ حركاتٌ … مخلوقـةٌ منْ سكونِ

وقال آخر

أخي ما بالُ قلبكَ ليسَ ينقى … كأنَّكَ ما تظنُّ المـوتَ حقّاً

ألا يا ابنَ الذينَ مضوْا وبادُوا … أما واللهِ ما ذهبوا لتبقى

وما لكَ غيرَ تقوى اللهِ زادٌ　　إذا جعلتَ إلى اللهواتِ ترَقى

وقال آخر

يا قلبُ مهلاً وكن على حذرٍ　　فقد لعمري أمرتَ بالحذرِ

ما لكَ بالتُّرهاتِ مُشتغلاً　　أفي يديكَ الأمانُ من سقرِ

وقال آخر

إنْ كنتَ تؤمنُ بالقيا　　مةِ واجترأتَ على الخطيَّه

فلقد هلكتَ وإنْ جحدْ　　تَ فذاكَ أعظمُ للبليَّه

وقال آخر

وأفنيةُ الملوكِ محجَّباتٌ　　وبابُ اللهِ مبذولُ الفناء

فما أرجو سواهُ لكشفِ ضرّي　　ولا أفزعْ إلى غيرِ الدُّعاء

ولا أدعو إلى اللأواءِ كهفاً　　سوى من لا يَصمُّ عن الدُّعاء

﴿ ضده ﴾

قيل .. كان جندي بقزوين يصلي في بعض المساجد فافتقده المؤذن أياماً فصار اليه وقرع بابه عليه فخرج اليه فقال له المؤذن : أبو من . قال : أبو الجحيم . قال : بئس يا هذا رد الباب .. قال وقيل للقيني ما أيسر ذنبك . قال : ليلة الدير . قيل له : وما ليلة الدير . قال : نزلت بدير نصرانية فأكلت عندها طفشيلا بلحم خنزير وشربت خمرها وفجرت بها وسرقت كساءها وخرجت[1] .. قيل أتى جماعة من الفتيان الى قرية فنزلوا على

(١) ـ ذكر ابن قتيبة في كتابه أخبار الشعراء هذه القصة لأبي الطمحان القيني . وقد نسبت هذه الخزية أيضاً لفرزدق وفيها يقول له جرير

وكنت اذا نزلت بدار قوم　　رحلت بخزية وتركت عاراً

باب خان فقام أحدهم يصلي والباقون جلوس فمرت بهم نبطية فقالوا دلينا على قحبة قالت نعم كم أنتم ، قالوا نحن أربعة ، فأومى الذى يصلي بيده سبحان الله أنا الخامس .. وقال الشاعر

وإنني في الصلاةِ أحضرُها ... ضحكةُ أهلِ الصلاةِ إن شهدوا
أقعدُ في سجدةٍ إذا ركعوا ... وأرفعُ الرأسَ إن هُمُ سجدوا
أسجدُ والقومُ راكعون معاً ... وأسرعُ الوثبَ إن هُمُ قعدوا
فلستُ أدري إذا هُمُ فرغوا ... كم كانَ تلكَ الصلاةُ والعددُ

وقال آخر

وأصلّي فأغالطُ الدّهرَ فيما ... بينَ سبعٍ وأربعٍ وثمانِ
ومواقيتُ حينها لستُ أدري ... ما أذانٌ موقّتٌ من أذانِ

وقال آخر

نِعمَ الفتى لو كانَ يعرفُ ربَّهُ ... ويقيمُ وقتَ صلاتهِ حمّادُ
عدلَتْ مشافرهُ الدِّنانَ فأنفهُ ... مثلُ القدومِ يسنُّهُ الحدّادُ
فابيضَّ من شُربِ المدامةِ وجهُهُ ... فبياضُهُ يومَ الحسابِ سوادُ

وقال آخر

إنْ قرأ العادياتِ في رجبٍ ... لمْ يعدُ منها إلاّ إلى رجبِ
بلْ نحنُ لا نستطيعُ في سنةٍ ... نختمُ تبّتْ يدا أبي لهبِ

محاسن النساء النادبات

قيل .. كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستحسن قول الخنساء في صخر أخيها

لابدّ من ميتةٍ في صرفها غِيَرٌ والدهرُ من شأنه حولٌ وإضرارُ
وإنّ صخراً لتأتمُّ الهداةُ به كأنّه علمٌ في رأسه نارُ

وقيل للخنساء صفي لنا صخراً فقالت كان مطرَ السنة الغبراء وذُعاف الكتيبة الحمراء قيل فمعاوية قالت حياء الجدبة اذا نزل وقرى الضيف إذا حل قيل فأيهما كان عليك أحنى قالت أما صخر فسقام الجسد وأما معاوية فجمرة الكبد .. وأنشدت

أسدان محمرّا المخالب نجدة غيثان في الزمن الغضوب الأغبر
قمران في النادي رفيعا محتد في المجد فرعا سودد متخير

وروى أنها دخلت على عائشة أم المؤمنين وعليها صدار من شعر فقالت لها عائشة أتخذين الصدار وقد نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقالت : يا أم المؤمنين ان زوجي كان رجلا متلافاً منفقاً فقال لي : لو أتيت معاوية فاستعنتيه فخرجت وقد لقيني صخر فأخبرته فشاطرني ماله ثلاث مرات فقالت له امرأته : لو أعطيتها من شرارها — تعني الابل — فقال

تالله لا أمنحها شرارها وهي حصان قد كفتني عارها
وإن هلكت مزقت خمارها واتخذت من شعر صدارها

فلما هلك صخر اتخذتُ هذا الصدار ونذرت أن لا انزعه حتى أموت .. قال ثور ابن معن السلمي حدثني أبي قال : دخلت على الخنساء في الجاهلية وعليها صدار من شعر وهي تجهز ابنها فكلمتها في طرح الصدار فقالت : يا حمقاء والله لأنا أحسن منك عرسا وأطيب منك درسا وأرق منك نعلا وأكرم منك بعلا .. قال عبد الرحمن بن مرة

عن بعض أشياخه ان عمر بن الخطاب قال للخنساء : ما أقرح ما في عينيك ، قالت : بكائي على السادات من مضر ، قال : يا خنساء انهم في النار ، قالت : ذلك أطول لعويلي

•• ومما اخترنا من أشعارها قولها

تعرّقني الدهرُ قرعاً وغمزا ... وأوجعني الدهرُ نهشاً وخزا

وأفنى رجالي فبادوا معاً ... فأصبحَ قلبي لهم مُستفزا

كأنْ لم يكونوا حمىً يُتّقى ... إذ الناسُ إذ ذاك مَن عزّ بزّا

وكانوا سَراةَ بني مالكٍ ... وزينَ العشيرةِ مجداً وعزّا

وهم في القديمِ صِحاحُ الأديـ ... ـمِ والكائنونَ منَ الناسِ حِرزا

بسُمر الرماحِ وبيضِ الصفاحِ ... فبالبيضِ ضرباً وبالسُمرِ وخزا

جززنا نواصيَ فرسانِكم ... وكانوا يظنّونَ أنْ لا تُجزّا

ومَن ظنَّ ممّن يُلاقي الحروبَ ... بأنْ لا يُصابَ فقد ظنّ عجزا

نعفُّ ونعرفُ حقَّ القرى ... ونتّخذُ الحمدَ ذُخراً وكنزا

ونلبسُ في الحربِ نسجَ الحديدِ ... وفي السِّلْمِ نلبسُ خزّاً وقزّا

وروي خبر الخنساء من جهة أخرى ذكروا انها أقبلت حاجّة فمرّت بالمدينة ومعها أناس من قومها فأتوا عمر بن الخطاب فقالوا : هذه خنساء فلو وعظتها فقد طال بكاؤها في الجاهلية والاسلام فقام عمر وأتاها وقال : يا خنساء ، قال فرفعت رأسها فقالت ما تشاء وما الذي تريد ، فقال : ما الذي أقرح ما في عينيك ، قالت : البكاء على سادات مضر ، قال : انهم هلكوا في الجاهلية وهم أعضاد اللهب وحشو جهنم ، قالت : فداك أبي وأمي فذلك الذي زادني وجعاً ، قال : فأنشديني ما قلت ، قالت : اما اني لا أنشدك ما قلت قبل اليوم ولكني أنشدك ما قلته الساعة .. فقالت :

سقى جدثاً أعراقُ غمرةَ دونَهُ　　وبيشةُ ديماتُ الربيعِ ووابلُه

وكنتُ أعيرُ الدمعَ قبلكَ من بكى　　فأنتَ على من ماتَ قبلكَ شاغلُه

وأزعمُ سمعي إذا ذكروا الأسى　　وفي الصدرِ مني زفرةٌ لا تزايلُه

فقال عمر : دعوها فإنها لا تزال حزينة أبداً .. ليلى الأخيلية هجاها رجل من قومها .. فقال

ألا حيّيا ليلى وقولا لها هلا　　فقد ركبت أيراً أغرَّ محجلا

فأجابته

تعيّرني داءً بأمك مثله　　وأيُّ جوادٍ لا يقالُ له هلا

وذكروا أنها دخلت على عبد الملك بن مروان فقال لها : يا ليلى هل بقي في قلبك من حب توبة بن الحميّر شيء ، قالت : وكيف أنساه وهو الذي يقول يا أمير المؤمنين

ولو أنَّ ليلى في ذرى متمنّعٍ　　بنجرانَ لالتفّت عليَّ قصورُها

حمامةَ بطنِ الواديينِ ترنّمي　　سقاكِ من الغرِّ الغوادي مطيرُها

أبيني لنا لا زالَ ريشُكِ ناعماً[1]　　وبيضُكِ في خضراءَ غصنٍ نضيرُها

تقولُ رجالٌ لا يضيرُكَ نأيُها　　بلى كلُّ ما شفَّ النفوسَ يضيرُها

أيذهبُ ريعانُ الشبابِ ولم أزُرْ　　كواعبَ في همدانَ يبضٌ نحورُها

قال : عزمتُ الله أن تذكريه .. والتوبة في ليلى الأخيلية

ولو أنَّ ليلى الأخيليةَ سلّمتْ　　عليَّ ودوني جندلٌ وصفائحُ

لسلّمتُ تسليمَ البشاشةِ أو زقى　　إليها صدًى من جانبِ القبرِ صائحُ

ولو أنَّ ليلى في السماءِ لأصعدتْ　　بطرفي إلى ليلى العيونُ اللوامحُ

(١) ـ رواية أبي علي القالي في أماليه « ولا زلت في خضراء غض نضيرها »

فلما مات توبة مرّ زوج ليلى بليلى على قبره فقال : لها سلمي على توبة فانه زعم في شعره انه يسلم عليك تسليم البشاشة ، فقالت ما تريد الى من بليت عظامه ، فقال : والله لتفعلن ، فقالت وهي على البعير : سلام عليك يا توبة فتى الفتيان ، وكانت قطاة مستظلة في ثقب من ثقب القبر فلما سمعت الصوت طارت وصاحت فنفر البعير ورمى بليلى فماتت فدفنت الى جنب قبر توبة .. قال وسأل الحجاج ليلى هل كان بينك وبين توبة ريبة قط ، قالت لا والذي أسأله صلاحك الا انه مرة قال لي قولاً ظننت انه يختع لبعض الأمر .. فقلت له

وذي حاجةٍ قلنا لهُ لا تَبحْ بها ... فليسَ إليها ما حَيِيتُ سبيلُ

لنا صاحبٌ لا ينبغي أن نخونهُ ... وأنتَ لأُخرَى فارغٌ وخليلُ

فما كلمني بعد ذلك بشيء حتى فرّق بيني وبينه الموت ، قال الحجاج فما كان بعد ذلك ، قالت لم يلبث أن قال لصاحب له اذا أتيت الحاضر من بني عبادة فقل بأعلى صوتك

عفا اللهُ عنها هل أبيتنَّ ليلةً ... منَ الدّهرِ لا يَسري إليَّ خيالُها

فلما سمعت الصوت خرجت فقالت

وعنهُ عفا ربي وأحسنَ حالهُ ... تعزُّ علينا حاجةٌ لا ينالُها

قال ودخلت ليلى على الحجاج فانشدته .. قولها فيه

إذا نزلَ الحجّاجُ أرضاً سقيمةً ... تتبّعَ أقصى دائها فشفاها

شفاها منَ الدّاءِ العُضالِ الذي بها ... غلامٌ إذا هزَّ القناةَ ثناها

أحجّاجُ لا تُعطي العُصاةَ مُناهمُ ... ولا اللهُ يُعطي للعُصاةِ مُناها

فوصلها الحجاج بألف دينار وقال لو قلت بدل غلام همام لكان أحسن ..

هند بنت عتبة أم معاوية بن أبي سفيان قيل لما قتل شيبة وعتبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة رثتهم هند .. فقالت

إني رأيتُ فساداً بعدَ إصلاحِ في عبدِ شمسٍ فقلبي غيرُ مرتاحِ
هاجت لهم أدمعٌ تترى ومنبعها من رأسِ محزونةٍ ما إن لها لاحي
لمّا تنادت بنو فهرٍ على حنقٍ والموتُ بينهم ساعٍ لأرواحِ
كأنّما النسجُ في قتلى مصرّعةٍ سُرُجٌ أضاءت على جذرٍ وألواحِ
يا آلَ هاشمِ انّا لا نُصالحكم حتى نرى الخيلَ تردى كلَّ كفّاحِ
إن يُمكنِ اللهُ يوماً من هزيمتكم يُورِثْ نساءَ كمُ داءً بتقراحِ

فاجابتها عمرة بنت عبد الله بن رواحة الانصاري

يا هندُ مهلاً لقد لاقيتِ مُهلِكةً يومَ الأعنّةِ والأرواحُ في الرّاحِ
أُسْدٌ غطارفةٌ غرٌّ جحاجحةٌ أبناءُ مُحصنةٍ بيضٌ لجحجاحِ
هنالك الفوزُ والرّضوانُ إن صبروا معَ الرّسولِ فما آبوا بتقباحِ
اللهُ أهلكهمْ والأوسُ شاهدةٌ والخزرجُ الغرُّ فيهم كلُّ مجتاحِ
لا تبعدنَّ فإني غيرُ صارخةٍ وكيف تصرخُ ذاتُ البَعلِ يا صاحِ

النساء الماجنات

قال سليمان بن عبد الملك أنشدوني أحسن ما سمعتم من شعر النساء فقال بعضهم يا أمير المؤمنين سار رجل من الظرفاء في بعض طرقاته إذ أخذته السماء فوقف تحت مظلة ليستكن من المطر وجارية مشرفة عليه فلما رأته حدفته بحجر فرفع رأسه ،،وقال

لوْ بتفّاحةٍ رَميتِ رَجونا ومِنَ الرّمي بالحصاةِ جفاه

فاجابته

ما جهلنا الذي ذكرت من الشكـــل ولا بالذي تراه خفاء

ودابة معها فقالت

قد بدا أتيه ماذكرت وجدى ليت شعري فهل لهذا وفاء

وسائلة فى الباب فقالت

قد لعمري دعوتها فأجابت هي داء وأنت منه شفاء

قال سليمان قاتلها الله هي والله أشعرهم

(عنان جارية الناطفي) قال السلولي دخلت يوما على عنان وعندها رجل اعرابي فقالت يا عمّ لقد أتى الله بك ، قلت وما ذاك ، قالت هذا الاعرابي دخل عليّ فقال بلغني انك تقولين الشعر فقولي بيتاً فقلت لها قولي فقالت قد أرتج عليّ فقل أنت فقلت

لقد جدّ الفراق وعيل صبري عشية عيرهم للبين زمّت

فقال الاعرابي

نظرت إلي أواخرها ضحياً وقد بانت وأرض الشام أمّت

فقالت عنان

كتمت هواكم في الصدر مني على أن الدموع عليّ نمّت

فقال الاعرابي أنت والله أشعرنا ولولا انك بحرمة رجل لقبلتك ولكني أقبل البساط .. وقال بعضهم دخلت على عنان فاذا عليها قميص يكاد يقطر صبغه وقد تناولها سيدها بضرب شديد وهي تبكي فقلت

إنّ عنانا أرسلت دمعها كالدرّ إذ ينسل من سمطه

فقالت وأشارت الي مولاها

فليت من يضربها ظالماً تجف يمناه على سوطه

فقال مولاها هي حرّة لوجه الله ان ضربتها ظالماً أو غير ظالم .. قال واجتمع أبو نواس والفضل الرقاشي والحسين الخليع وعمرو الورّاق وحكم بن رزين والحسين الخياط في منزل عنان فتناشدوا الى وقت العصر فلما أرادوا الانصراف قالوا أين نحن الليلة فكل قال عندي . فقالت عنان بالله قولوا شعراً وارضوا بحكمي .. فقال الرقاشي

عذراء ذاتُ احمرارِ ... إني بها لا أحاشي

قوموا ندامايَ روّوا ... مشاشكمْ من مُشاشي

وناطحوني كؤوساً ... نِطاحَ صلْبِ الكباشِ

وإنْ نكلْتُ فحلٌّ ... لكمْ دمي ورياشي

فقال أبو نواس

لا بلْ إليَّ تلاقي ... قوموا بنا مجّاني

قوموا نلذُّ جميعاً ... بقولِ هاتِ وهاتِ

فإنْ أردتم فتاةً ... أتيتُكُمْ بفتاتي

وإنْ أردتم غلاماً ... صادفتموني مُواتي

فبادِروهُ مجوناً ... في وقتِ كلِّ صلاةِ

وقال الحسين الخليع

أنا الخليعُ فقوموا ... إلى شرابِ الخليعِ

إلى شرابٍ لذيذٍ ... وأكلِ جديٍ رضيعِ

ونيكِ أحوى رخيمٍ ... بالخندريسِ صريعِ

قوموا تنالوا وشيكاً ... مثالَ مُلْكٍ رفيعِ

وقال الوراق

قوموا إلي بيتِ عمرٍو إلي سماعٍ وخمرِ
وساقياتٍ علينا تُطاعُ في كلِّ أمرِ
وبُسْرِيٍّ رَخيمٍ يزهو بجيدٍ ونحرِ
فذاكَ برٌّ وإنْ شئتمْ أتينا بخمرِ
هذا وليسَ عليكمْ أولى ولا وقتُ عصرِ

وقال محكم بن رزين

قوموا إلي دارِ لهوٍ وظلِّ بيتٍ دفينِ
فيهِ منَ الوَرْدِ والمرْ زنجوشِ والياسمينِ
وريحِ مسكٍ ذكيٍّ وجيِّدِ الزَّرْجونِ
قوموا فصيرُوا جميعاً إلي الفتى ابنِ رَزينِ

فقال الحسين الخياط

قضَتْ عنانُ علينا بأنْ نزورَ حسيْنا
وأنْ تقرُّوا لدَيهِ بالقصفِ واللهِ عيْنا
فما رأينا كظرْفِ الحسينِ فيما رأيْنا
قدْ قرَّبَ اللهُ منهُ زيناً وباعدَ شيْنا
قوموا وقولوا أجزْنا ما قدْ قضيتِ علينا

وقالت عنان

مهلاً فديتُكَ مهلاً عنانُ أحرى وأولى
بأنْ تنالوا لديها أسنى النعيمِ وأحلى

فإنّ عندي حراماً من الشراب وحلاّ
لا تطمعوا في سوائي من البريّة كلاّ
يا سادتي خبّروني أجاز حكمي أم لا

فقالوا جميعا : قد أجزنا حكمك وأقاموا عندها .. قال وكتبت عنان الى الفضل ابن الربيع

كن لي هديت إلى الخليفة سلّما بوركت يا ابن وزيره من سلّم
حث الإمام على شراي وقل له ريحانة ذخرت لأنفك فاشمم

وكانت عنان تتوق أبا نواس وتخاف مجونه وسفهه .. وفيها يقول

عنان يا من تشبه العينا أنتم على الحب تلومونا
حسنك حسن لا يرى مثله قد ترك الناس مجانينا

فتهيأت لأبي نواس وتصنعت له الى أن صار اليها فرأى عندها بعض وجوه أهل بغداد فأحب أن يخجلها فقال لها

ما تأمرين لصبّ يكفيه منك قطيره

فقالت إياي تعني بهذا عليك فاجلد عميره

فقال إني أخاف وربي على يدي من عبيره

فقالت عليك أمك نكها فإنها كندبيره

فأخجلته وشاع الخبر حتى بلغ الرشيد فاستظرفها وطلبها من الناطفي فحملت اليه فقال لها : يا عنان . قالت : لبيك يا سيدي . فقال * ما تأمرين لصب * قالت قد مضى الجواب في هذا يا أمير المؤمنين . قال بحياتي كيف قلت . قالت قلت

إياي تعني بهذا عليك فاجلد عميره

فضحك الرشيد وطابها من مولاها فاستام فيها مالاً جزيلا فردها

(عريب جارية المأمون)

وأنتمْ أُناسٌ فيكمُ الغدرُ شيمةٌ لكمْ أوجهٌ شتّى وألسنةٌ عشرُ

عجبتُ لقلبي كيفَ يصبو إليكمُ على عظمِ ما يلقى وليسَ لهُ صبرُ

(فضل الشاعرة) حدثنا القاسم بن عبد الله الحرانى قال كنت عند سعيد بن حميد الكاتب ذات يوم وقد افتصد فأتته هدايا فضل الشاعرة ألف جدي وألف دجاجة وألف طبق رياحين وطيب وعنبر وغير ذلك فلما وصل ذلك كتب اليها ان هذا يوم لا يتم سروره الا بك وبحضورك وكانت من أحسن الناس ضرباً بالعود وأملحهم صوتاً وأجودهم شعراً فأتته فضُرب بينه وبينها حجاب وأحضر قوما ندماءه ووضعت المائدة وجيء بالشراب فلما شربنا أقداحا أخذت عودها فغنّت بهذا الشعر والصوت لها والشعر والأبيات هذه

يا منْ أطالتْ تفرُّسي في وجهه وتنفُّسي

أفديكَ منْ متدلّلٍ يزهو بقتلِ الأنفسِ

هبني أسأتُ وما أسأ تُ بلى أقولُ أنا المسي

أحلفتني أنْ لا أسا رقَ نظرةً في مجلسي

فنظرتُ نظرةَ عاشقٍ أتبعتها بتنفُّسي

ونسيتُ أنى قدْ حلفتُ فما يقالُ لمنْ نسي

وضربت أيضاً وغنت

عادَ الحبيبُ إلى الرضا فصفحتُ عمّا قدْ مضى

منْ بعدِ ما لصدودهِ شمتَ الحسودُ فمرَّضا

نعسَ البغيضُ فلمْ يزلْ لصدودنا متعرّضا

هَبني أسأتُ وما أسأ ... تُ فإنْ أسأتُ لكَ الرِّضا

قال فما أتى عليّ يوم أسرّ من ذلك اليوم

(صاحبة الفرزدق) ذكروا أن الفرزدق كان مع أصحاب له فإذا هو بجارية مع مولاها فقال لأصحابه هل أخجل لكم هذه . قالوا : نعم . فقال

إنّ لي أيراً خبيثاً ... لونُهُ يحكي الكُمَيْتا

لو يرَى في السقفِ صدعاً ... لتحوّلَ عنكبُوتا

أو يرَى في الأرضِ شقاً ... لنَزا حتّى يموتا

فقالت الجارية

زوِّجوا هذا بألفٍ ... وأرى ذلكَ قُوتا

قبلَ أنْ ينقلبَ الدّا ... ءُ فلا يأتي وبوتي

فخجل الفرزدق وانصرف (١)

(صاحبة جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي) قالت

عزمتُ على قلبي بأنْ أكتمَ الهوَى ... فضجَّ ونادَى إنّني غيرُ عاقلِ

فإنْ خانَ موْتي لم أدعكَ بغُصّتي ... وأقررتُ قبلَ الموتِ أنّكَ قاتلي

(جارية البارقي) ذكروا أنها أنشدت في مجلس عمرو بن مسعدة

يا أحسنَ العالَمِ حتّى متى ... يرتفعُ الحبُّ وانحطْ

وكيفَ منجايَ وبحرُ الهوَى ... مذْ حفَّ بي ليسَ لهُ شطْ

فأجيبت

يُدركُكِ الوصلُ فتنجو بهِ ... أو يقعُ البحرُ فتنحطْ

---

(١) ـــ في هامش الأصل . . قيل ان هذه الرداءة جرت بين أبي نواس وعنان جارية الناطفي والأبيات تروى على غير هذا

(المغنية المليحة) قال عليّ بن الجهم : كنت في مجلس محمد بن عمرو بن مسعدة فأقبلت جارية كأنها البدر ليلة التمام بلون كأنه الدر في البياض مع احمرار خدين كشقائق النعمان فسلمتْ فقال لي محمد يا ابا الحسن هذه الجنة التي كنتم توعدون . فقالت

وما الوَعدُ يا سُؤلي وغايةَ مُنيتي ... فإنَّ فؤادي من مَقالِكَ طائرُ

فقال لها محمد

أمَا وإلهِ العَرْشِ ما قلتُ سيّئاً ... وما كانَ إلاّ أنّني لكِ شاكرُ

فقال ابن الجهم

أَمْسِكْ فَدَيْتُكَ عن عِتابِ مُحمّدٍ ... فهوَ المَصونُ لوِدّهِ المُتحاذِرُ

فأقبلت تحدثنا فاذا عقل كامل وجمال فاضل وحسن قاتل وردف مائل فقلت : لقد أقرّ الله عيناً تراك . فقالت : أقرّ الله أعينكم وزادكم سروراً وغبطة ثم اندفعت تغني بنغمة لم أسمع أحسن منها

أُرَوِّحُ بِهمٍّ من هواكِ مُبَرِّحٍ ... أُناجي بهِ قلباً كثيرَ التفكُّرِ

عليكَ سَلامٌ لا زِيارةَ بيننا ... ولا وَصلَ إلاّ أنْ يشاءَ ابنُ مَعمَرِ

فما زلنا يومنا ذلك معها في الفردوس الأعلى وما ذكرتها بعد ذلك الا اشتقت لها وأسفت عليها .. محمد بن حماد قال : كنا يوما عند اسحاق بن نجيح وعنده جارية يقال لها شادن موصوفة بجودة ضرب العود وشجو صوت وحسن خلق وظرف مجلس وحلاوة وجه وأخذت العود وغنت

ظبيٌ تكامَلَ في نِهايةِ حُسنِهِ ... فَزَها ببهجتِهِ وتاهَ بصَدِّهِ

فالشمسُ تَطلُعُ من فِرِنْدِ جبينِهِ ... والبَدرُ يَغرَقُ في شَقائقِ خدِّهِ

مَلَكَ الجَمالَ بأسرِهِ فكأنّما ... حُسْنُ البريّةِ كلِّها من عندِهِ

يا رَبِّ هَبْ لي وَصلَهُ وبقاءَهُ ... أبدًا فلستُ بعائشٍ من بعدِهِ

فطارت عقولنا وذهلت ألبابنا من حسن غنائها وظرفها فقلت : ياسيدتي من هذا الذي تكامل في الحسن والبهاء سواك ، فقالت

فإنْ بُحتُ نالتني عيونٌ كثيرةٌ　　وأضعفُ عن كتمانهِ حينَ أكتمُ

الأعرابيات

حدثنا ثعلب عن الفتح بن خاقان قال : لما خرج المتوكل الى دمشق كنت عديله فلما صرنا بقنسرين قطعت بنو سليم على التجار فأُنهي ذلك اليه فوجه قائداً من وجوه قواده اليهم لحاصرهم فلما قربنا من القوم اذا نحن بجارية ذات جمال وهيئة وهي تقول

أميرُ المؤمنينَ سما إلينا　　سموَّ البدرِ مالَ بهِ الغريفُ

فإنْ تَسلمْ فعفوَ اللهِ نرجو　　وإنْ تُقتلْ فقاتلُنا شريفُ

فقال لها المتوكل : أحسنت ، ما جزاؤها يا فتح ، قلت العفو والصلة ، فأمر لها بعشرة آلاف درهم وقال لها : مرّي الى قومك وقولي لهم لا تردّوا المال على التجار فاني أعوضهم عنه .. الأصمعي قال : خرجت إلى بادية فاذا أنا بخباء فيه امرأة فدنوت فسلمت فاذا هي أحسن الناس وجها وأعدلهم قامة وأفصحهم لساناً فحار فيها بصري واعترتني خجلة فقالت : ما وقوفك ، فقلت

هلْ عندَكمْ منْ مخيضِ اليومِ نشربُهُ　　أمْ هلْ سبيلٌ إلى تقبيلِ عينيكِ

فلستُ أبغي سوَى عينيكِ منزلةً　　أمْ هلْ تجودي لنا عضاً بخدّيكِ

أو تأذنينَ بريقٍ منكِ أرشفُهُ　　أو لمسِ بطنكِ أو تغميزِ ثديَيكِ

رُدّي الجوابَ على منْ زادَهُ كلفاً　　تكريرُهُ الطرفَ في أجدالِ ساقيكِ

فرفعت رأسها إليّ وقالت : يا شيخ ألا تستحي ارجع الى أهلك وأرغب في مثلك

•• وقال بعضهم رأيت أعرابية بالنباج فقلت لها : أتنشدين ، قالت نعم في مثلك ورب الكعبة . قلت : فأنشديني . فأنشأت تقول

لا بارَكَ اللهُ فيمَنْ كانَ يخْبرُني ... أنَّ المُحبَّ إذا ما شاءَ ينصَرِفُ
وَجدُ المُحبِّ إذا ما بانَ صاحبهُ ... وَجدُ الصبيِّ بثدْيَيْ أُمّهِ الكَلِفُ

قال قلت لها : انشديني من قولك فقالت

بنفسي مَنْ هواهُ على التّنائي ... وطولُ الدّهرِ مؤتَنِفٌ جديدُ
ومَن هوَ في الصّلاةِ حديثُ نفسي ... وعَدْلُ الرّوحِ عندي بل يَزيدُ

فقلت لها ان هذا كلام من قد عشق . فقالت وهل يعرى من ذلك من له سمع وقلب ثم أنشدتني

أَلا بأبي واللهِ مَنْ ليسَ نافعي ... بشيءٍ ولا قلبي على الوَجدِ شاكِرُه
ومَنْ كَبدي تَهفو إذا ذكراسمُهُ ... بشيءٍ ومَن قلبي على النّأْيِ ذاكِرُه
لهُ خفقانٌ يرفَعُ الجيبَ بالشّجى ... ويقطَعُ أزرارَ الجرُبّانِ ثائرُه

قال وكتب عمر بن أبي ربيعة الى امرأة بالمدينة

برزَ البدرُ في جوارٍ تهادى ... مُخْطفاتِ الخُصورِ مُعتَجِراتِ
فتنفّستُ ثمّ قلتُ لبكرٍ ... عَجّلتْ في الحياةِ لي حسَراتِ
هلْ سبيلٌ إلى التي لا أُبالي ... بعدَها أنْ أموتَ قبلَ وفاتي

فأجابته

قدْ أتانا الرّسولُ بالأبياتِ ... في كتابٍ قدْ خُطَّ بالتُّرّهاتِ
حائرُ الطّرْفِ إنْ نظرتَ وماطَر ... فَكَ عندي بصادقِ النّظَراتِ
غُرَّ غيري فقدْ عرفتُ لغيري ... عهدَكَ الخائنَ القليلَ الثّباتِ

المتكلمات

حدثت عمر بن يزيد الأسدي قال : مررت بخرقاء صاحبة ذي الرمة فقلت لها هل حججت قط ، قالت : أما علمت اني منسك من مناسك الحج ما منعك أن تسلم علي أما سمعت قول عمك ذي الرمة

تمامُ الحجِّ أن تقفَ المطايا على خرقاء واضعةَ اللثامِ

فقلت لها : لقد أثر فيك الدهر، قالت : أما سمعت قول العجيف العقيلي حيث يقول

وخرقاء لا تزدادُ إلا ملاحةً ولو عُمِّرَت تعميرَ نوحٍ وجلَّتِ

قال ورأيتها وان فيها لمباشرة وان ديباجة وجهها لطرية كأنها فتاة وانها لتزيد يومئذ على المائة ولقد حدثت أنه شبب بها ذو الرمة وهي ابنة ثمانين سنة ،، وحدث رجل من بني أسد قال : أدركت ميًّا صاحبة ذي الرمة وكان الرجل أعور قال ورأيتها في نسوة من قومها فقلت أهذه ميّ وأومأت اليها فقلن نعم فقلت ما أدري ما كان يعجب ذا الرمة منك وما أراك على ما كان يصف ، فتنفست الصعداء وقالت انه كان ينظر إليّ بعينين وأنت تنظر إليّ بعين واحدة ،، وروى الأصمعي عن رجل من أهل الشام قال : قدمت المدينة فقصدت منزل ابن هرمة فاذا بنية له تلعب فقلت لها ما فعل أبوك ، قالت وفد الى بعض الاخوان ، قلت فانحري لنا ناقة فانا أضيافك ، قالت يا عماه والذي خلقك ما عندنا شيء ، قلت فباطل ما قال أبوك ، قالت فما قال ، قلت قال

كم ناقةٍ قد وجأتُ منحرَها لمستهلِ الشؤبوبِ أو جملِ

قالت يا عماه فذلك القول من أبي أصارنا الى أن ليس عندنا شيء ،، قال وأتى زياد الأقطع باب الفرزدق وكان له صديقاً فخرجت اليه ابنة الفرزدق وكانت تسمى مكية وأمها حبشية فقال لها ما اسمك قالت مكية قال ابنة من قالت ابنة الفرزدق قال فأمك قالت حبشية فأمسك عنها فقالت ما بال يدك مقطوعة قال قطعها الحرورية قالت بل

قطعت في الاسوصية قال عليك وعلى أبيك لعنة الله . وجاء الفرزدق فأخبر بالخبر فقال اشهد انها ابنتي .. وأنشأ يقول

حام إذا ما كنت ذا حمية   بداري بنته صبية

صمحمح مثل أبي مكية

وحدث سليمان بن عباس السعدي قال : كان كثير يلقى حاج أهل المدينة بقديد على ست مراحل فغفل عاما من الأعوام غير يومهم الذي نزلوا فيه فوقف حتى ارتفع النهار فركب جملا في يوم صائف ووافى قديداً وقد كل بعيره وتعب فوجدهم قد ارتحلوا وقد بقي فتى من قريش فقال الفتى لكثير اجلس قال فجلس كثير الى جنبي ولم يسلم على فجاءت امرأة وسيمة جميلة فجلست الى خيمة من خيام قديد واستقبلت كثيراً فقالت أنت كثير . قال نعم . قالت انت ابن أبي جمعة . قال نعم . قالت أنت الذي تقول

وكنت إذا ما جئت أجللن مجلسي   وأظهرن مني هيبة لا تجهما

قال نعم . قالت فعلى هذا الوجه هيبة ان كنت كاذباً فعليك لعنة الله والملائكة والناس أجمعين . قال فضجر كثير وقال ومن أنت فسكتت ولم تجبه بشيء فسأل الموالي التي في الخيام عنها فلم يخبرنه فضجر واختلط عقله فلما سكن قلت أنت الذي تقول

متى تنشرا عني العمامة تبصرا   جميل المحيا أغفلته الدواهن

أهذا الوجه جميل ان كان كاذبا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين فاختلط وقال لو عرفتك لفعلت وفعلت فلما سكن قالت له أنت الذي تقول

يروق العيون الناظرات كأنه   هرقلي وزن أحمر التبر راجح

أهذا الوجه الذي يروق الناظرات ان كنت كاذبا فعليك لعنة الله والملائكة والناس أجمعين قال فازداد ضجراً واختلط وقال لو عرفتك والله لقطعتك وقومك هجاء ثم قام فاتبعته طرفي حتى توارى عني ثم نظرت الى المرأة فاذا هي قد غابت عني فقلت لمولاة من بنات قديد لك الله علي ان أخبرتني من هذه المرأة أن أطوي لك ثوبي هذين اذا

قضيت حجي ثم اعطيكهما فقالت والله لو اعطيتني وزنهما ذهباً ما أخبرتك من هي هــذا كثير مولاي لم أخبره . قال القرشي فرحت وبي أشد مما بكثير .، قيل وقــدم كثير الكوفة وكان شيعياً من أصحاب محمد بن الحنفية فقال دلوني على منزل قطام ، قيل له : وما تريد منها ، قال : أريد أن أوبخها في قتــل عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه ، فقيل له : عد عن رأيك فان عقلها ليس كعقول النساء ، قال : لا والله لا انثني حــتى أنظر اليها وأكلها نخرج يسأل عن منزلها حتى دُفع اليها فاستأذن فأذنت له فرأى امرأة برزة قد تخددت وقد حنا الدهر من قناتها فقالت : من الرجــل ، قال : كثير بن عبد الرحمن ، قالت : التيمي الخزاعي ، قال : التيمي الخزاعي ، ثم قال لها : أنت قطام قالت : نعم ، قال : أنت صاحبة عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه ، قالت : بل صاحبة عبد الرحمن بن ملجم ، قال : أليس هو قتل علياً ، قالت : بل مات بأجله ، قال : والله اني كنت أحب أن أراك فلما رأيتك نبت عيني عنك وما ومقك قلبي ولا احلوليت في صدري ، قالت : أنت والله قصير القامة صغير الهامة ضعيف الدعامة كما قيــل : لأن تسمع بالمعيدي خير من أن تراه .. فأنشأ كثير يقول

رأت رجلاً أودى السفار بجسمه ... فلم يبق إلا منطق وجناجن

قالت : لله درك ما عرفت إلا بعزة تقصيراً بك ، قال : والله لقد سار لها شعري وطار بها ذكري وقرب من الخلفاء مجلسي وانها لكما قلت فيها

وإن خفيت كانت لعينيك قرة ... وإن تبد يوماً لم يعمك عارها

من الخفرات البيض لم ترشقوة ... وفي الحسب المحض الرفيع نجارها

فما روضة بالحزن طيبة الثرى ... يمج الندى جثجاثها وعرارها

بأطيب من فيها إذا جئت طارقاً ... وقد أوقدت بالمندل الرطب نارها

قالت : والله ما سمعت شعراً أضعف من شعرك هذا والله لو فعل هذا بزنجية طاب ريحها ألا قلت كما قال امرؤ القيس

ألمْ تَرَ أنّي كُلّما جئتُ طارقاً ... وَجَدتُ بها طيباً وإنْ لمْ تَطيّبِ

قال : فلله درّ بلادك وخرج وهو يقول

ألحقُّ أبلَجُ لا تَزيغُ سبيلهُ ... والحقُّ يَعرِفُهُ ذَوُو الألبابِ

قال .. وقال المسيب راوية كثيّر : انطلق كثير مرة فقال لي : هل لك في عكرمة ابن عبد الرحمن بن هشام وهو يومئذ على حنظلة بن عمرو بن تميم . فقلت : نعم . قال فخرجنا نريده حتى اذا صدرنا عن المدينة اذا نحن بامرأة على راحلة تسير فسرت حذاءها فقالت : أتروي لكثير شيئاً . قلت : نعم . قالت أنشدني . فأنشدتها من شعره . فقالت أين هو . قلت هو ذاك الذي ترين على غير الطريق . فقالت بعد أن دنت منه قاتل الله زوج عزة حيث يقول

لَعَمرُكَ ما رَبُّ الرِّبابِ كُثَيِّرٌ ... بفحلٍ ولا آباؤهُ بفحولِ

فغضب كثير وسار وتركها ثم نزل منزلا فجاءت جارية لها تدعوه فأبى كثير أن يأتيها فقلت ما رأيت مثلك قط امرأة مثل هذه ترسل اليك فتأبى عليها فلم أزل به حتى أتاها قال فسفرت عن وجهها فاذا هي أجمل الناس وأكملهم ظرفا وعقلا واذا هي غاضرة أم ولد بشر بن مروان فصحبناها حتى كنا بزبالة قالت بنا الطريق فقالت له هل لك أن تأتي الكوفة فأضمن لك على بشر الصلة والجائزة فأبى وأمرت له بخمسة آلاف درهم ولي بألفين فلما أخذنا الخمسة آلاف قال ما أصنع بعكرمة وقد أصبت ما ترى فذلك قوله حيث يقول

شَجا أظعانُ غاضرَةَ الغَوادي ... بغيرِ مَشُورةٍ عَرَضاً فُؤادي

أغاضرَ لوْ رأيتِ غداةَ بِنتمْ ... حُنُوَّ العائداتِ على وِسادي

رَثيتِ لعاشقٍ لمْ تشكُميهِ ... جَوانحُهُ تَلذَّعُ بالزِّنادِ

ــ الشكيمة ــ العطية و ــ الزناد ــ جمع زند وهو عود يقدح منه النار .. قال الحكم ابن صخر الثقفي حججت فرأيت بأقرة امرأتين لم أر كجمالهما وظرفهما وثيابهما فلما

حججت وصرنا بأقرة اذا أنا باحدى الجاريتين قد جاءت فسألت سؤال منكر فقلت : فلانة ، قالت : فداك أبي وأمي رأيتك عاماً أول شاباً سوقة والعام شيخاً ملكا وفي وقت دون ذلك ما تنكر المرأة صاحبها ، فقلت : ما فعلت أختك ، فتنفست الصعداء وقالت : قدم علينا ابن عم لنا فتزوجها فخرج بها الى نجد فذاك حيث أقول

إذا ما قفلنا نحوَ نجدٍ وأهلِهِ فحسبي منَ الدنيا القفولُ إلى نجدِ

فقلت : أما اني لو أدركتها لتزوجتها . قالت : فداك أبي وأمي فما يمنعك من شريكتها في حسنها وشقيقتها في حسبها . قلت قول كثير

إذا وصلَتنا خلةٌ كي تُزيلَنا أبينا وقلنا الحاجبيةُ أوَّلُ

قالت : وكثير بيني وبينك أليس هو الذي يقول

هلْ وَصلُ عزةَ إلاّ وَصلُ غانيةٍ في وصلِ غانيةٍ منْ وَصلِها خَلَفُ

قال فتركت جوابها ولم يمنعني منه إلا العي

محاسن النساء

قيل .. أحسن النساء الرقيقة البشرة النقية اللون يضرب لونها بالغداة الى الحمرة وبالعشي الى الصفرة .. وقالت العرب المرأة الحسناء أرق ما تكون محاسن صبيحة عرسها وأيام نفاسها وفي البطن الثاني من حملها .. وقيل لاعرابي أتحسن صفة النساء .قال نعم اذا عذب ثناياها وسهل خداها ونهد ثدياها وفعم ساعداها والتف فخذاها وعرض وركاها وجدل ساقاها فتلك هم النفس ومناها .. ووصف اعرابي امرأة فقال كان وجهها السقم لمن رآها والبرء لمن ناجاها .. وذكر اعرابي امرأة فقال أرسل الحسن الى خديها

صفائح نور ورشق السحر عن لحظها بأسهم حداد ولقد تأملت فوجدت لابدو نوراً من بعض نورها ،. وذكر اعرابي امرأة فقال هي شمس تباهي بها شمس سمائها وليس لي شفيع اليها غيرها في اقتضائها ولكني كتوم لقبض النفس عند امتلائها ،. وذكر اعرابي امرأة فقال ما أحسن من حبها نماءاً ولا أنظر اليها إلا اختلاساً وكل امرئ منهما يرى ما أحب ،. وذكر اعرابي امرأة فقال لها جلد من لؤلؤ رطب مع رائحة المسك الأزفر في كل عضو منها شمس طالعة ،. ومما جاء في الحسن من الشعر ، قال عبد الله بن المعتز أنشدني أبو سهل اسماعيل بن عليّ لأبي الصواعق

وَمَرِيضِ طَرْفٍ ليس يَصْرِفُ طَرْفَهُ ... نحوَ المَدَى إلاّ رَمَاهُ بِحَتْفِهِ
ظَبيٌ لهُ نَظَرٌ ضعيفٌ كأنّما ... قَصَدَ القَوِيَّ أتى عليه بِضَعْفِهِ
قد قلتُ لمّا مرَّ يَخْطِرُ مائساً ... والرِّدفُ يَجْذِبُ خَصْرَهُ مِنْ خَلْفِهِ
يا مَنْ يُسَلِّمُ خَصْرَهُ مِنْ رِدْفِهِ ... سَلِّمْ فُؤادَ مُحِبِّهِ مِنْ طَرْفِهِ

فقلت في هذا المعنى وعلى هذا الوزن

وحياةِ مَنْ جرحَ الفؤادَ بطرفه ... لأُحبِّرنّ قصائدي في وصفه
قمرٌ به قمرُ السماءِ متيَّمٌ ... كالغُصنِ يَعجَبُ نصفُهُ مِنْ نِصفِهِ
إني عجبتُ لخصره مِنْ ضَعْفِهِ ... ماذا تحمَّلَ مِنْ ثقالةِ رِدْفِهِ
هذا وما أدري بأيّةِ فتنةٍ ... جرحَ الفؤادَ بلطفها أمْ طَرْفِهِ
أَمْ بالدلالِ أمِ الجمالِ أمِ الضيا ... مِنْ وجهِهِ أمْ بالقفا مِنْ خلفِهِ

وأنشد ابو الحسين بن فهم لأبي نواس

كفاكَ ما مرَّ على راسي ... مِنْ شادنٍ قطّعَ أنفاسي
أكثرُ ما أبلغُ في وصفِهِ ... تحيُّري مِنْ قلبِهِ القاسي

أغارُ أنْ أنعتَ منهُ الذي ... يَنعتُهُ النّاسُ منَ النّاسِ
ولم أرَ العُشّاقَ قبلي رأوا ... بوصفِ من يَهوونَ من باسِ
كلُّ أحاديثي نَعتٌ لهُ ... مُنكشِفٌ مني لجُلّاسي

فقلت في هذا المعنى وهذا الروي والوزن

لوْ عشرُ ما مرَّ على راسي ... مرَّ بصلدٍ حجرٍ قاسي
لانصدعتْ فيهِ صدوعٌ كما ... صدّعَ قلبي طولُ وسواسي
يا غصنَ آسٍ ومُحالٌ إذا ... قصّرتُ تشبيهكَ بالآسِ
ما ذا على طرفكَ لوْ أنهُ ... أعارَ لحظًا منهُ قرطاسي
ليتكَ عالتَ بمَطلٍ ولمْ ... تقطعْ رجائي منكَ باليأسِ

وقال آخر

وزائرةٍ يحثّها الشّوقُ طارقه ... أتتنا منَ الفردوسِ لاشكّ آبقه
إذا ماتثنّتْ قالَ للرّيحِ قدُّها ... كذا حرّكي الأغصانَ إنْ كنتِ صادقه

وقال آخر

قدْ أقبلَ البدرُ في قراطقهِ ... يَسلبُ بالدلّ قلبَ عاشقه
يَسطو عليهِ بسيفِ مُقلتهِ ... لا بالذي شدَّ في مناطقهِ

وقال آخر

قلْ للملاحِ الحدَقِ ... وللحسانِ الخلقِ
هلْ في فؤادي للهَوى ... أو جسدي شيٌ بقي
إنْ لم تروّوا عطشي ... بخلاً فبلّوا رمقي

يا مُقلةً أجفانُها مَحشوّةً بالأرَقِ
بَقيتِ في رِقِّ الهوى شقيّةً فيمَنْ شقي

وقال آخر

يا ملاحَ الدّلالِ والإغتناجِ ما أرى القلبَ من هواكُنّ ناجي
أنتَ زرفنتَ فوقَ خدّيكَ صدغاً مِنْ عبيرٍ على صفائحِ عاجِ
أشرقتْ وجنتاكَ بالنورِ حتّى أغنتا الخلقَ عن ضياءِ السّراجِ
فملتْ مُقلتاكَ بالقلبِ منّي فعلةَ القرمطيّ بالحُجّاجِ
يا هلالاً أنستُ منهُ بضوءٍ جنْحَ ليلٍ من الظّلامِ الدّاجي

وقال آخر

نشرتْ غدائرَ فرعِها لتظلّني حذرَ العيونِ من العيونِ الرُّمَّقِ
فكأنّها وكأنّهُ وكأنّني صبْحانِ باتا تحتَ ليلٍ مُطبقِ

وقال آخر

يا غزالاً وهلالاً وقضيباً وكثيبا
كم وكم أُضمرُ وجداً بكَ مكتوماً عجيبا
كيفَ يُرجى بُرءُ مَنْ قد كتمَ الدّاءَ الطبيبا

وقال آخر

شمسٌ ممثّلةٌ في خلقِ جاريةٍ كأنّما بطنُها طيُّ الطّواميرِ
فالجسمُ مِن جوهرٍ والشّعرُ من سَبَجٍ والثّغرُ من لؤلؤٍ والوجهُ من عاجِ

وقال آخر

نتيجُ دلالٍ حارَ في حسنِهِ الطّرفُ ففكرتُهُ قبرٌ ومَنطقةٌ لطفُ

بديعُ جمالٍ زانَهُ العقلُ والظُّرْفُ ... سماويُّ لونٍ لا يُحيطُ بهِ وصفُ
لهُ رِيقةٌ عابَتْ بماء قرنفلٍ ... مزاجها التفاحُ والخمرةُ الصِّرفُ
تجسَّمَ في جسمٍ من النورِ ساطعٍ ... تمكَّنَ في دِعصٍ ينوء بهِ رِدْفُ
على صحنِ خدَّيهِ بهارٌ منوّرٌ ... وورْدٌ جنيٌّ لا يليقُ بهِ القطفُ
تكاملَ فيهِ الحُسنُ والنورُ والبها ... كبدرِ الدُّجى إذ تمَّ من شهرهِ النصفُ
براهُ إلهي لي عذاباً وفتنةً ... فما عندَهُ عدلٌ ولا عندَهُ عطفُ

وقال آخر

لكَ من قلبيَ المكانُ المصونُ ... كلُّ لومٍ على فيكَ يهونُ
قدَّرَ اللهُ أن أكونَ شقياً ... بكَ والصبرُ عنكَ ما لا يكونُ
يا غزالاً بلحظهِ يفتنُ النا ... سَ وفي طرفِهِ الرَّدى والمنونُ
لكَ صبرٌ وليسَ لي عنكَ صبرٌ ... فأنا اليومَ هائمٌ محزونُ
قد خلعتُ العذارَ فيكَ حبيبي ... ما أُبالي بما رمتني الظنونُ

وقال آخر

يا نظرةً جاءتْ على ياسِ ... من ساحرِ المقلةِ ميَّاسِ
أطرافهُ تُعقَدُ من لينها ... وقلبُهُ كالحجرِ القاسي
يلومني الناسُ على حبِّهِ ... أعانني اللهُ على الناسِ

وقال آخر

يا ويحَ جسمٍ يذوبُ من قلقه ... من حبِّ من لم أقفْ على خلقه
من حبِّ ظبيٍ مهفهفٍ لبقٍ ... يهتزُّ مثلَ القضيبِ في ورقه

لم ترَ عيني ولن ترى أبدًا ... أحسنَ من نحرِه ومن عنقِه
كأنما المسكُ حينَ تسحقهُ ... بماءِ وَرْدٍ يفوحُ من عرقِه
أو خمرةٌ في الزجاجِ صافيةٌ ... شيبتْ بماءِ السحابِ في نسقه

وقال آخر

أزبهةٌ قرّحتْ فؤادي ... فطالَ وَجْدي وعيلَ صبري
مُقلةُ خشفٍ وقدُّ غصنٍ ... وطيبُ وردٍ وحُسْنُ بدرِ
نفسي ومالي فداءُ ظبيٍ ... أذابَ جسمي وليسَ يدري
فمنْ لِصبٍّ أسيرِ شوقٍ ... قتيلِ صدٍّ بسيفِ هجرِ

وقال آخر

وما ريحُ ريحانٍ بمسكٍ وعنبرٍ ... يُعلُّ بكافورٍ ودُهنةِ بانِ
بأطيبَ من ريّا حبيبي لو أنني ... وجدتُ حبيبي خاليًا بمكانِ

محاسن التزويج

روي ان رجلا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله اني أريد أن أتزوّج فادع الله أن يرزقني زوجة صالحة . فقال : لو دعا لك جبريل وميكائيل وانا معهما ماتزوجت الا المرأة التي كتب الله لك فانه ينادي في السماء ألا ان امرأة فلان ابن فلان فلانة بنت فلانة .. وقال صلى الله عليه وسلم عليكم بالأبكار فانهن أطيب أفواهاً وأنتق أرحاما .. وقال عمر رضي الله عنه عليكم بالأبكار واستعيذوا بالله من شرار النساء وكونوا من خيارهن على حذر .. قال الشاعر

لا تنكحنّ عجوزاً إن دُعيتَ لها ... وإنْ حُبيتَ على تزويجها الذهبا

فإنْ أتوكَ وقالوا إنها نَصَفٌ ... فإنَّ أطيبَ نصفيها الذي ذهبا

وقال آخر

عليكَ إذا ما كنتَ لا بدَّ ناكحاً ... ذواتُ الثنايا الغرّ والأعيُنِ النُّجلِ

وكلُّ هضيمِ الكشحِ خفّاقةِ الحشا ... قطوفِ الخُطا بلهاء وافرةِ العقلِ

وقال الحارث بن كلدة : لا تنكحوا من النساء إلا الشابة ولا تأكلوا من الحيوان الا الفتيّ ولا من الفاكهة إلا النضيج .. وقال مغيرة بن شعبة : حصنت تسعاً وتسعين امرأة ما أمسكت واحدة منهن على حب ولكني أحفظها لحسبها وولدها فكنت استرضيهن بالباه شابا فلما ان شبتُ وضعفت عن الحركة استرضيتهن بالعطية .. وقال بعضهم : لذة المرأة على قدر شهوتها وغيرتها على قدر لذتها .. وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : انما النساء لعب فاذا تزوّج أحدكم فليستحسن .. وروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه قال : تزوّجها سمراء ذلفاء عيناء فان فركتها فعلي صداقها .. وقال الحجاج بن يوسف : من تزوّج قصيرة فلم يجدها على ما يريد فعلي صداقها .. وروي عن عليّ صلوات الله عليه ان رجلا أتاه فقال : اني تزوّجت امرأة عجنونة . فقالت المرأة : يا أمير المؤمنين انه يأخذني عند الجماع غشية . فقال للرجل : قم ما أنت لها بأهل .. وفي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : إياكم وخضراء الدمن وهي المرأة الحسناء في المنبت السوء .. وقال بعضهم: لا تتزوّجن حنّانة ولا أنّانة ولا منّانة ولا عشبة الدار ولا كيّة القفا ــ فأما الحنّانة ــ فالتي قد تزوّجها رجل من قبل فهي تحنّ اليه ــ والأنّانة ــ التي تأنّ من غير علة ــ والمنانة ــ التي لها مال تمنّ به ــ وعُشبة الدار ــ الحسناء في أصل السوء ــ وكيّة القفا ــ التي اذا قام زوجها من المجلس قال الناس فعلت امرأته هذا كذا وفعلت كذا .. وقال محمد بن علي رضى الله عنهما اللهم ارزقني امرأة تسرني اذا نظرت وتطيعني اذا أمرت وتحفظني اذا غبت .. وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه

قال : اذا خطب أحدكم امرأة فلا جناح عليه ان ينظر اليها وان كانت لا تعلم .. وقال بعض الشعراء فى تزويج الشبه

إذا أردتَ حرّةً تبغيها كريمةً فانظرْ إلى أخيها
يُنبيكَ عنها وإلى أبيها فإنَّ أشباهَ أبيها فيها

وقال آخر

إذا كنتَ مرتاداً لنفسك أيِّما لتجلكَ فانظرْ مَنْ أبوها وخالُها
فإنّهما منها كما هيَ منهما كما النّعلُ إنْ قيستْ بنعلٍ مثالُها

وقال آخر

إذا كنتَ عن عينِ الصبيةِ باحثاً فأبصرْ ترَى عينَ الصبيِّ فذالكا

قال خالد بن صفوان لدلال : أطلب لي امرأة بكراً أو ثيباً كبكر حصاناعندجارها ماجنة عند زوجها قد أدّبها الغنى وذلّلها الفقر لا ضرعة صغيرة ولا عجوزاً كبيرة قد عاشت في نعمة وادركتها حاجة لها عقل وافر وخلق طاهر وجمال ظاهر صلتة الجبين سهلة العرنين سوداء المقلتين خدلجة الساقين لفاء الفخذين ثبلة المقعد كريمة المحتد رخيمة المنطق لم يداخلها صلف ولم يشن وجهها كلف ريحها أرج ووجهها بهج لينة الأطراف ثقيلة الأرداف لونها كالورق وثديها كالحق أعلاها عسيب وأسفلها كثيب لها بطن خميص وخصر مرهف وجيد أتلع ولب مشبع تتثنى تثني الخيزران وتميل ميل السكران حسنة المآق فى حسن البراق لا الطول أزرى بها ولا القصر . قال الدلال : استفتح ابواب الجنان فانك سوف تراها .. وقال أيضاً : لا تتزوج واحدة فتحيض إذا حاضت وتنفس اذا نفست وتعود اذا عادت وتمرض إذا مرضت ولا تتزوج اثنتين فتقع فيما بين الجمرتين ولا تتزوج ثلاثا فتقع بين الأثافي ولا تتزوج أربعا فيحقرنك ويهرمنك ويفلسنك . فقال له رجل : حرمت ما أحلّ الله ، فقال : طمران وكوزان ورغيفان وعبادة الرحمن .. وعن صالح بن حسان قال : رأيت امرأة بالمدينة يقال لها حوّاء، وهي

التي علمت نساء المدينة النقع وهو النخر والحركة والغربلة والرهز وكانت لها سقيفة تتحدث اليها رجالات قريش ولم يكن في المدينة أهل بيت الا وتأخذ صبيانهم وتضمهم ثديها أو ثدي احدى بناتها فكان أهل المدينة يسمونها حواء ولم يكن بالمدينة شريف ممن يجلس في سقيفتها الا واوصل اليها في السنة ثلاثين وسقا وأكثر من طعام وتمر مع الدنانير والدراهم والخدم والكساء فجاءها ذات يوم مصعب بن الزبير وعمرو بن سعيد بن العاص وابن لعبد الرحمن بن أبي بكر فقالوا لها : يا خالة قد خطبنا نساء من قريش ولسنا نتنعم إلّا بنظرك اليهن فارشدينا بفضل علمك فيهن . فقالت لمصعب : يا ابن أبي عبد الله ومن خطبت . قال : عائشة بنت طلحة . قالت : فأنت يا ابن الصديق قال : أم القاسم بنت زكريا بن طلحة . قالت : فأنت يا ابن أبي أحيحة . قال : زينب بنت عمرو بن عثمان . فقالت: يا جارية عليّ بخفّي – تعني خفيها – فأتتها بهما فخرجت ومعها خادم لها فأتت عائشة بنت طلحة فقالت : مرحباً بك يا خالة . فقالت : يا بنية إنا كنا في مأدبة لقريش فلم تبق امرأة لها جمال إلا ذكرت وذكر جمالك فلم أدر كيف أصفك فتجردي لأنظرك فألقت درعها ثم مشت فارتج كل شيء منها ثم أقبلت على مثل ذلك فقالت : فداك أبي وأمي خذي ثوبيك وأتتهن جميعاً على مثل ذلك ثم رجعت الى السقيفة فقالت : يا ابن أبي عبد الله مارأيت مثل عائشة بنت طلحة قطّ محاطة الترائب زجاء العينين هدبة الاشفار مخطوطة المتين ضخمة العجيزة لفاء الفخذين ممروله الساقين واضحة الثغر نقية الوجه فرعاء الشعر الا اني رأيت خلتين هما أعيب ما رأيت فيها اما احداها فيواريها الخف وهي عظم القدم والأخرى يواريها الخمار وهي عظم الأذن وأما أنت يا ابن أحيحة فما رأيت مثل زينب بنت عمرو قراعة قط الا ان في الوجه ردة ولكنى مشيرة عليك بأمر تستأنس اليه وهي ملاحة تعتز بها وأما أنت يا ابن الصديق فوالله ما رأيت مثل أم القاسم ما شبهتها إلا بخوط بانة تتثنى أو خشف يتقلب على رمل ولم أرها إلا فوق الرجل واذا زادت على الرجل المرأة لم تحسن لا والله الا من يملأ المنكبين فتزوجوهن .. وقال اعرابي في أخت له تزوجت بغير كفوء

ولو رَكِبَتْ ما حرَّمَ اللهُ لم يكن　　　بأقبحَ عندَ اللهِ مما استحلَّتِ

قال ،، وكان بالمدينة رجل قد أعطي جودة الرأي ولم يكن فيها من يريد إبرام أمر إلّا شاوره فأراد رجل من قريش ان يتزوج فأتاه فقال : انا اريد ان اضم إلي أهلا فأشر عليّ ، قال : افعل تحصن دينك وتصن مؤونتك وإياك والجمال البارع ، قال : ولم نهيتني وأنما هو نهاية ما يطلب الناس ، قال : لأنه ما فاق الجمال إلا لحقه قول أما سمعت قول الشاعر

ولن تُصادِفَ مَرْعىً مُونِقاً أبداً　　　إلّا وَجدتَ بهِ آثارَ مأكول

قيل ،، وكانت جارية من بنات الملوك تكره التزويج فاجتمع عندها نسوة فتذاكرن التزويج وقلن لها ما يمنعك منه ، قالت وما فيه من الخير . قلن وهل لذة العيش إلا في التزويج • قالت فلتصف كل واحدة منكن ما عندها فيه من الخير حتى أسمع • فقالت احداهن زوجي عونى في الشدائد وهو عائدي دون كل عائد أن غضبت عطف وان مرضت لطف . قالت نعم الشيء هذا • قالت الأخرى زوجي لما عناني كاف ولما أسقمني شاف عرقه المسك المداف وعناقه كالخلد ولا يمل طول العهد • قالت هذا خير منه • قالت الأخرى زوجي الشعار حين ابرد والأنيس حين أفرد . فتزوجت فقلن لها : يا فلانة كيف رأيت • قالت : انعم النعيم وسروراً لا يوصف ولذة ليس منها خالف

أمثال في التزويج

قيل ان اول من قال « لا مَنُّكَ ابقيت ولا ماءك ابقيت » الضب بن أروى الكلاعي وذلك انه خرج من أرضه فلما سار اياما حار في تلك المفاوز التي تعسفها وتخلف عن أصحابه وبقي فرداً يعسف فيها ثلاثة أيام حتى دفع الى قوم لا يدري من هم فنزل عليهم وحدثهم وكان جميلا وأن امرأة من افاضل اولائك هويته فأرسلت اليه ان اخطبني فخطبها وكانوا

لا يزوجون الا شاعرا أو رجلا يزجر الطير أو يعرف عيون الماء فسألوه فلم يحسن شيئاً من ذلك فلم يزوجوه فلما رأت المرأة ذلك زوجته نفسها على كره من قومها فلبث فيهم ما لبث ثم ان رجلا من العرب أغار عليهم في خيل فاستاصلهم فتطير وابضب وأخرجوه وامرأته وهي طامث فانطلقا واحتمل ضب شيئا من ماء ومشيا يوما وليلة الى الغد حتى اشتد الحر وأصابهما عطش شديد فقالت له ادفع إلي السقاء حتى اغتسل به فانا نتهي الى الماء ونستقي فاغتسلت بما في السقاء ولم يقع منها موقعاً وأتيا العين فوجداها ناضبة وأدركهما العطش فقال ضب لا هنك انقيت ولا ماءك ابقيت فذهبت مثلا ثم استظلا تحت شجرة كبيرة .. فأنشأ ضب يقول

تالله ما ظلة أصابت بها   سواد قلبي قارع العطب
ظل كئيب الفؤاد مضطرباً   وتكتسي من غدائر قلب
أن يعرف الماء تحت صم صفا   أو يخبر الناس منطق الخطب
أخرجني قومها بأن رحا   دارت بشؤم لهم على قطب

فلما سمعت ذلك فرحت وقالت قم فارجع الى قومي فانك شاعر فانطلقا راجعين حتى انتهيا اليهم فاستقبلوهم بالسيف والعصا فقال لهم ضب اسمعوا شعري ثم ان بدا لكم أن تقتلوني بعد فافعلوا فتركوه فصار فيهم عزيزاً .. وقيل ان أول من قال

* في الصيف ضيعت اللبن * قتول بنت عبد وكانت تحت رجل من قومها فطلقها وانها رغبت في أن يراجعها فأبى عليها فلما يئست خطبها رجل يقال له عامر بن شوذب فتزوجها فلما بنى بها بدا للزوج الأول مراجعتها وهوى بها هوى شديداً فجاء يطلبها ويرنو بنظره اليها ففطنت به فقالت

أتركتني حتى إذا   علقت أبيض كالشطن
أنشأت تطلب وصلنا   في الصيف ضيعت اللبن

فذهبت مثلا فقال لها زوجها الأول واسمه الأشق فهل بقي شيء قالت نعم فاصله عن جميع مالك وطلاقي فان فصلته تزوجتك فرضي بذلك ثم راجع نفسه فقال لها ذلك فقالت أما اذا ضننت بمالك فانطلق الى مكان اذا أنت تكلمت سمع زوجي كلامي وكلامك ثم اقعد كأنك لا تشعر به وقل

أحيا اللهُ بنت العبدِ إنَّ وصالها وصالُ ملولٍ لا تدومُ على بَعلِ

تُحدِّثني أنْ سوف تقتلُ عامراً لأنْ لم يكن في ماله عامرٌ مثلي

فهيهات تزويجُ التي تقتلُ الفتى إذا ما أبتْ يوماً وإن كان من أجلي

فتقتلني يوماً إذا هويتْ فتىً سواي وإني اليوم من وصلها مجْلي

فانطلق الأشق ففعل ما أمرته به فسمعه عامر فوقع في قلبه قوله وقد كان عرف حبها له فصدق ذلك ودخل عليها فطلقها وتزوجها الأشق .. وذكروا ان بطنا من قريش اشتدت عليهم السنة وكانت فيهم جارية يقال لها زينب من أكمل نسائهم جمالا وأتمهن تماماً واشرفت فرآها شاب يقال له عروة فوقعت في قلبه فجعل يطالعها ولا يقدر على أكثر من ذلك فاشتد وجده بها فلما انقضت السنة وارادوا الرجوع الى منازلهم دعا بعض جواري الحي فقال يا ابنة الكرام هل لك في يد تتخذين بها عندي شكراً قالت ما أحوجني الى ذلك . قال تنطلقين الى خيمة فلانة كأنك تقتبسين ناراً فاذا انت جلست فقولي حيث تسمع زينب

الا هلْ لنا قبلَ التفرُّقِ ليلةٌ ويومٌ فتقضي كلُّ نفسٍ مناها

فانطلقت الجارية ففعلت ذلك فلما سمعت زينب قولها وكانت تدني رأس زوجها وكان عنده أخ له .. فقالت مجيبة لها

لعمري لقد طال المقامةُ هاهنا أوانَ لمحبٍّ حاجةٌ اقضاها

فسمع اخو الزوج قول الجارية وجواب زينب فقال

أَلا يَعلمُ الزَّوجُ المُفلَّى بأَنَّها ... رسالةُ مشغوفِ الفؤادِ رَجاها

فانتبه الزوج لأمرهم وعرف ما أرادت فقال

لحى اللهُ من لا يستقيمُ بودِّهِ ... ومن يمنحُ النفسَ الطَّروبَ هَواها

انطلقي يا زينب فانت طالق فخرجت من عنده وبعثت الى عروة فاعلمته وأقامت حتى انقضت عدتها ثم تزوجته

*

في الناشزة

ذكروا ان الأخطل كانت عنده امرأة وكان بها معجباً فطلقها وتزوج بمطلقة رجل من بني تغلب وكانت بالثفالي معجبة فبينا هي ذات يوم جالسة مع الأخطل اذ ذكرت زوجها الأول فتنفست الصعداء ثم ذرفت دموعها فعرف الأخطل ما بها فذكر امرأته الأولى وأنشأ يقول

كلانا على وَجْدٍ يبيتُ كأنَّما ... بجنبيه من مسِّ الفراشِ قروحُ

على زوجها الماضي تنوحُ وزوجها ... على الطلَّةِ الأولى كذاك ينوحُ

قيل .. وخاصمت امرأة زوجها الى زياد فجعلت تعيبه وتقع فيه ، فقال الزوج : أصلح الله الأمير انَّ شرَّ المرأة كبرها ان المرأة اذا كبرت عقم رحمها وبذأ لسانها وساء خلقها والرجل اذا كبر استحكم رأيه وقل جهله ، قال : صدقت وحكم له بها ..

وذكروا ان امرأة أتت عبيد الله بن زياد وكانت ذات شحم وجسم وجمال مستعدية على زوجها وكان أسود دميم الخلقة فقال : مابال هذه المرأة تشكوك ، قال : أصلح الله الأمير سلها عما ترى من جسمها وشحمها أمن طعامي أم من طعام غيري ، قالت من طعامك اقسم عليَّ بطعام اطعمتنيه والكلاب تأكل . قال سلها عن كسوتها من مالي هي أم من مال غيري ، قالت من مالك اقسم عليَّ بثوب كسوتنيه ، قال وسلها عما في بطنها مني

هو أم من غيري . قالت منك ووددت انه في بطني من كلب . قال الرجل أصلح الله الأمير فما تريد المرأة الا أن تعلم وتكسى وتنكح . قال صدقت خذ بيدها .. قال خرج رجل مع قتيبة بن مسلم الى خراسان وخلف امرأة يقال لها هند من أحسن نساء زمانها فلبث هناك سنين فاشترى جارية اسمها جمانة وكانت له فرس يسميه الورد فوقعت الجارية منه موقعاً فأنشأ يقول

ألا لا أبالي اليوم ما فعلت هند ... إذا بقيت عندي الجمانة والورد

شديد مناط القصرتين إذا جرى ... وبيضاء مثل الرئم زينها العقد

فهذا لأيام الهياج وهذه ... لحاجة نفسي حين ينصرف الجند

فبلغ ذلك هند فكتبت اليه

ألا أقره مني السلام وقل له ... غنينا بفتيان غطارفة مرد

فهذا أمير المؤمنين أميرهم ... سبانا وأغنانا كم أراذلة الجند

إذا شاء منهم ناشئ مد كفه ... إلى كبد ملساء أو كفل نهد

فلما قرأ كتابها أتى به الى قتيبة فأعطاه إياه فقال له أبعدك الله هكذا يفعل بالحرة وأذن له في الانصراف .. قال وسمع عمر بن الخطاب امرأة تنشد وتقول

فمنهن من تسقى بعذب مبرد ... نقاخ فتلكم عند ذلك قرت

ومنهن من تسقى بأخضر آجن ... أجاج فلولا خشية الله فرت

فأمر باحضار زوجها فوجده متغير الفم فخيره جارية من المغنم او خمسة مائة درهم على طلاقها فاختار الجارية فدفعت اليه وخلى سبيلها .. وحكى عن الفضل بن الربيع انه كان بمكة ومعه الفرج الرخجي وكان الفضل صبيحاً طريفاً والفرج دميماً قبيحاً فخرجا الى الطواف ثم انصرفا الى بعض طرقات مكة وقعدا يتغديان فبينما هما كذلك على طعامهما اذ وقفت عليهما امرأة جميلة بهية حسنة شكلة وعليها برقع فرفعته عن

وجهها فاذا وجه كالدينار وذراع كالجمار فسلمت وقعدت وجعلت تأكل معهما قال الفضل فأعجبني مارأيت من جمالها وهيئتها فقلت : هل لك من بعل ، قالت : لا ، قلت : فهل لك في بعل من أصحاب أمير المؤمنين حسن الخَلق والخُلق ، قالت : وأين هو ، فأشار الى فرج فقالت : جوابك عند فراغنا فلما أكلت قالت للفضل : تقرأ شيئاً من كتاب الله قال : نعم ، قالت : أفتؤمن به ، قال : نعم ، قالت : فان الله يقول (ومَن يَكُن الشيطانُ له قَريناً فساء قَريناً) فضحك الفضل ودخل على الرشيد فأخبره فأمر باحضارها فلما نظر اليها اعجب بها فتزوجها وحملها الى مدينة السلام .. قال وحج اسماعيل بن طريح فوقفت عليه أعرابية جميلة قال فقال لها : هل لك أن تزوجيني نفسك ، فقالت من غير توقف

بكى الحَسَبُ الزّاكي بعينٍ غزيرةٍ من الحَسَبِ المَنقوص أن يجمعَا معَا

وانصرفت .. قال العتبي : كنت كثير التزوج فررت بامرأة فأعجبتني فأرسلت اليها ألك زوج ، قالت : لا ، فصرت اليها فوصفت لها نفسي وعرفتها موضعي فقالت : حسبك قد عرفناك ، فقلت لها : زوجيني نفسك ، فقالت : نعم ولكن هاهنا شيء تحتمله ، قلت وما هو ، قالت : بياض في مفرق رأسي ، قال فانصرفت فصاحت بي ارجع فرجعت اليها فسفرت عن رأسها فنظرت الى وجه حسن وشعر أسود فقالت : انا كرهنا منك عافاك الله ما كرهت منا .. وأنشدت

أرى شيبَ الرّجال من الغواني بموضع شيبهنَّ من الرّجالِ

وعن عطاء بن مصعب قال : جاءت امرأة الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقالت : يا أمير المؤمنين لا انا ولا زوجي ، فقال لها : وما لك من زوجك ، قالت : مر باحضاره فأحضر فاذا رجل قذر الثياب قد طال شعر جسده وأنفه ورأسه فأمر عمر ان يؤخذ من شعره ويدخل الحمام ويكسى ثوبين ابيضين ثم يؤتى به ففعل به ذلك ودعا المرأة فلما رأت الزوج قالت : الآن ، فقال لها عمر : اتقي الله وأطيعي زوجك ، قالت : افعل يا أمير المؤمنين ، فلما ولّت قال عمر : تصنّعوا للنساء فانهن يحببن منكم

ماتحبون منهن ،، ويقال ان المرأة تحب اربعين سنة وتقوى على كتمان ذلك وتبغض يوما واحداً فيظهر ذلك بوجهها ولسانها والرجل يبغض أربعين سنة فيقوى على كتمان ذلك وان أحبّ يوما واحداً شهدت جوارحه

نساء الخلفاء

على بن محمد بن سليمان قال : أبي يقول كان المنصور شرط لأم موسى الحميرية أن لا يتزوج عليها ولا يتسرّى وكتبت عليه بذلك كتابا أكدته وأشهدت عليه بذلك فبقى مدة عشر سنين فى سلطانه يكتب الى الفقيه بعد الفقيه من أهل الحجاز واهل العراق وجهد أن يفتيه واحد منهم في التزويج وابتياع السراري فكانت أم موسى اذا علمت مكانه بادرته وأرسلت اليه بمال فاذا عرض عليه ابو جعفر الكتب لم يُفته حتى ماتت بعد عشر سنين من سلطانه ببغداد فأتته وفاتها وهو بحلوان فأهديت اليه مائة بكر وكان المنصور أقطع أم موسى الضيعة المسماة بالرحبة فوقفتها قبل موتها على المولدات الاناث دون الذكور فهي وقف عليهن الى هذا الوقت .. حدثنا يحيى بن الحسن عن محمد بن هشام قاضى مكة قال كانت الخيزران لرجل من ثقيف فقالت لمولاها الثقفي انى رأيت رؤيا ، قال وما هي ، قالت رأيت كأن القمر خرج من قبلي وكأن الشمس خرجت من دبري ، قال لها لست من جواري مثلي انت تلدين خليفتين فقدم بها مكة فباعها في الرقيق فاشتريت وعرضت على المنصور فقال من اين أنت قالت المولد مكة والمنشأ بجرش قال فلك أحد قالت مالي أحد إلا الله وما ولدت أمي غيري ، قال يا غلام اذهب بها الى المهدي وقل له تصلح للولد فأتى بها المهدي فوقعت منه كل موقع فلما ولدت موسى وهرون قالت ان لي أهل بيت بجرش ، قال ومن لك ، قالت لي أختان اسمهما أسماء وسلسل ولي أم واخوان فكتب فأتي بهم فتزوج جعفر بن المنصور سلسل فولدت منه زبيدة واسمها سكينة تزوجها الرشيد وبقيت أسماء بكراً فقال المهدي للخيزران قد ولدت رجلين وقد بايعت لهما وما أحب أن

تبقين أمة وأحب أن اعتقك وتخرجين الى مكة وتقدمين فأتزوجك . قالت : الصواب رأيت . فاعتقها وخرجت الى مكة فتزوج المهدى اختها أسماء ومهرها ألف ألف درهم فلما أحس بقدوم الخيزران استقبلها فقالت : ما خبر اسماء وكم وهبت لها . قال : من اسماء قالت : امرأتك . قال : ان كانت اسماء امرأتي فهي طالق . فقالت له : طلقتها حين علمت بقدومي . قال : اما إذ علمت فقد مهرتها ألف ألف درهم ووهبت لها ألف ألف درهم ثم تزوج الخيزران .. قال : كانت نخلة جارية الحسين الخلال قبل أن يتولى المتوكل الخلافة تقعد بين يديه وتغنيه فولدت للحسين ابناً فلما ولي المتوكل الخلافة طرقه ليلا فقال له الحسين زرتنا جعلت فداك . قال اشتهيت أن أسمع غناء نخلة فأخرجها اليه مطلومة الشعر فقال يا خلال أليس قد ولدت منك ابناً . قال بلى . قال فأنا أحب أن تعتقها . قال فانها حرة . قال فاشهد اني قد تزوجتها قومي يا نخلة . فاشتد ذلك على الحسين فعوضه منها خمسة عشر ألف دينار وحول اليه نخلة .. قيل ووصف للمتوكل ابنة لسليمان بن القاسم بن عيسى بن موسى الهادى وعدة من الهاشميات فحملن اليه وعرضن عليه فاختارها من بينهن وصرف البواقي ونزلت منه منزلة حتى ساوى بينها وبين قبيحة في المنزلة وكانت جارية لها لباقة وملاحة ووصفت له ربطة بنت العباس بن علي فحملت اليه فتزوجها ثم سألها ان تطم شعرها وتتشبه بالمماليك فأبت عليه فأعلمها ان لم تفعل فارقها فاختارت الفرقة فطلقها ووصفت له عائشة بنت عمرو بن الفرج الرخجي فوجه في جوف الليل والسماء تهطل الى عمر أن احمل إلي عائشة فسأله أن يصفح عنها فانها القيمة بأمره فأبي فانصرف عمر وهو يقول اللهم قني شر عبدك جعفر ثم حملها بالليل فوطئها ثم ردها الى منزل أبيها .. قال وكان الهادى يشاور من اصحابه عبد العزيز بن موسى وعيسى بن دأب والعزيزي وعبد الله بن مالك فخرج ذات يوم اليهم وهو مغضب كأنه جمل هائج منتفخ الأوداج منتقع اللون فأقبل حتى جلس في مجلسه وكان العزيزى أجرأهم عليه فقال يا أمير المؤمنين انا نرى بوجهك ما كدر علينا عيشنا ونغص الدنيا الينا فان رأى أمير المؤمنين أن يخبرنا بالسبب فان كان عندنا حيلة أعملناه بها وان تكن مشورة أشرنا بها وان أمكن احتمال الغم عنه وقيناه بانفسنا وحملنا الغم عنه . قال فأطرق طويلا والعزيزى

قائم فقال له اجلس يا عزيزي فاني لم أر كصاحب الدنيا قط أكثر آفات وأعظم نائبة ولا أنغص عيشاً . قال العزيزي : وما ذاك يا أمير المؤمنين . قال : لبابة بنت جعفر بن أبي جعفر قد علمتم موقعها مني وإيثارها عندي كلمتني بادلال فاغلظت فلم يكن لها عندي احتمال ولا عندها إقصار حتى وثبت عليها وضربتها ضربا موجعاً . قال وسكت فقال ابن دأب : يا أمير المؤمنين انك والله لم تأت منكراً ولا بديعاً قد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤدبون نساءهم ويضربونهن هذا الزبير بن العوام حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمته وثب على امرأته اسماء بنت أبي بكر وهي أفضل نساء أهل زمانها فضربها في شيء عتب عليها فيه ضربا مبرحا حتى كسر يدها وكان ذلك سبب فراقها وذلك أنها استغاثت بولدها عبد الله فجاء يخلصها من أبيه فقال هي طالق ان حلت بيني وبينها ففصل وبانت منه وهذا كعب بن مالك الأنصاري عتب على امرأته وكانت من المهاجرات فضربها حتى حال بنوها بينه وبينها فقال

فلولا بنوها حولها لخبطتها كخبطة فرّوج ولم أتلعثم

قال : فسُرّي عن موسى الغضب وطابت نفسه ودعا بالطعام فأكلنا وأمر له بعشرة آلاف درهم وثلاثين ثوبا فتابعت وتعجبت من انقطاعي عن الحديثين وهما في بالي وانا اعلم بهما منه

المطلقات

قيل .. كانت أم الحجاج بن يوسف الفارعة بنت همام بن عروة بن مسعود وكانت عند المغيرة بن شعبة فرآها يوما تخلل بكرة فقال أنت طالق والله لئن كان هذا من غداء يومك لقد شرهت وان كان من عشاء أمسك لقد انتنت فقالت لا يبعد الله غيرك والله ما هو إلا من السواك فخلف عليها بعده يوسف ابو الحجاج فولدها الحجاج .. وفيها اشعار منها

أهاجتكَ الظعائنُ يومَ بانوا ... بذي الزيّ الجميلِ من الأثاثِ
ظعائنُ أسلكتْ نقبَ المنقّى ... تحثّ إذا ونتْ أيَّ احتثاثِ
كأنّ على الحدائجِ يومَ بانوا ... نعاجاً ترتعي بقلَ البراثِ
تؤمّلُ أنْ تلاقي أهلَ بُصرى ... فيا لكَ منْ لقاءٍ مستراثِ
تهيّجنا الحمامُ إذا تداعى ... كما سجعَ النوائحُ بالمراثي

وفي زينب أخت الحجاج يقول النميري

ولم ترَ عيني مثلَ سربٍ رأيتهُ ... خرجنَ من التنعيمِ معتمراتِ
ولما رأتْ ركبَ النميريّ أعرضتْ ... وكنّ منَ انْ يلقينهُ حذراتِ
تضوّعَ مسكاً بطنُ نعمانَ إذ مشتْ ... بهِ زينبٌ في نسوةٍ عطراتِ
مررنَ بفخٍّ ثمّ رحنَ عشيّةً ... يلبّينَ للرحمنِ مؤتجراتِ
دعتْ نسوةً شمَّ العرانينِ بدّنا ... نواعمَ لا شعثاً ولا غبراتِ
فأدنينَ لما قمنَ يحجبنَ دونها ... حجاباً منَ القسّيّ والحبراتِ
أجلّ الذي فوقَ السمواتِ عرشهُ ... أوانسَ بالبطحاءِ معتجراتِ
يخبّينَ أطرافَ البنانِ منَ التقى ... ويخرجنَ بالأسحارِ معتمراتِ

عوانة عن محمد بن زياد عن شيخ من كندة قال : خرج الحارث بن سليل الأسدي زائراً لعلقمة بن حفصة الطائي فلما قدم عليه بصر بابنة له يقال لها الزباء وكانت من أجمل نساء أهل عصرها فأعجب بها فقال لأبيها أتيتك زائراً وقد ينكح الخاطب ويكرم الطالب ويفلح الراغب ، فقال : انت امرؤ كريم يقبل منك الصفو ويؤخذ منك العفو فاقم ننظر في أمرك ثم انكفأ الى أهله فقال ان الحارث بن سليل سيد قومه منصباً وحسباً وبيتا فلا ينصرفن من عندنا الا بحاجته فأريدي ابنتك عن نفسها نفلت بالزباء فقالت

يا بنية أي الرجال أحب اليك الكهل الجحجاح الفاضل المناح أم الفتى الوضاح . قالت : الزمور الطماح . قالت : يا بنية ان الشيخ يميرك ولا يغيرك وليس الكهل الفاضل الكثير النائل كالحدث السن الكثير الظن . قالت : يا أماه اخشى الشيخ ان يدنس ثيابي ويشمت بي أترابي ويبلي شبابي . قال فلم تزل بها أمها حتى غلبتها على رأيها فتزوجها الحارث بن سليل على خمسين ومائة من الابل وألف درهم وابتنى بها ثم رحل بها الى قومه فبيناهو جالس ذات يوم وهي الى جانبه اذ أقبل فتية من بني أسد نشاوى يتبخترون فلما نظرت اليهم تنفست الصعداء وبكت فقال : ماشأنك . قالت : مالي وللشيوخ الناهضين كالفروخ قال : ثكلتك أمك تجوع الحرة ولا تأكل بثديها فذهبت مثلا أما وأبيك لرب غارة شهدتها وخيل وزعتها وسبية أردفتها وخمرة شربتها إلحقي بأهلك فأنت طالق .. وقال

تهزأت أن رأتني لابساً كبراً ... وغاية الناس بين الموت والكبر

فإن يكن قد علا رأسي وغيره ... صرف الزمان وتغيير من الشعر

فقد أروح للذات الفتى جذلاً ... وقد أصيد بها عيناً من البقر

عني اليك فإني لا توافقني ... عور الكلام ولا شرب على الكدر

قال .. وقال الحجاج لابن القرية : ما تقول في التزويج . قال : وجدت أسعد الناس في الدنيا وأقرهم عيناً وأطيبهم عيشا وأبقاهم سروراً وأرخاهم بالا وأشبهم شبابا من رزقه الله زوجة مسلمة أمينة عفيفة حسنة لطيفة نظيفة مطيعة ان أمها زوجها وجدها أمينة وان قتر عليها وجدها قانعة وان غاب عنها كانت له حافظة تجد زوجها أبداً ناعما وجارها سالما ومملوكها آمنا وصبيها طاهرا قد ستر حلمها جهلها وزين دينها عقلها فتلك كالريحانة والنخلة لمن يجتنيها وكاللؤلؤة التي لم تثقب والمسكة التي لم تفتق قوامة صوامة ضاحكة بسامة ان أيسرت شكرت وان اعسرت صبرت فأفلح وأنجح من رزقه الله مثل هذه وانما مثل المرأة السوء كالحمل الثقيل على الشيخ الضعيف يجره في الارض جراً فبعلها مشغول وجارها متبول وصبيها مرذول وقطها مهزول . قال : يا ابن القرية قم الآن

فاخطب لي هنداً بنت أسماء ولا تزيدن على ثلاث كلمات فأتاهم فقال : جئت من عند من تعلمون والأمير يعطيكم ما تسئلون افتنكحون أم تدعون . قالوا : انكحنا وغنمنا فرجع الى الحجاج فقال : أصلح الله الأمير صلاح من رضي عمله ومد في الخيرات أجله وبلغ به أمله جمع الله شملك وأدام طولك وأقر عينك ووقاك حينك وأعلى كعبك وذلل صعبك وحسن حالك على الرفاء والبنين والبنات والتيسير والبركة وأسعد السعود وأيمن الجدود وجعلها الله ودوداً ولوداً وجمع بينكما على الخير والبركة فتزوجها الحجاج ثم انه دخل ذات يوم عليها وهي تقول

وما هند إلا مهرة عربية ... سليلة أفراس تجللها بغل

فإن نتجت مهراً كريماً فبالحري ... وإن يك إقراف فما أنجب الفحل

فخرج من عندها مغضباً ودعا ابن القرية فدفع اليه مائة ألف درهم وقال : ادخل على هند وطلقها عني ولا تزد على كلمتين وادفع اليها المال . فحمل ابن القرية المال ودخل عليها فقال : ان الأمير يقول كنت فبنت وهذه المائة ألف صداقك . فقالت : يا ابن القرية ما سررت به إذ كان ولا جزعت عليه إذ بان وهذا المال بشارة لك لما جئتنا به . فكان القول أشد على الحجاج من فراقها .. وذكروا أن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه كانت عنده عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل فأحبها حباً شديداً فأمره أبوه بفراقها وان يطلقها تطليقة واحدة ففعل ثم ندم على فعله فقال

فلم أر مثلي طلق اليوم مثلها ... ولا مثلها في غير جرم تطلق

لها خلق سهل وحسن ومنصب ... وخلق سوي ما يعاب ومنطق

أعاتك قلبي كل يوم وليلة ... إليك بما تخفي القلوب معلق

أعاتك ما أنساك ما ذر شارق ... وما لاح نجم في السماء محلق

فسمع ابو بكر ذلك فرق له وأمره بمراجعتها .. وعن علي بن دعبل قال : حدثني أبي قال خرجت ومعي اعرابي وبعلي الى موضع يقال له بطياثا من أمصار دجلة

متنزهين فأكلنا وشربنا فقال الاعرابي : قل بيت شعر فقلت

نلنا لذيذ العيش في بطيائنا

فقال الاعرابي   لما جئنا أقدحاً ثلاثا

فقال النبطي   وامرأتي طالق ثلاثا

وما زال يبكي حتى الصباح فقلت له : ما يبكيك ، فقال : ذهبت امرأتي بقافية ..

قال اسحاق بن ابراهيم الموصلي كنت انا والحسين بن الضحاك يوما عند المعتصم وحضرت قينة تعرض عليه فأعجب بها فقال للمدنيين : كيف ترونها ، فقال احدهم : امرأته طالق ان كان رأى مثلها ، وقال آخر : امرأته طالق ان لم ، وسكت فقال المعتصم : ان لم ، قال : لا شيء ، فضحك وقال له : ويحك ما دعاك الى طلاق أهلك بلا سبب ، فقال : يا أمير المؤمنين كلنا قد طلق امرأته بلا سبب .. ومما قيل في ذلك من الشعر

رحلت أمية بالطلاق   ونجوت من رق الوثاق

بانت فلم يجزع لها   قلبي ولم تدمع مآقي

لو لم أرح بفراقها   لأرحت نفسي بالإباق

وخصيت نفسي لا أريـــد حليلة حتى التلاقي

وقال آخر

رأيت أثاثها فطمعت فيها   وقد نصبت لغيرك بالأثاث

فطلقها وعد النفس عنها   سريعاً ان نفسك في التواث

وإلا فالسلام عليك إني   سآخذ من عدلك في المراثي

محاسن وفاء النساء

قال الكسروي : كتب بلاش بن فيروز الى ملك الهند يخطب ابنته فلم ينعم له ورد رسوله خائباً فتجشم وسار اليه في خيله ورجله فلما اصطفت الخيلان دعاه بلاش الى المبارزة وقال انه عار على الملوك ان يوردوا جنودهم الهلاك ويفوزوا بأنفسهم فبرز اليه ملك الهند فاختلفت بينهما ضربتان فتمت بلاشاً حصانة درعه وضرب بلاش الهندي على عاتقه فقطع حبله حتى انتهى السيف الى سندوته فخر ميتاً وانهزمت خيله فافتتح بلاش مدينته وامر ثقاته فاحدقوا بقصر ابنة الملك فلما احتوى على أمواله بعث الى ابنة الملك أن تأتيه فقالت للرسول وهي تبكي : قل للملك المزين بالحلم المحبب في رعيته المؤيد بالظفر انك قد ملكتني وصرت ممن يستحق عطفك ورأفتك فان رأيت أن تطيب نفساً عن النظر إلي حتى ترجع الى دار مملكتك فافعل . فانصرف الرسول الى بلاش فاخبره فاجابها الى ما سألت وسار وحملها حتى قدم دار المملكة فهيأ لها مقصورة مفردة عن سائر حرمه فانزلها فيها وأمر لها بعتيق الديباج وفاخر الجوهر واستخلط من الذهب والصلاة والجوائز والأثاث ما لم يأمر لغيرها من نسائه واستأذنها في الدخول عليها فأذنت له فدخل عليها وأقام عندها سبعة أيام ولياليها معجباً منه بها لا يحير اليها جواباً ولا يخف عن صدر مجلسها فخرج من عندها اليوم الثامن وقد وقع في قلبه ما أظهرت من خفة مجالسه عليها ولبثت أشهراً لا يدخل عليها فقالت يوماً لحاضنتها ما أعجب أمر الملك يدل دمه في طلبي حتى اذا ظفر بي سلا عني انطلقي حتى تسألي عن عدة نسائه وأيهن أكرم عليه وأنبئي بعلم ذلك . فانطلقت حتى عرفت ذلك وانصرفت فقالت : اني وجدت له أربعمائة امرأة ما بين أمة وحرة وليس فيهن أكرم عليه من ابنة سائس من سواسه اعجبته فتزوج بها . فقالت : انطلقي اليها واقرئيها مني السلام واعلميها اني اريد مؤاخاتها والانقطاع اليها فانطلقت الحاضنة الى ابنة السائس فأبلغتها رسالة مولاتها . فقالت لها : اقرئيها مني السلام واعلميها أني قد احببتها وأجبتها الى ما سألت فتصير إلي فانصرفت فأخبرتها بما قالت فتهيأت بأحسن هيئة

وأقبلت اليها ودخلت عليها فرفعت مجلسها وأقبلت عليها فذكرت حبها لهـا ورغبتها في مواصلتها فردت عليها ابنة السائس أحسن الرد وأعلمتها سرورها بذلك ثم تحدثتا ساعة وانصرفت وجعلت الهدية تأتيها غبا وتظهر الأنس بها فلما أنست بها قالت لها : انك قد استلبت قلب الملك وقهرت جميعنا بفضلك وليس لواحدة منا نصيب فاعلمينا الأمر الذي فضلتينا به لنزداد سرورا بما أوتيت ومحبة لك والانقطاع اليك ، قالت : اني لما عرفت ضعف نسبي وقلة جمالي علمت انه لا يرجع الملك مني الى شيء أحظى به عنده مثل المؤاتاة في الخلوة وأن ابسطه اذا هم بالحركة واستميل قلبه بالالطف وفضل الخدمة فلما رآني على ذلك مستمرة ورأى من سائر نسائه أنفة الأكفاء وزهو الجمال وخيلاء الملك وعلمت اني ان أخذت ما أخذنه مع خمول نسبي وقلة جمالي ودقة خطري لا يليق بي مثل الذي يليق بهن فضلني على جميع نسائه بذلك . فلما سمعت ابنة الملك ذلك علمت ان قلوب الرجال لا تستمال إلا بالمؤاتاة وسرعة الاجابة في الباه عند الشهوة فعزمت أن تجعل ذلك عدة لاستعطاف قلب الملك فانصرفت الى قصرها وقالت لبعض جواريها : اذهبي الى فلانة — تعني ابنة السائس — فان رأيت الملك عندها فاعلميها أني عليلة من وجع عرض لي فانطلقت الجارية فاذا الملك عندها فأخبرتها بذلك فرق الملك لها وذكر غربتها وقلة أيامها فقال لابنة السائس : ما ترين في اتيانها ، فقالت ايها الملك انه ليس في نسائك من لها عندي مثل منزلتها فسر اليها فانها غريبة قد فارقت أهلها وهي في موضع رحمة . فقام الملك حتى دخل عليها وانتهى الى باب مجلسها فقامت اليه تمشي بأحسن هيئتها متكسرة في حليها وزينتها عبقة بطيبها وعطرها فقبلت بين عينيه وأخذت بيده حتى أجلسته في صدر فراشها وجعلت تقبل يديه ورجليه ضاحكة اليه مظهرة السرور به ، فجذبها الى نفسه ودعاها الى المضاجعة فأتته ولم يرد في الخلوة شيئا إلا أجابته اليه فلما قضى حاجته بازعها الى المحادثة فقال : أين ما ذكر رسولك من شدة وجعك ، قالت : ياسيدي كنت متوجعة لفراقك حتى شفاني لقاؤك وفات ذلك لما نالني من تباريح الشوق اليك وطول صدودك وسلوتك ثم أخذ معها في المداعبة وأقام عندها سبعة أيام فيما ما يتلاعبان ويتذاكران ويتعانقان اذ دخلت جارية لابنة السائس تحيي الملك بتحية الملوك ثم قالت

للهندية ان سيدتي – تعني ابنة السائس – تقول قد اجتمع فيك ثلاث خصال الأولى الغدر
بعاملتك والثانية فضل تطاولك والثالثة كفران النعمة للمنعم وانى عن قريب رادتك
من الملك الى غصص الغيظ . فاغتمّا وهملت عيناها ونظرت الى الملك كالمستغيثة به .
فقال لها الملك يا حبيبتي ما تنكرين من أمتك قد وهبتها لك وجميع ما تملك . فتجلّى عنها
غمها فقالت لرسولها انطلقي اليها فاعلميها ان الملك قد وهبها وما تملك لي وقولي لها أرجعك
حتى نفسك الى لؤم حسبك واهمال أدبك إنّني الساعة بصغار المذلة ورقة العبودية
فلما أبلغها الرسول ذلك أقبلت فدخلت عليها حيث الملك وقامت بين يديه . فقالت لها
الهندية ما كان أعظم زهوك في رسالتك . قالت يا سيدتي أتأذنين لي في الكلام . قالت
تكلمي . قالت أيتها السيدة لست متوجهة اليك بشيء هو أملك بك من حلمك ولا اعطف
عليّ من فضلك ولم يظلم من رفع فوقي من هو أفضل مني وكلّ فرع يرجع الى أصله
وكل زهر ينسب الى منبته . فقالت صدقت فدعي عنك كلام الأدب فقد ملكتك على
رغم أنفك وانا مزوجتك من فلان خادمي فليس لك فضل عليه . قالت ابنة السائس
من اعتاد معالي الأمور لم تطب نفسه بأسافلها ومن صاحب العظماء أبت غريزته الأدنياء
وانما رقّيت عطفك ورجوت حسن نظرك فاما اذ عزمت على هذا فقد طاب الموت وما
الذي أستبقي منك ثم قالت أيها الملك ان جذل المسرة منك لا يستقر ويقع موقعه الا بعد
في المخالفة عندك فاحترس من هذه الهندية فانها لا تؤمن عليك لأنها ليست من جنسك
فيعطفها عليك الرحم ولا من أهل مملكتك فتعرف تطولك عليها وانما هي شبيهة بموتورة
قد قتلت أباها وهدمت عزها فاحترس منها ولا يأمنك موقعها من قلبك فانها متى
احتالت في قتلك لم يكن في ايدينا من الظفر الا قتلها كما كان من أمر الثعلب وعظيم
الطير . فقال الملك وما كان من حديثهما . قالت يقال ان ثعلباً جاع في ليلة فرقى شجرة
ليأكل منها فسال الوادي الذي فيه تلك الشجرة بسيل شديد فاقتلعها والثعلب عليها
ثم رفعها ووضعها حتى ألقى الثعلب الى أرض بعيدة من أرضه فاصبح وقد ألقاه
السيل الى سفح جبل كثير الأشجار مثمر الأغصان وعلى تلك الأشجار جنس من
الطير لا يحصي عدداً فالقى الى شجرة قضباً مقشراً لا يعرف أرضه ولا يقدر على

مؤالفة الدواب فمرّ به عظيم الطير فقال له ما أنت فقال انا دابة سال بي السيل فألقاني في جبلكم وقد أصبحت غريباً فقال له عظيم الطير فهل لك حرفة قال نعم اعرف الثمار اذا بلغت حد بلوغها وأصنع للطير أكنافاً في الأرض تكن فيها فراخها من الحر والبرد فقال له عظيم الطير قد أدركت عندنا بغيتك فأقم عندنا نواسك ونعرف حق مجاورتك فأقام الثعلب عند ملك الطير فكان يعرفهم الثمار المدركة ويحفر لهن بمخاليبه قبوراً في الأرض يفرخن فيها وكان الثعلب اذا جن عليه الليل وقرم الى اللحم ادخل يده في جحر من تلك الأجحرة فأخرج طيراً أو فراخه فأكله ودفن ريشه وجعلت الطير تفتقد ما كان يأكل واحداً بعد واحد فقال بعضها لبعض ما فقدنا أفاضلنا الا منذ صارت هذه الدابة بين أظهرنا وما كانت هذه الطير تطلب الغيبة وما ندري ما دهاها فقال لها عظيمها ان هذا حسد منكن لهذه الدابة فلا تفهمن ما أصبحتن فيه من فضل الطعم وما فيه فراخكن من هذه الأكنان التي لا يخاف عليها برد فيها ولا حر فقالت الطير أنت سيدنا وأبصر بالأمور منا قال وعليّ أن أقطع هذا القول وأبين حق ذلك من باطله بنفسي فلما أظلم الليل نزل من الشجرة فدخل بعض تلك الأكنان وأقبل الثعلب على العادة التي اعتادها الى ذلك الكن فأدخل يده فقبض على رأس الملك فقال الملك للثعلب لقد نصحتني الطير لو قبلت نصحها قال الثعلب أنت هو قال نعم قال ما ظننت أن يبلغ من حمقك كل هذا قال ملك الطير دعني أردك في منزلتك بحسب ما رأيت من فضل عملك ولطيف حيلك قال له الثعلب ان أبوي أدباني أن لا أعلق أيامي بشيء وأتركه إذ ليس من جهلك ان لا تجزأ من الثمار ومن الأكنان بما كان آباؤك يكتفون به ولم ترض حتى اختبرت أمري بنفسك ولم تجعل التغرير في ذلك بغيرك ثم أكله ودفن ريشه وفقدت الطير عظيمها فاستوحشت ففرضت الثعلب ضربا بمخاليبها ومناقيرها حتى قتلته ولم تصل في عظيم خطر ما كانت الى أكثر من قتل الثعلب فاحترس من هذه الهندية . قالت الهندية انما تقر عين المرأة بأربعة رجال بأبيها وأخيها وولدها وبعلها وأفضل اسماء الخادمة بعلها على جميع أهلها والمؤثر له على نفسها فكيف بي من ذهب أبوها وأخوها ففي بعلها أقبح أن تهلكه على ان ذلك في ردائه عمتك وجبت نفسك مثل الغراب والحمامة . قال الملك

وما كان من حديثهما . قالت زعموا ان غرابا ألف مطبخا لبعض الملوك فأخذ من أطيب اللحمان التي قد صارت فيه شيئاً فظنوا ان الغراب أخذه لقلة وفائه ولؤم جوهره فطردوه عن مطبخهم وقالوا ما نرجوا من هذا الغراب وهو من الطيور التي تعاف ويتطير منها فأفشى ذلك الغراب أمره الى حمامة قد كان بينهما معرفة وفزع الى رأيها وأخبرها ما كان فيه من نعيم المأكل والمشرب فقالت له الحمامة انطلق بي حتى تريني هذا المطبخ فانطلق حتى أتى سطح المطبخ فقالت الحمامة اني أرى هذا البيت ليس فيه موضع مدخل فاحفر لي بمنقارك قدر ما أدخل فان منقاري يضعف عن ذلك فحفر الغراب في سقف البيت بمنقاره حتى دخلت فيه الحمامة وتوسطت في البيت فأعجبهم حسن خلقها وصفاء لونها فجعل لها خازن المطبخ موضعاً تأوي اليه فلبثت في ذلك البيت قريرة عين فسادها الغراب ما هكذا قدّرت فيك فقالت الحمامة لو وفيت لك حلّ بي غدرك وان القوم عرفوا وفائي وحسن جواري وعرفوا غدرك وقلة وفائك ونكث عهدك فهذا مثلي ومثلك يا ابنة السائس اني لو وفيت لك ارداني غدرك وقتلني مكرك . قالت ابنة السائس أيتها السيدة ان الذي سمعت مني كان لشدة الأنفة فأردت أن أنفي عن نفسي الذي أردت من انكاحي خادمك فلاناً . قالت الهندية لا بد من ذلك . فقالت ابنة السائس من اعتاد معالي الأمور لم تطب نفسه بأسافلها الآن استعذبت الموت فعمدت الى سُمّ كان معها فقذفته في فيها فخرت ميتة ووفت الهندية لزوجها فأفلحا .. ومنهن شيرين امرأة ابرويز فان شيرويه بن ابرويز لما قتل أباه وتوطد له الملك بعث الى شيرين يدعوها الى نفسه فامتنعت عليه وأبت أن تجيبه الى ذلك فغصبها ضياعها وعقارها وذخائرها وأموالها وقذفها بكل فاحشة ورماها بكل معضلة فلما بلغها ذلك هان عليها ما أخذه من أموالها مع ما رماها به فبعثت اليه وقالت ايها الرجل ان لم يكن مما سألت بد فاقض لي ثلاث حوائج حتى أتابعك على ما تريد فقال وما هذه الحوائج قلت احدها ان تردّ عليّ ضياعي وأموالي والثانية أن تصعد منبرك بمحضر مرازبتك وأساورتك وعظماء أهل مملكتك وتبرأ مما قذفتني به والثالثة ان أباك أودعني وديعة فتأمر أن يفتح لي باب الناووس حتى أردها عليه فاجابها الى ذلك وأمر بفتح باب الناووس فلما مسها خاتم وفيه سُمّ ساعة فنزته في فيها وعانقت قبر زوجها فماتت

﴿ ضـدّه ﴾

قيل .. كان لكسرى ابرويز خال يقال له بسطام فخالف على كسرى وجمع جمعاً كثيراً وواقع ابرويز فلما أعيت ابرويز الحيلة فيه دعا بكردي أخي بهرام جوبين ويقال ان كردياً كان غلاماً له رباه وبلغ منه مبلغ الرجال وكان من خاصته والناصحين له فقال له قد ترى ما نزل بنا من هذا العدو بسطام وقد رأيت رأياً ان طابقتني عليه رجوت الظفر . قال كردي وما ذاك أيها الملك اخبرني فما شيء يزيدك الله به عزاً ويزيد أعداءك به ذلاً إلّا بادرت اليه بنصح وصدق لعظيم حقك ووجوب طاعتك . قال له كسرى قد عرفت حال كردية أختك امرأة بسطام وجراءة قلبها وبسطام يأوي اليها كل ليلة اذا انصرف عن الحرب وانا جاعل لها عهد الله وميثاقه وذمة انبيائه ان هي أراحتني من بسطام واحتالت لي في قتله ان اتزوّجها واجعلها سيدة نسائي وابلغ في اكرامها والسمو بها أفضل ما بلغ ملك بامرأته . قال كردي يا أيها الملك ما أثقك في قدرتها عليه فاكتب اليها بخطك بما رأيت لأوجهه في الكتاب اليها مع امرأتي ارجية فان لها عقلا ورفقا وبصيرة فكتب كسرى بخطه (بسم الله الرّحمن الرّحيم) هذا كتاب لكردية بنت بهرام جشناسب كتبه لها كسرى ابرويز بن هرمز ان لك عندي عهد الله وذمته وذمة انبيائه ورسله ان أنت قتلت بسطام وارحتيني منه ان أتزوج بك وأجعلك سيدة نسائي وأبلغ من كرامتك ما لا يبلغ ملك من الملوك لأحد وأشهد الله على ذلك وكفى بالله شهيداً وكتب كسرى بخطه وختمه بخاتمه يوم كذا من شهر كذا فسارت ارجية حتى دخلت عسكر بسطام كهيئة الزائرة لكردية بالنظر اليها وكان بينهما قرابة فلما جاءت وسكنت دفعت اليها كتاب كسرى وقالت لها يا ابنة عم اجيبي الملك الى ما سألك واعنمي بذلك الرجوع الى وطنك فرغبت لشدة شوقها الى اهلها فاجابتها الى ذلك وانصرفت ارجية الى عسكر كسرى وعرفت زوجها ما كان بينها وبين كردية فمضى كردي الى كسرى فاعلمه ثم ان بسطام دخل على كردية فأتته بعشاء فتناول منه ثم اتته بشراب فسقته

وجعلت تحدّثه وتظهر له المحبة حتى مضى ثلث الليل فنام بسطام فلما استثقل نوماً قامت اليه كردية بسيفها فوضعته على ثندوته ثم اتكأت فأخرجته من ظهره فمات وعمدت من ساعتها الى دوابها فحملت حشمها وأثقالها على البغال وخرجت نحو عسكر كسرى وقد كانت وجّهت مع أرجية الى أخيها ان يجلس لها على الطريق فلما وافته سار معها حتى أدخلها على كسرى ففرح بذلك فرحاً شديداً فلما أصبح أصحاب بسطام ورأوه قتيلاً ولوا هاربين على وجوههم فانصرف كسرى الى المدائن فاتخذ لكردية تاجاً مكللاً بالدر وصنوف الجوهر وأعدّ لها وليمة عظيمة دعا فيها جنوده فطعموا وشربوا ثم دعا كردياً أخاها فزوجه أياها ومهرها وأعطاها خاتماً فصه من الكبريت الأحمر يضيء في الليلة الظلماء كما يضيء السراج فلما دخل بها كسرى ونظر الى جمالها وعقلها سُرّ بها وأعطاها الأموال واقطعها الضياع وأكرم أخاها كردياً وولاه أرض فارس وبلغ بهامن رفعه اياها وتشريفه لها ما لم تبلغه امرأة قبلها ولا بعدها ثم ان كردية قالت لكسرى يا سيدي أخرج بنا الى الميدان لألعب بين يديك بالكرة والصولجان فخرج معها الى الميدان وخرجت امرأته شيرين وخواص نسائه ودعا بخيل فأسرجت وركبت وركب هو وجعلت تلاعبه بالصوالج وتناولت السيف وركضت في الميدان ولعبت بالسيف لعباً معجباً ثم أخذت الرمح فلعبت به فقالت شيرين أيها الملك ما يؤمنك من هذه الشيطانة . قال : هيهات انها أعرف بحقنا وأشد حباً لنا من أن نخافها على انفسنا . فلما نزلت قال كسرى : لنا في كل ربع من أرباع مملكتنا قائد في اثني عشر ألف رجل وفي قصري اثنا عشر ألف امرأة وقد جعلتك قائدة عليهن . قالت : يا سيدي ما للنساء والفروسية وانما علينا أن نتزين لك ونتطيب ونسرك بأنفسنا وأردت بما كان مني سرورك وتسلية همومك فأمر كسرى بحمل طعامه وشرابه الى منزلها وبقي عندها اسبوعاً لم يخرج الى الناس ولم يأذن لأحد بالدخول عليه ثم خرج من عندها الى منزل شيرين فأتاه صياد بسمكة عظيمة فأعجب بها وأمر له بأربعة آلاف درهم . فقالت له شيرين : أمرت لصياد بأربعة آلاف درهم فان أمرت بها لرجل من الوجوه قال انما أمر لي بمثل ما أمر للصياد . فقال : كيف أصنع وقد أمرت له . قالت : اذا أتاك فقل له اخبرني عن السمكة أذكر هي أم أنثى فان قال انثى فقل لا نفع عيني

عليك حتى تأتيني بالذكر وان قال ذكر فقل مثل ذلك فلما غدا الصياد على الملك قال له اخبرني عن السمكة أذكر هي أم أنثى ، قال : بل أنثى ، قال : فأتني بذكرها ، فقال : عمّر الله الملك انها كانت بكراً لم تتزوج بعد ، قال الملك : زه زه وأمر له بأربعة آلاف درهم وأمر أن يكتب في ديوان الحكمة : ان الغدر ومطاوعة النساء يورثان الغرم ..

قال وكان الموبذان اذا دخل على كسرى قال : عشت ايها الملك بسعادة الجد ورُزقت على أعدائك الظفر وأُعطيت الخير وجُنبت طاعة النساء ، فغاظ ذلك شيرين وكانت أجمل نساء عصرها وأتمهن عقلا فقالت لكسرى : ايها الملك ان هذا الموبذان قد طعن في السن واست مستغنياً عن رأيه ومشورته وقد رأيت لحاجتك اليه ان أهب له مسكدانة جاريتي وقد عرفت عقلها وجمالها فان رأيت أن تسأله قبولها فافعل ، فكلم كسرى الموبذان في ذلك ، فهش للجارية لمعرفته بجمالها وفضلها فقال : قد قبلتها أيها الملك لايثارها إياي بافضل جواريها ، فقالت شيرين لمسكدانة : اني أريد ان تأتي هذا الشيخ فتبدي له محاسنك وتجيدي خدمته فاذا هش لمضاجعتك فامتنعي عليه حتى توكفيه وتركبيه وتعلميني الوقت الذي يتهيأ لك ذلك حتى لا يعود أن يزيد في تحية الملك ــ ووُقيت طاعة النساء ــ فقالت مسكدانة : افعل يا سيدتي ، ثم انطلقت الى الشيخ فصارت عنده في داره التي يحاذيها من قصر الملك فجعلت تخدمه وتبره وتظهر له الكرامة وهي مع ذلك تبرز له محاسنها وتكشف له عن صدرها ونحرها وتبدي له ساقيها وفخذيها فارتاح الموبذان اليها وشرح صدره لمضاجعتها فجعلت تمتنع عليه فيزداد في ذلك حرصاً فلما ألح عليها قالت له : ايها القاضي ما انا بمجيبتك الى ما سألت حتى أوكفك وأركبك فان اجبتني الى ذلك صرت طوع يدك فيما تريد وتدعو اليه من مسرتك فامتنع عليها اياماً وبقيت تتزين له بزينتها وتكشف له عن محاسنها حتى عيل صبره فقال لها : افعلي ما احببت ، فهيأت له برذعة صغيرة وإكافاً صغيراً وحزاماً وثفراً وأقامته عرياناً على اربع ووضعت على ظهره البرذعة والاكاف وجعلت الثفر تحت خصييه وهي قائمة وركبته وهي تقول خر خر وأرسلت الى سيدتها شيرين تعلمها بذلك فقالت شيرين للملك : اصعد بنا الى ظهر بيت الموبذان لننظر من الروزنة ما يكون بينه وبين الجارية فصعدا

ونظرا فاذا هي قد ركبته فوق الاكاف ، فناداه كسرى : ويحك أي شئ هذا ، فرفع الموبذان رأسه ونظر الى الروزنة ورأى الملك فقال : هو ما كنت أقول لك في اجتناب طاعة النساء ، فضحك كسرى وقال : قبّحك الله من شيخ وقبّح مستشيرك بعد هذا .

حديث الزّباء ومنهن الزباء واسمها هند وملكت الشام بعد عمها الضيزن وكان جذيمة الأبرش قتل عمها فبعث اليها جذيمة يخطبها فأظهرت البشر والسرور لرسوله وكتبت اليه بالقدوم عليها لتزوّجه نفسها فاستشار نصحاءه فقالوا : أيها الملك ان تزوجت بها جمعت ملك الشام وملك الجزيرة الى ملكك ، فاستخلف ابن أخيه عمرو بن عديّ وسار في ألف فارس من خاصته فلما انتهى الى مكان يسمى بقّة وهو حدّ مملكتها ومملكته نزل في ذلك المكان واستشار أصحابه أيضا في المسير اليها والانصراف فزيّنوا له الإلمام بها وقالوا : انك أن انصرفت من ههنا نزله الناس منك على جبن ووهن ، فدنا منه مولى له يقال له قصير بن سعد فقال له : ايها الملك لا تقبل مشورة هؤلاء وانصرف الى مملكتك حتى يتبين لك أمرها فانها امرأة موتورة ومن شأن النساء الغدر ، فلم يحفل بقوله ومضى حتى اقتحم مملكتها فقال قصير — ببقّة صُرِمَ الأمر — ثم أرسلها مثلا ، فلما بلغ المرأة قدومه عليها أمرت جنودها فاستقبلوا الملك فقال قصير : ايها الملك اني رأيت جنودها لم يترجلوا لك كما يترجل للملوك ولست آمن عليك فاركب العصا وانج بنفسك — والعصا كانت فرساً لجذيمة لا يشق غبارها — فلم يعبأ جذيمة بقوله وسار حتى دخل المدينة وأمرت هند الزباء باصحابه ان ينزلوا فأنزلوا وأخذت منهم أسلحتهم ودوابهم وأذنت لجذيمة فدخل عليها وهي في قصر لها ولم يكن معها في قصرها ألا الجواري فأومأت اليهن بأن يأخذنه واجتمعن عليه ليكتفنه فامتنع عليهن فلم يزلن يضربنه بالأعمدة حتى أثخنه وكتفنه ثم دعت بنطع فاجلسته فيه وكشفت عن عورتها فنظر جذيمة فاذا لها شعرة وافية فقالت : كيف ترى عروسك أشوار عروس أم ما ترى ، قال : أرى بظراً ناتئاً ونبتاً فاشياً ولا أعلم ما وراء ذلك ، قالت : اما انه ليس من عدم المواسي ولا لقلة الأواسي ولكنه شيمة من أناسي ثم أمرت به فقطعت عروقه فجعلت دماؤه تشخب في النطع فقالت : لا يحزنك ما ترى فانه دم هراقه أهله فأرسلتها مثلا ، واحتال قصير للمصاحتي

وصل اليها وركبها ثم دفعها فجعلت تهوى به كأنها الريح وكان المكان الذي قُصد فيه جذيمة مشرفاً على الطريق فنظر جذيمة اليه وقد دفع الفرس فقال : لله حزم على رأس العصا فلم تزل دماؤه تشخب حتى مات ، ثم أمرت بأصحابه فقتلوا بأجمعهم وكان عمرو بن عدي يركب كل يوم من الحيرة فيأتي طريق الشام يتجسس عن خبره وحاله فلم يبلغه أحد خبره فبينا هو ذات يوم في ذلك اذ نظر الى فرس مقبل على الطريق فلما دنا منه عرف الفرس وقال : يا خير ما جاءت به العصا فذهبت مثلا فلما دنا منه قصير قال له : ماوراءك قال : قتل خالك وجنوده جميعا فاطلب ثارك ، قال : وكيف لي بها وهي أمنع من عقاب الجو ، فذهبت مثلاً ثم ان قصيراً أمر بأنف نفسه فجدع ثم ركب وسار نحو الزباء فاستأذن عليها فقيل لها ان مولى لجذيمة وقهرمانه واكرم الناس عليه قد اتاك مجدوعا فأذنت له فدخل عليها قالت : من صنع بك هذا ، قال : ايتها الملكة هذا فعل عمرو بن عدي اتهمني وتجنى علي الذنوب وزعم اني أشرت على خاله بالمصير اليك حتى فعل بي ما ترين ولم آمنه ان يقتلني فخرجت هاربا اليك وقد أتيتك لأكون معك وفي خدمتك ولي جداء وعندي غناء ، قالت : نعم اقم فعندي لك ما تحب وولته امرها فخف لها ورأت منه الرشاقة فيما أسندته اليه فأقام عندها حولا ثم قال لها : ايتها الملكة ان لي بالعراق مالا كثيراً فاذا أذنت لي في الخروج لجلبه فأذنت له فدفعت اليه مالا كثيراً وأمرته أن يشتري لها ثيابا من الخز والوشي ولآلئ وياقوتاً ومسكا وعنبرا والنجوجا فانطلق حتى اتى عمرا فأخبره فاخذ منه ضعفي ما لها وانصرف نحوها فاسترخصت ما جاء به وردته الثانية والثالثة فكان ياخذ في كل مرة مثل أضعاف مالها فيشتري لها جميع ما تريد فاسترخصته ووقع قصير بقلبها فاستخلفته ثم بعثته في الدفعة الرابعة بمال عظيم وأمرته ان يشتري أثاثاً ومتاعا وفرشاً وآنية فانطلق الى عمرو فقال : قد قضيت ما علي وبقي ما عليك ، فقال وما الذي تريد ، قال : اخرج معي في ألفي فارس من خدك وكونوا في أجواف الجواليق على كل بعير رجلان فانتخب عمرو ألفي فارس من أصحابه فخرج وخرجوا معه في الجواليق كل رجل بسيف وكان يسير النهار فاذا أمسى الليل فتح الجواليق ليخرجوا ويطعموا ويشربوا ويقضوا حوائجهم حتى اذا كان بينه وبين مدينتها مقدار ميل تقدم

قصير حتى دخل عليها وقال : أيتها الملكة اصعدي على القصر لتنظري ما آتيتك به ، فصعدت فنظرت الى ثقل الأحمال على الجمال فقالت

ما للجمال مشيها وئيدا ... أجندلاً يحملن أم حديدا

أم صرفاناً بارداً شديدا

فأجابها قصير سراً وقال

بل الرجال جثما قعودا

فقال : لما عليها من المتاع الثقيل النفيس فأمرت بالأحمال فادخلت قصرها وكان وقت المساء فقالت : اذا كان غداً نظرنا الى ما أتينا به ، فلما جن عليهم الليل فتحوا الجوالق وخرجوا فقتلوا جميع من في القصر وكان لها سرب قد اعدته للفزع والهرب ان حل بها روع تخرج الى الصحراء وقد كان قصير عرف ذلك المكان ووصفه لعمرو فبادر عمرو الى السرب فاستقبلته الزباء فولت هاربة نحو السرب فاستقبلها بالسيف فمصت فصها وكان مسموما وقالت بيدي لا بيدك يا عمرو ولا بيد العبد ، فقال عمرو : يده ويدي سواء وفي كليهما شفاء وضربها بسيفه حتى قتلها ، وأقبل قصير حتى وقف عليها فجعل يدخل سيفه في فرجها ويقول

ولو رأوني وسيفي يوم أدخله ... في جوف زباء ماتوا كلهم فرحا

وغنم عمرو وأصحابه من مدينتها أموالاً جليلة وانصرفوا الى الحيرة فكان الملك بعد خاله جذيمة وعمرو هذا هو جد النعمان بن المنذر بن عمرو بن عدى ،، ومنهن صاحبة الجعد بن الحسين ابي صخر بن الجعد وكان جعد قد طعن في السن وكان يكنى أبا الصموت وكان له وليدة سوداء فقالت يا أبا الصموت زعم بنوك أن يقتلوني اذا أنت مت قال : ولم ذاك ، قالت : مالي اليهم ذنب غير حبك فاعتقني فأعتقها فبقيت يسيراً ثم قالت يا أبا الصموت هذا عرابة من أهل عمان يخطبني ، قال : ما كان هذا ظني بك ، قالت : انا أريد ماله لك ، فقال : ائتيني به فجاءت به فزوجها منه فولدت منه وقربته من مال

جعد وكانت تأتي الجعد فتخضب رأسه ثم قطعته فقال الجعد

أَبلغْ لديكَ بني عمرٍ مُغَلْغَلةً ... عوفاً وعمراً فما قولي بمردودِ

بأنّ بيتيَ أمسى فوقَ داهيةٍ ... سوداءَ قد وعدتني شرَّ موعودِ

تُعطي غرابةَ بالكفينِ مختضباً ... من الخلوقِ وتُعطيني على العودِ

أمسى غرابةُ ذا مالٍ وذا ولدٍ ... من مالِ جعدٍ وجعدٌ غيرُ محمود

ومنهن . امرأة مروان بن الحكم وكانت أم خالد بن يزيد بن معاوية وهي ابنة هشام ابن عتبة فاراد مروان الخروج الى مصر فقال لخالد : اعرني سلاحك فأعاره فلما رجع قال له خالد رُدّ عليّ سلاحي فأبي عليه وكان مروان فحاشاً فقال له يا ابن الربوخ الرطبة فجاء خالد الى أمه فقال هذا ما صنعت بي سبّني على رؤس الملأ وقال لي كيت وكيت قالت : اسكت فاني اكفيك أمره . فجاء مروان فرقد عندها فأمرت جواريها فطارحن عليه الشواذكين — يعني الملاحف — ثم غططنه حتى قتلنه وخرجن يصحن : وا أمير المؤمنيناه فدعا عبد الله بامرأة أبيه ليقتلها فقالت ان الذى يبقى عليك من العار اعظم من قتل أبيك . قال : وما ذاك . قالت : يقول الناس ان أباك قتلته امرأة . فأمسك عنها

محاسن مكر النساء

ذكروا ان الحجاج بن يوسف ارق ذات ليلة فبعث الى ابن القرّية فقال : اني أرقت فحدثني حديثاً يقصر عليّ طول ليلي وليكن من مكر النساء وفعالهن . فقال : أصلح الله الأمير ذكروا ان رجلا يقال له عمرو بن عامر من أهل البصرة كان معروفا بالنسك والسخاء وكانت له زوجة يقال لها جبلة وله صديق من النساك فاستودعه عمرو ألف دينار وقال : ان حدث بي حادثة ورأيت أهلي محتاجين فاعطهم هذا المال فعاش ما عاش ثم دُعي فأجاب فمكثت جبلة بعده حيناً ثم ساءت حالها وأمرت خادمتها يوماً

ببيع خاتمها لغداء يوم أو عشاء ليلة فبينا الخادمة تعرض الخاتم على البيع اذ لقيها الناسك صديق عمرو فقال : فلانة . قالت : نعم . قال : ما حاجتك ، فأخبرته بسوء الحال وما اضطرت اليه مولاتها من بيع خاتمها . فهملت عيناه دموعا ثم قال : ان لعمرو قبلي ألف دينار فاعلمي بذلك صاحبتك . فأقبلت الجارية ضاحكة مستبشرة وهي تقول : رزق حلال عاجل من كد مولاي الكريم الفاضل . فلما سمعت مولاتها ذلك سألتها عن القصة فاخبرتها فخرت ساجدة وحمدت ربها وبعثت بالجارية الى الناسك فأقبل الناسك ومعه المال فلما دخل الدار كره أن يدفع المال الى أحد سواها فخرجت فلما نظر الى جمالها وكمالها أخذت بمجامع قلبه وفارقه النهى وذهب عنه الحياء وأنشأ يقول

قد سلبت الجسم والقلب معا وبريت العظم مما تلحظين

فأرددي قلب عميد وأقبلي صلة الضعفين مما ترتجين

فأطرقت جميلة أقوله طويلا ثم قالت : ويحك ألست المعروف بالنسك المنسوب الى الورع ، قال : بلى ولكن نور وجهك سل جسمي فتداركيني بكلمة تقيمين بها أودي فهذا مقام الالتذذ بك . قالت أيها المرائي المخادع اخرج عني مذموما مدحورا فخرج عنها وقد هام قلبه واضحت جميلة تعمل الحيلة في استخراج حقها فأتت الملك ترفع اليه ظلامتها فلم تصل اليه فأتت الحاجب فشكت اليه فأعجب بها اعجابا شديدا وقال : ان لوجهك صورة ارفعها عن هذا ولا يجمل بمثلك الخصومة فهل لك في صدق مالك في ستر ورفق . فقالت سوأة لامرأة حرة تميل الى ريبة فانصرفت الى صاحب الشرطة فأنهت ظلامتها اليه فأعجب بها وقال : ان حجتك على الناسك لا تقبل إلّا بشاهدين عدلين وأنا مشتر خصومتك ان انت نزلت عند مسرتي فانصرفت عنه الى القاضي فشكت اليه فأخذت بلبه وكاد القاضي يجن اعجابا بها وقال ياقرة العين انه لا يزهد في أمثالك فهل لك في مواصلتي وعناء الدهر فانصرفت وباتت تحتال في استخراج حقها فبعثت الجارية الى نجار فعمل لها تابوتا بثلاثة أبواب كل منهم منفرد ثم بعثت الجارية الى الحاجب أن يأتيها اذا أصبح والى صاحب الشرطة ان يأتيها ضحوة والى القاضي أن يأتيها اذا تعالى النهار والى

الناسك أن يأتيها اذا انتصف النهار فأتاها الحاجب فاقبلت عليه تحدثه فما فرغت من حديثها حتى قالت لها الجارية صاحب الشرطة بالباب فقالت للحاجب ليس في البيت ملجأ الا هذا التابوت فادخل أي بيت شئت منه فدخل الحاجب بيتا من التابوت فأقفلت عليه ودخل صاحب الشرطة فاقبلت جميلة عليه تضاحكه وتلاطفه فما كان باسرع من أن قالت الجارية القاضي بالباب فقال صاحب الشرطة اين أختبي فقالت لا ملجأ الا هذا التابوت وفيه بيتان فادخل أيهما شئت فدخل فاقفلت عليه فلما دخل القاضي قالت مرحبا وأهلا وأقبلت عليه بالترحيب والتلطيف فبينما هي كذلك اذ قالت الجارية الناسك بالباب فقال القاضي ما ذا ترين في رده فقالت مالي الى رده سبيل قال فكيف الحيلة قالت اني مدخلتك هذا التابوت ومخاصمته فاشهد لي بما تسمع واحكم بيني وبينه بالحق قال نعم فدخل البيت الثالث فاقفلت عليه ودخل الناسك فقالت له مرحبا بالزائر الجاني كيف بدا لك في زيارتنا قال شوقا الي رؤيتك وحنينا الى قربك قالت فالمال ما تقول فيه اشهد الله على نفسك برده أسبغ رأيك قال اللهم اني أشهدك ان جميلة عندي الف دينار وديعة زوجها فلما سمعت ذلك هتفت بجاريتها وخرجت مبادرة نحو باب الملك فانهت ظلامتها اليه فأرسل الملك الى الحاجب وصاحب الشرطة والقاضي فلم يقدر على واحد منهم فقصه لها وسألها البينة فقالت يشهد لي تابوت عندي فضحك الملك وقال يحتمل ذلك لجمالك فبعث بالعجلة فوضع التابوت فيها وحمل الى بين يدي الملك فقامت وضربت بيدها الى التابوت وقالت أعطي الله عهدا لتنطقن بالحق وتشهدن بما سمعت أو لاضرمنك نارا فاذا ثلاثة أصوات من جوف التابوت تشهد على اقرار الناسك لجميلة بألف دينار فكبر ذلك على الملك فقالت حيلة لم أجد في المملكة قوما أوفى ولا أقوم بالحق من هؤلاء الثلاثة فأشهدتهم على غريمي ثم فتحت التابوت وأخرجت الثلاثة نفر وسألها الملك عن قصتها فاخبرته وأخذت حقها من الناسك . فقال الحجاج : لله درها ما احسن ما احتالت لاستخراج حقها .. قال وكان يعقوب بن يحيى المدائني ويحيى الكاتب كاتب سهل بن رستم يتحدثان الى مهدية جارية سليمان بن الشاعر فقال يعقوب يوما ليحيى انا اشتهي ان أرى بطن مهدية فقال يحيى ما تجعل لي ان انا احتلت لك بحيلة حتى تراه قال ما شئت قال برذونك هذا

قال : نعم ، قال : فتوثق منه وأتى مهدية فقال لهـا كان لي برذون موافق فاره فنفق وأنت لو شئت لحملتني على برذون فاره ، قالت : انا أفعل وأشتريه لك بما بلغ الثمن ، قال : أنت قادرة عليه بغير الثمن ، قالت : كيف ذلك ، فأخبرها بالقصة فقالت : قـد حملك الله على البرذون وارجعك النظر الى بطن حسن فاذا كان غداً فتعال انت ويعقوب فاجلسا فان سليمان يبعث بوصيفته فلانة كثيراً فاذا فعل ذلك وجئت انا فقل أنت يامهدية لو علمت ما صنع فلان لدللته ، قال : نعم ، فلما جاءت مهدية قال لها ان أمس سليمان مع وصيفته اشنع مما تقدرينه ، فوثبت مستشيطة غضباً وقالت : مثلك يا ابن الساحر يفعل هذا مرة بعد أخرى وشقت جيبها الى أن جاوزت أسفل البطن وهي قائمة فنظر الى بطنها فتأملناها ساعة وهي تشتم ابن الساحر فقام اليها يترضاها ويسكنها ويعقوب يقول وابرذوناه فأخذه منه يحيي .. وعن المساور قال كان عندنا بالأهواز رجل متأهل وكانت له أرض بالبصرة وكان في السنة يأتيها مرة أو مرتين فتزوج بها امرأة ليس لها إلا عم في الدار وكان يكثر الانحدار بعد ذلك الى البصرة فانكرت الأهوازية حاله فدست من يعرف خبره ثم احتالت وبعثت من أورد خطاً لعم المرأة البصرية وسألت من كتب كتابا من عم البصرية الى زوجها على خطه بأن ابنة أخيه توفيت ويسأله القدوم لأخذ ماخلفت ودست الكتاب مع انسان شبيه بالملاح فلما أتى بالكتاب خرج اليه فدفع الكتاب ولم يشك ان امرأته البصرية ماتت فقال لامرأته : اجعلي لي سفرة ، قالت : ولم ، قال : اريد الخروج الى البصرة ، قالت وكم هذه البصرة قد رابني أمرك وما أشك ان هنالك لك امرأة ، فأنكر ذلك فقالت ان كنت صادقا فاحلف بطلاق كل امرأة لك غيري ، فقال في نفسه تلك قد ماتت وليس علي ان احلف بطلاقها فارضي هـذه فحلف لها بطلاق كل امرأة له سوى الأهوازية ، فقالت الأهوازية يا جارية هاتي السفرة فقد أغناه الله عن الخروج ، قال وما ذلك ، قالت قد طلقت الفاسقة وقصت عليه القصة فعرف مكرها وأقام

مساوي مكر النساء

وذكروا .. ان لقمان بن عاد صاحب لبد خرج يجول في قبائل العرب فنزل بحي من العماليق فبينا هو كذلك اذ ظعن القوم فظعن معهم فسمع بامرأة تقول لزوجها فلان لو حملت سفطي هذا حتى تجاوز به الثنية فان فيه من متاع النساء ما لا بد لهن منه وامل البعير يقع فينكسر وذلك من لقمان بمنظر ومسمع فقال افعل فاحتمله على عاتقه فلما انحدر وجد بللا في صدره فشمه فاذا هو ريح بول قد جاء من السفط الذي على رأسه ففتح السفط فاذا هو بغلام قد خرج منه يعدو . فلما نظر لقمان قال يا احدى بنات طبق — وبنات الطبق أن تأتي الحية السلحفاة فتلتوي عليها فتبيض بيضة واحدة فتخرج منها حية شبرا او نحوه لا تضرب شيئا الا أهلكته — فتبعه لقمان حتى لحقه فجاء به يحمله واجتمع الناس اليه وقالوا يا لقمان احكم فيما ترى فقال ردوا الغلام في السفط يكون له مثوى حتى يرى ويعلم ان العقاب فيما أتى وتحمله المرأة بعمامها حلوها ما حملت زوجها ثم شدوه عليها فان ذلك جزاء مثلها فعمدوا الى الغلام فشدوه في السفط ثم شدوه في عنق المرأة ثم تركوهما حتى ماتا ثم فارقهم لقمان فأتى قبيلة أخرى فنزل بهم فبينا هو كذلك اذ بصر بامرأة قد قامت عن بنات لها فسألت احداهن أين تذهبين قالت الى الخلاء ثم خرجت الى بيوت الحي فمار ضهار جل فضيا جميعا ولقمان ينظر فوقع الرجل عليها وقضى حاجته منها فقالت المرأة هل لك أن أتماوت على أهلي فانما هو ثلاثة ايام اكون في رجمي ثم تجيء فتستخرجني فتتمتع فقال الرجل افعلي وكان اسمه الخلي وزوج المرأة اسمه الشجي فقال لقمان — ويل للشجي من الخلي — فذهبت مثلا فلم تلبث المرأة الا أياما حتى تماوتت على أهلها وكان الميت منهم اذا مات تجعل فوقه الحجارة ولم تكن اذ ذاك قبور فلما كان اليوم الثالث جاءها خليلها فأخرجها وانطلق بها الى منزله وتحول الحي من ذلك المكان وخافت المرأة أن تعرف فجزت شعرها وتركت لنفسها جمة فبينا هم كذلك اذ خرج بنات المرأة فاذا هن بامرأة جالسة ذات جمة فقالت الصغرى أمي والله . قالت الوسطى صدقت والله . قالت المرأة

كذبتما ما أنا لكما بأم . قالت الكبرى صدقت والله لقد دفنا أمنا غير ذات حجة ما كان لأمنا إلا لة . قالت الصغرى عبك أنكرت أعلاها أما تعرفين أخراها فتعلقت بها فقالت الأم صغراهن مُرّاهن فذهبت مثلا واجتمع الناس وجاء زوج المرأة فارتفعوا الى لقمان فقالوا احكم بيننا . فقال لقمان * عند جهينة الخبر اليقين *

فذهبت مثلا وكان يلقب بجهينة فقال لقمان للمرأة أخبرك أم تخبريني . قالت بل قل، قال أنك قلت لهذا انى متماوتة على أهلي فاذا دفنوني في رجمي جئت فاستخرجتني وأتنكر لهم فلا يعرفونني فتنعم ما بقينا . فاعترفت المرأة فقيل للقمان احكم بيننا . قال ارجموها كما رجمت نفسها . فحفر لها حفرة وألقوها فيها ورجموها وكانت أول مرجومة في العرب ثم ان زوجها تعلق بالحي فقال يالقمان هذا فرق بيني وبين أهلي . فقال لقمان لكل ذكر أنثى ولكل أول آخر فرّق بينك وبين أنثاك وفرّق بين ذكره وبين أنثيه فقُطع ذكره فمات

—•••••—

محاسن الغيرة

روى انه اذا أُغير الرجل في أهله أو في بعض مناكحه أو مملوكته فلم يغر بعث الله جل اسمه اليه طيراً يقال له القرقفنة حتى يسقط على عارضة بابه ثم يمهله أربعين صباحا يهتف به ان الله غيور يحب كل غيور فان هو تغير وأنكر ذلك والا طار حتى يسقط على رأسه فيخفق بجناحيه على عينيه ثم يطير عنه فينزع الله منه روح الايمان وتسميه الملائكة الديوث .. وقال النبي صلى الله عليه وسلم باعدوا بين أنفاس الرجال والنساء فان كانت المعاينة واللقاء كان الداء الذي لا دواء له .. وروى ان امرأة ذات عقل ورأي حملت من فاجر فقيل لها في ذلك فقالت قرب الوساد وطول السواد . تريد قرب مضجعه منها وطول مسارّته اياها .. وقال صلى الله عليه وسلم النساء حبائل الشيطان .. وقال سعيد ابن مسلم لأن يرى حرمتي ألف رجل على حال تكشف وهي لا تراهم أحب الي من

ان ترى حرمتي رجلا مواجهة .. وقيل لعقيل بن عُلّفة ألا تزوج بناتك ، فقال اجيعهن فلا يأشرن واعريهن فلا يظهرن ، فوافق احدى كلمتيه قول النبي صلى الله عليه وسلم : الصوم وجاء السيئة ، والأخرى قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه : استعينوا عليهن بالعرى .. وغاية أموال الرجال وكسبهم وهمهم وما يملكون انما هو مصروف الى النساء فلو لم يكن الا ما يعدّ لهن من الطيب والحلي والكساء والفرش والآنية كان في ذلك ما كفى ولو لم يكن الا الاهتمام بالحفظ والحراسة وخوف العار من خياناتهن والجناية عليهن لكان في ذلك المؤونة العظيمة والمشقة الشديدة غير ان أولى الأشياء بالرجال حفظهن وحراستهن فليس شيء لهن أصلح من مباعدتهن عن الرجال وقمعهن بالعري والجوع ومن حق الملوك ان لا يرفع أحد من خاصتها وبطانتها رأسه الى حرمة لها صغرت أم كبرت فكم من قيل وطيء هامة عظيم وبطنه حتى بدت أمعاؤه وكم من شريف وعزيز قوم قد مزقته السباع ونهشته وكم من جارية كريمة على قومها عزيزة في أهلها قد أكلها حيتان البحر وطير الماء وكم من جمجمة كانت تصان وتعل بالمسك والبان قد ألقيت بالعراء وغيبت جثتها في الثرى بسبب الحرم والخدم والغلمان ولم يأت الشيطان أحداً قط من باب حتى يراه بحيث من يهوى مستقيم اللحم والأعضاء هو ابلغ من مكيدته وأحرى ان يرى فيه أمنية من هذا الباب اذ كان من ألطف مكائده وأدق وساوسه وأجل تزايينه .. وقيل لابنة الخسّ لِمَ زنيت بعبدك ولم تزن بحرّ . قالت طول السواد وقرب الوساد .. وقيل لو أن أقبح الناس وجها وأنتنهم رائحة وأظهرهم فقراً وأسقطهم نفساً وأوضعهم حسباً قال لامرأة تمكن من كلامها ومكنته من سمعها : والله يا مولاتي لقد أسهرت ليلي وأرّقت عيني وشغلتني عن مهم أمري فما أعقل أهلا ولا ولدا ولو كانت أبرع الناس جمالا وأكملهم كمالا وأملحهم ملاحة وان كانت عينه تدمع بذلك ثم كانت تكون مثل أم الدرداء او معاذة العدوية أو رابعة القيسية لمالت اليه وأحبته .. ومنها قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه اضربوهن بالعرى فان النساء يخرجن الى الأعراس ويقمن في المناحات ويظهرن في الأعياد ومتى كثر خروجهن لم يعدمْنَ من أن يرين من هو من شكلهن ولو كان بعلهن أتمّ حسناً وأحسن وجهاً والذي رأت أنقص حسناً لكان ما لا تملكه أطرف عندها مما

تملكه ولكان ما لم تملكه أو تستكثر منه اشد لها اشتغالا واجتذابا .. قال الشاعر

وَ للعينِ ملهًى بالنّساءِ ولم يَقُدْ هوَى النّفسِ شيءٌ كاَقتِيادِ الطّرائفِ

وكانت الأكاسرة اذا امتحنت الخاصة من أصحابها وخف الواحد عنهم على قلب الملك وكان الرجل عالماً بالحكمة موضعاً للامانة في الدماء والفروج والأموال على ظاهره فيأمره ان يتحول الى منزله وان تفرغ اليه حجرة وان لا يتحول اليه بامرأة ولا جارية ولا حرمة ويقول له أريد بك الانس في ليلي ونهاري ومتى كان معك بعض حرمك قطعك عني فاجعل منصرفك الى منزلك في كل خمس ليال فاذا تحول الرجل أنس به وخلا معه وكان آخر من ينصرف من عنده فيتركه على هذه الحالة أشهراً .. امتحن ابرويز رجلا من خاصته بهذه المحنة ثم دس اليه جارية من بعض جواريه ووجه معها اليه بألطاف وهدايا وأمرها ان لا تقعد عنده في أول مرة فأتته بألطاف الملك وقامت بين يديه ولم تلبث أن انصرفت حتى اذا كانت المرة الثانية امرها ان تقعد هنيهة وان تبدي عن محاسنها حتى يتأملها ففعلت ولاحظها الرجل وتأملها وجعل الرجل يحد النظر اليها ويسر بمحادثتها ومن شأن النفس أن تطلب بعد ذلك الغرض من هذه المطايبة فلما أبدى ما عنده قالت اخاف أن يعثر علينا ولكن دعني حتى أدبر في هذا ما يتم به الأمر بيننا ثم انصرفت فأخبرت الملك بذلك وبكل شيء جرى بينهما فلما كانت المرة الثالثة أمرها أن تطيل القعود عنده وان تحدثه وان أرادها على الزيادة في المحادثة اجابته اليه ففعلت ووجه اليه أخرى من خواص جواريه وبعثها بألطافه وهداياه فلما جاءت قال لها ما فعلت فلانة قالت اعتلت فاربدّ لون الرجل ثم لم تطل القعود عنده كما فعلت الأولى ثم عاودته فقعدت أكثر من المقدار الأول وأبدت بعض محاسنها حتى تأملها وعاودته في المرة الثالثة وأطالت القعود والمضاحكة والمهازلة فدعاها الى ما في تركيب النفس من الشهوة فقالت انا من الملك على خطأ يسيرة ومعه في دار واحدة ولكن الملك يمضي بعد ثلاث الى بستانه الذي بموضع كذا فيقيم هناك فان أرادك على الذهاب معه فاظهر انك عليل وتمارض فان خيرك بين الانصراف الى نسائك أو المقام هنا فاختر المقام واخبره انك

لا تقدر على الحركة فان أجابك الى ذلك جئت من أول الليل فأكون معك الى آخره فسكن الرقيع الى قولها وانصرفت الجارية فأخبرت الملك بكل مادار بينهما فلما كان في الوقت الذي وعدته ان يخرج الملك فيه دعاه الملك فقال للرسول أخبره اني عليل فلما جاءه الرسول وأخبره تبسم وقال هذا أول الشر فوجه اليه محفة يحمل فيها فأتاه وهو معصب فلما بصر به قال والمحفة الشر الثاني فبيّن العصابة فقال والعصابة الشر الثالث فلما دنا من الملك سجد فقال له متى حدثت بك هذه العلة قال هذه الليلة قال فأي الأمرين أحب اليك الانصراف الى نسائك لتمريضك أم المقام ههنا لوقت رجوعي قال المقام ههنا ايها الملك أوفق لقلة الحركة فتبسم ابرويز وقال حركتك ههنا ان تُركت أكثر من حركتك في منزلك ثم أمر له بعصا الزناة التي كان يرسم بها من زنى فأيقن الرجل بالشر وامر ان يكتب ما كان من أمره حرفا حرفا فيقرأ على الناس اذا حضروا وان ينفى الى أقصى مملكته وتجعل العصا في رأس رمح يكون معه حيث كان ليحذر من يعرفه منه فلما خرج الرجل من المدائن متوجها به نحو فارس أخذ مدية كانت مع بعض الموكلين به فجبّ بها ذكره وقال من أطاع عضواً صغيراً من أعضائه افسد عليه جميع أعضائه فمات من ساعته . . وفيما يذكر عن انو شروان انه اتهم رجلا من خاصته في بعض حرمه فلم يدر كيف يقتله لانه لم يجد أمراً ظاهراً يحكم بمثله الحاكم فيسفك به دمه ولا قدر على كشف ذنبه لما في ذلك من الهون على الملك والمملكة ولا وجد عذراً لنفسه في قتله غيلة اذ لم يكن في شرائع دينهم ووراثة سلفهم فدعا الرجل بعد جنايته بسنة في خلوة فقال قد حزبني أمر من أسرار ملك الروم وبي حاجة الى علمها وما أجدني أسكن الى أحد سكوني اليك اذ حللت من قلبي المحل الذي أنت به وقد رأيت أن تحمل لي مالا الى هناك للتجارة وتدخل بلاد الروم فتقيم بها فاذا بعت ما معك حملت مما في بلادهم من تجاراتهم وأقبلت الي وفي خلال ذلك تصغي الى اخبارهم وتطلع الى ما بنا الحاجة الي معرفته من أمورهم وأسرارهم فقال افعل أيها الملك وأرجو أن أبلغ في ذلك محبة الملك ورضاه فامر له بمال وتجهز الرجل وخرج بتجارته فاقام في بلاد الروم حتى باع واشترى وفهم من كلامهم ولغاتهم ما عرف به مخاطباتهم وبعض أسرار ملكهم

وانصرف الى انو شروان بذلك فاراه الايثار به وزاد في بره ورده الى بلادهم وأمره بالمقام والتربص بتجارته ففعل حتى عرف واستفاض ذكره فلم تزل تلك حاله ست سنين حتى اذا كانت السنة السابعة أمر الملك أن تصور صورة الرجل في جام من جاماته التي يشرب فيها وتجعل صورته بازاء صورة انوشروان وتجعل مخاطبا لأنوشروان ومشيراً عليه واليه ويدني رأسه من رأس الملك في تلك الصورة كأنه يساره ثم وهب ذلك الجام لبعض خدمه وقال ان الملوك يرغبون في مثل هذا الجام فاذا أردت بيعه فادفعه الى فلان اذا خرج نحو بلاد الروم بتجارته وقل له يبيعه من الملك نفسه فانه ينفعك فان لم يمكنه بيعه من الملك باعه من وزيره أو بعض خاصته فجاء غلام الملك بالجام وقد وضع الرجل رجله في الركاب فسأله أن يبيع جامه من الملك وان يتخذ عنده بذلك يداً وكان الملك يعز ذلك الغلام وكان من خاصة غلمانه وصاحب شرابه فاجابه الى ذلك وأمر بدفع الجام الى صاحب خزانته وقال احفظه فاذا صرت الى باب الملك فليكن مما أعرضه عليه فلما صار الى باب الملك دفع صاحب الخزانة اليه الجام فعرضه على الملك فيما عرض عليه فلما وقع الجام في يد الملك نظر اليه ونظر الى صورة انو شروان فيه والى صورة الرجل وتركيبه عضواً عضواً وجارحة جارحة فقال للرجل أخبرني هل يصور مع صورة الملك رجل خسيس قال لا قال فهل تصور في آنية الملك صورة لا أصل لها ولا علة قال لا قال فهل في دار الملك اثنان يتشابهان في صورة واحدة حتى يكون هذا كأنه ذاك في الصورة وكلاهما نديما الملك قال لا اعرفه قال له قم قائماً فقام فوجد صورته في الجام فقال له أدبر فادبر فتأمل صورته في الجام فوجدها بحكاية واحدة فضحك ولم يجسر الرجل ان يسأله عن سبب ضحكه اجلالا له واعظاماً فقال ملك الروم الشاة اعقل من الانسان اذ كانت تخفي مديتها وتدفنها وانما اهديت الينا مديتك بيدك فقال للرجل تغديت قال لا قال قربوا له طعاما قال ايها الملك انا عبد والعبد لا يأكل بحضرة الملك قال الملك انت عبد ما دمت عند ملك الروم مطالعاً على أموره متتبعاً لأسراره ملك اذا قدمت بلاد فارس ونديم ملكها اطعموه فأطعم وسقي الخمر حتى اذا ثمل قال من سير ملوكنا ان لا نقتل الجاسوس الا في اعلا موضع نقدر عليه ولا نقتله جائعاً ولا عطشانا

فامر به فاصعد الى سطح كان يشرف منه على كل من كان في المدينة اذا صعد فضربت عنقه هناك وألقيت جثته من ذلك السطح ونصب رأسه للناس فلما بلغ ذلك كسرى أمر صاحب الجرس أن يضرب باجراس الذهب ويمر على دور نساء الملك وجواريه ويقول كل نفس ذائقة الموت كلأحداذا وجب عليه القتل فني الارض يقتل الا من تعرض لحرمة الملك فانه يقتل في السماء فلم يدر أحد من أهل المملكة ما اراد به حتى مات

(ومثله من أخبار العرب) ذكروا انه كان لطسم وجديس ملك يقال له عمليق ظلوم غشوم وكانت لا تزف جارية الى زوجها إلا بدأوه بها فافترعها وردها الى بعلها ان رجلا من جديس تزوج غفيرة بنت غفار عظيم جديس ورئيسها فلما ارادوا ان يهدوها اليه بدأوا بها عمليق فادخلوها عليه ومعها القيان يتغنين ويضربن بالدفوف ويقلن

إبدي بعمليقَ ومَهُ فاركَبي وبادِري الصُّبحَ بأمرٍ معجِبِ

فسوفَ تلقينَ الذي لم تطلُبي ولم يكن من دونه من مذهبِ

فجعلت تقول وهي تزف

ما أحدٌ أذلُّ من جديسِ أهكذا يُفعَلُ بالعروسِ

يرضى بهذا يالقومي حرٌّ من بعدما أهدى وسيقَ المهرُ

لأن يلاقي المرءُ موتَ نفسهِ خيرٌ له من فعلِ ذا بعرسهِ

فلما دخلت عليه افترعها ثم خلّى سبيلها فخرجت ووقفت على اخيها الاسود بن غفار وهو قاعد في نادي قومه وقد رفعت ثوبها عن عورتها وانشأت تقول

أيصلحُ ما يؤتي إلى فتياتكم وأنتمْ رجالٌ كثرةٌ عددُ الرملِ

وترضونَ هذا يالقومي لأختكمْ عشيةَ زُفَّتْ في النساء الى البعلِ

فإنْ أنتمُ لم تغضبوا بعدَ هذه فكونوا نساءً في المنازلِ والحجلِ

ودونكمُ طيبَ النساء وإنما | خلقتمْ جميعاً للتزيّنِ والكحلِ
فلو أننا كنّا رجالاً وكنتمُ | نساءً لكنّا لا نقيمُ على ذحلِ
فقبحاً لبعلٍ ليس فيه حميةٌ | ويختالُ يمشي بيننا مشيةَ الفحلِ
فموتوا كراماً أو أصيبوا عدوّكمْ | بداهيةٍ تورِي ضراماً من الجزلِ
وإلاّ فخلّوا داركمْ وترحّلوا | إلى بلدٍ قفرٍ خلاءٍ من الأهلِ
ولا تجزعوا للحربِ يا قومِ إنها | تقومُ بأقوامٍ شدادٍ على رجلِ
فيهلكُ فيها كلُّ وغدٍ مواكلٍ | ويسلمُ فيها ذو الطعانِ وذو القتلِ

فلما سمعت جديس شعرها أنفت انفاً شديداً وأخذتهم الحمية فتآمروا بينهم وعزموا على اغتيال الملك وجنوده فقالوا ان نحن بادهناهم بالحرب لم نقوَ عليهم لكثرة جندهم وأنصارهم فاتفقوا على ذلك ثم ان الأسود اتى الملك فقال : اني أحب أن تجعل غداءك عندي أنت وجنودك . فقال عمليق ان عدد القوم كثير واحسب أن البيوت لا تسعهم فقال الأسود : فنخرج لهم الطعام الى بطن الوادي فقال لقومه اذا اشتغل القوم بالأكل فسلوا سيوفكم وعملوا على ان تحملوا حملة رجل واحد واقتلوهم عن آخرهم وهيأ الأسود ما احتاج اليه من الطعام وجاء الملك فلما أكب القوم على الأكل بادرت جديس الى سيوفهم ثم حملت على الملك وعلى جنوده والأسود يرتجز ويقول

يا صبحةً يا صبحةَ العروسِ | حتى تمشّتْ بدمٍ جميسِ
يا طسمَ مالقيتِ من جديسِ | هلكتِ يا طسمَ فهيسي هيسي

فقتلوه وجنوده جميعاً .. ومثله المطيون ملك تهامة والحجاز فانه سلك مسلك عمليق في ملك طسم وجديس في أمر النساء فأمر أن لا تزف من اليهود في مملكته امرأة إلا بدأوه بها فلبث على ذلك عدة أحوال حتى زوجت امرأة من اليهود من ابن عم لها وكانت ذات جمال رائع وكانت أخت مالك بن عجلان من الرضاعة فلما أرادوا أن يهدوها

الى زوجها خرجت الى نادى الأوس والخزرج رافعة ثوبها الى سرتها فقام اليها مالك بن العجلان فقال ويحك وما دهاك فقالت ومايكون من الداهية أعظم من ان ينطلق بي الى غير بعلي بعد ساعة فأنف من ذلك انفا شديداً فدعا بزة امرأة فلبسها فلما انطلقوا بالمرأة الى الفطيون صار كواحدة من نسائها اللواتي ينطلقن بها متشبها بامرأة وقد أعد سكينا في خفه فلما دخلت المرأة على الفطيون مال مالك الى خزانة في ذلك البيت فدخلها فلما خرج النساء ودخلت المرأة قام اليها ليفترعها فخرج اليه مالك بالسكين فوجأه فقتله ثم قال لليهود دونكم جنوده فاقتلوهم فاجتمعت عليهم فقتلوهم عن آخرهم

﴿ ومنه أخبار وأمثال ﴾ ذكروا أن اول من قال العجب كل العجب بين جمادى ورجب عاصم بن المقشعر الضبي وذلك ان الخنيفس بن خشرم كان اغير اهل زمانه وأشجعهم وكان لعاصم أخ يقال له عبيدة عزيز في قومه فهوي امرأة كانت تأتي الخنيفس فبلغ الخنيفس ذلك فتواعد عبيدة وركب الخنيفس فرسه وأخذ رمحه وانطلق يتربص عبيدة حتى وقف على ممرّه فاقبل عبيدة وقد قضى من المرأة وطراً وهو يقول

ألا إنَّ الخُنَيفِسَ فاعلَموهُ ... كما سمّاهُ والدُه لَعينُ

بَهيمُ اللونِ مُحتَقرٌ ضَئيلٌ ... لئيماتٌ خلائقهُ ضَنينُ

أيُوعِدُني الخُنَيفِسُ مِن بَعيدٍ ... ولمّا يَلقَ ما أبَضهُ الوَتينُ

لَهَوتُ بجارَتيهِ وحادَ عَنّي ... ويَزعُمُ أنّهُ أنِفٌ شَفونُ

فعارضه الخنيفس وهو يقول

أيا ابنَ المُقشَعِرِّ لقيتَ لَيثاً ... لهُ في جوفِ أيكتهِ عرينُ

تقولُ لهُ صَدَدتَ حِذارَ حَينٍ ... وأنّكَ نَشوُ أبطالٍ مُبينُ

وأنّكَ قد لَهَوتَ بجارَتينا ... فهاكَ عُبيدَ لاقاكَ القَرينُ

ستَعلَمُ أيُّنا أحمي ذِمارًا ... إذا قَصُرَتْ شمالُكَ واليَمينُ

لهوتَ بها لقد أُبدلتَ قبرًا   وباكيةٌ عليكَ لها رَنينُ

فقال عبيدة أذكرك الله وحرمه خشرم فقال والله لاقتلنك فقتله فلما بلغ أخاه خاصما خرج اليه ولبس أطمارا وركب فرسه وكان في آخر يوم من جمادى فأقبل يبادر دخول رجب لانهم كانوا لا يقتلون في رجب أحداً فانطلق حتى وقف بباب خنيفس ليلا وقال أجب المرهوق قال وما ذاك قال العجب كل العجب بين جمادى ورجب واني رجل من ضبة غصب أخ لي امرأة فخرج يستنقذها فقتل وقد عجزت عن قاتله فخرج الخنيفس مغضبا وأخذ رمحه وركب وانطلق معه فلما نحى به عن قومه دنا منه فقنعه بالسيف فابان رأسه ..

ويقال ان أول من قال سبق السيف العذل ضمضم بن عمرو اللخمي كان يهوى امرأة فطلبها بكل حيلة فأبت عليه وطلبها عزيز بن عبيد بن ضمضمة فأتته وتأبت على ضمضم وكان ضمضم من أشد قومه بأسا فاغتاظ لذلك وانطلق ليلة وهو متقلد سيفه حتى صار بمكان يراهما اذا اجتمعا ولا يريانه فلما نام الناس وطال هدو ضمضم اذا العزيز قد أقبل على فرسه وهو يقول

أُمامَ تُوَلّيني وتأْبي بنفسها   علي ضمضم تمساور غمّا الضمضم

وضمضم يسمع فنزل وربط فرسه ومشي الى ناحية خبائها فصدح صدوح الهام وكان آية ما بينهما فخرجت اليه فعانقها وضمضم ينظر ثم واقعها فلما رآهما مشى اليهما بالسيف وهو يقول

ستعلمُ أني لستُ أعشقُ مُبغضاً   فكانَ بنا عنها وعنكَ عزاءُ

وقتله فعلم القوم بضمضم فأخذوه فلما أصبح أبرز الى النادي ليقتل فجعلوا يلومونه على قتله ابن عمه فقال : سبق السيف العذل .. ويقال : أن اول من قال خير قليل وفضحت نفسي فاثرة امرأة مرة الأسدى وكانت من أجمل النساء في زمانها وكان زوجها غاب عنها اعواما فهويت عبداً له حبشياً يرعى ابلها فامرته ان يحضر مضجعها وكان زوجها منصرفا قد نزل تلك الليلة منها على مسيرة يوم فبينا هو يطعم ومعه اصحابه اذ نعق غراب

فأخبره أن امرأته لم تمهر قط ولا تمهر الا تلك الليلة فركب فرسه ومر مسرعا وهو يرجو ان هو منعها تلك الليلة أمنها فيا بقي فانتهى اليها حين قام العبد عنها وندمت وهي تقول خير قليل وفضحت نفسي فسمعها زوجها وهو يرعد لما به من الغيظ فقالت له : ما يرعدك فقال يعلمها انه قد علم : خير قليل وفضحت نفسي فشهقت شهقة خرت ميتة فقتل زوجها العبد وجعل يقول

لَعَمْرُكِ ماتمتادُني منكِ لوعةٌ ولا أنا من وَجدٍ بذِكراكِ أسهدُ

قيل .. وكانت هند بنت عتبة تحت الفاكه بن المغيرة المخزومي وكان الفاكه من فتيان قريش وكان له بيت ضيافة يغشاه الناس من غير إذن فخلا ذلك البيت يوما فضجع الفاكه وهند فيه فخرج الفاكه لبعض حوائجه وأقبل رجل ممن كان يغشى ذلك البيت فولجه فلما رأى المرأة ولى هاربا فرآه الفاكه وهو خارج من البيت فقبل الى هند فضربها برجله وقال من هذا الرجل الذي خرج من عندك قالت ما رأيت أحدا ولا انتبهت حتى نبهتني فقال لها الحقي باهلك فتكلم الناس فيها فقال لها أبوها يابنية ان الناس قد أكثروا فيك فاصدقيني فان كان الرجل في قوله صادقا دسست له من يقتله فتنقطع عنك المقالة وان كان كاذبا حاكمته الى بعض كهان اليمن فحلفت له بما يحلفون به في الجاهلية انه لكاذب فقال عتبة للفاكه يا هذا انك قد رميت ابنتي بأمر عظيم فحاكمني الى بعض كهان اليمن فخرج عتبة في جماعة من بني عبد مناف وخرج فاكه في جماعة من بني مخزوم وأخرجوا معهم هندا ونسوة معها فلما شارفوا البلاد قالوا غدا نرد على الكاهن فتغير لون هند فقال لها ابوها اني أرى ما بك فهلا كان هذا قبل خروجنا قالت لا والله يا ابتاه ما ذلك لمكروه ولكن ستأتي بشرا يخطىء ويصيب فلا نأمن أن يسومني عما يكون فيه سبة علي باقي عمري قال اني سوف اختبره قبل أن ينظر في أمرك فأخذ حبة من حنطة فأدخلها في احليل فرسه وأوكى عليها بسير فلما دخلوا على الكاهن قال له عتبة ما كان مني في طريقي قال ثمرة في كمرة قال احتاج الى أبين من هذا قال حبة بر في احليل مهر قال صدقت فما بال حال هؤلاء النسوة فجعل يدنو من احداهن فيضرب بمنكبها حتى أتى

الى هند فضرب بمنكبها وقال انهيهي غير وسحاء ولا فاحشة وتلدين ملكايقال له معاوية فوثب اليها الفاكه فأخذ بيدها فنزعت يدها من يده وقالت : اليك عني والله لأجهدن ان يكون ذلك من غيرك . فتزوجها أبو سفيان بن حرب فجاءت بمعاوية .. قيل وكان عمر ابن الخطاب رضي الله عنه يعس بنفسه فسمع امرأة تقول

أَلاَ سبيلٌ إلى خمرٍ فأشربَها ... أم هل سبيلٌ إلى نصرِ بن حجّاجِ

إلى فتىً ماجدِ الأخلاقِ ذي كرمٍ ... سهلِ المُحيّا كريمٍ غيرِ ملجاجِ

فقال عمر أما ما دام عمر إماما فلا ، فلما أصبح قال عليَّ بنصر بن الحجاج فأُتي به فاذا هو رجل جميل فقال اخرج من المدينة ، قال : ولم وما ذنبي ، قال : اخرج فوالله ما تساكنني ، فخرج حتى أتى البصرة وكتب إلى عمر رضي الله عنه

لعمري لئن سيّرتني وحرمتني ... ولم آتِ إثماً إنّ ذا لحرامُ

وما ليَ ذنبٌ غيرَ ظنٍّ ظننته ... وبعضُ تصاديقِ الظنونِ إثامُ

وإن غنّتِ الذلفاء يوما بمنيةٍ ... فبعضُ أمانيِّ النساء غرامُ

فظنَّ بيَ الظنَّ الذي لو أتيتُه ... لما كان لي في الصالحين مقامُ

ويمنعني مما تمنّت حفيظتي ... وآباء صدقٍ سالفون كرامُ

ويمنعها مما تمنّت صلاتها ... وبيتٌ لها في قومها وصيامُ

فهذان حالا نافهل أنت مُرجعي ... فقد جبَّ مني غاربٌ وسنامُ

قال .. فردّه عمر بعد ذلك لما وصف من عفته .. وروي أيضا ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يعس بالمدينة ذات ليلة إذ سمع امرأة تهتف وتقول

تطاولَ هذا الليلُ واسودَّ جانبُه ... وأرّقني إذ لا خليلَ أُلاعبُه

فوالله لولا اللهُ لا ربَّ غيرُه ... لزُعزِعَ من هذا السريرِ جوانبُه

ولكنَّ ربي والحياءُ يكُفُّني وأُكرِمُ بعلي أن تُوطَّأ مراكِبُه

قال .. فرجع عمر الى منزله فسأل عن المرأة فاذا زوجها غائب فسأل ابنته حفصة كم تصبر المرأة عن الرجل فسكتت واستحيت واطرقت فقال أربعة أشهر خمسة أشهر ستة أشهر فرفعت طرفها فعلم أنها لاتصبر أكثر من ستة أشهر فكتب إلى صاحب الجيش أن يقفل من الغزو الرجال إذا أتت ستة أشهر إلى أهاليهم .. وغزا رجل من الانصار وله جار يهودي فأتى امرأته واستلقى ذات ليلة على ظهره وانشأ يقول

وأشعثَ غرَّهُ الإسلامُ مني خلوتُ بعرسِهِ ليلَ التمامِ

أبيتُ على ترائبِها ويُضحي على جرداءَ لاحقةِ الحِزامِ

فسمع ذلك جار له فضربه بالسيف حتى قطّعه فبلغ ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال : انشد الله رجلا كان عنده من هذا علم الا قام . فقام الرجل فحدثه . فقال: أحسنت أحسنت . وتمام الابيات

كأنَّ مجامعَ الرَّبلاتِ منها فئامٌ قد جُمِعْنَ إلى فئامِ

﴿ ومنه أخبار الشعراء ﴾ قيل .. لما خرج امرؤ القيس بن حجر إلى قيصر ملك الروم ليسأله النصرة على بني أسد لقتلهم اباه حجر بن الحارث راسل بنت قيصر وأراد أن يختدعها عن نفسها وبلغ ذلك قيصر وأراد أن يقتله فتقدم من ذلك وأمر بقميص فغمس في السم وقال لامرئ القيس إلبس هذا القميص فاني أحببت أن أوثرك به على نفسي لحسنه وبهائه فعمل السم في جسمه وكثرت فيه القروح فمات منها فسمي ذا القروح وقد كان قيل لقيصر قبل ذلك أنه هجاه فعندها يقول

ظلمتُ له نفسي بأن جئتُ راغباً إليه وقد سيّرتُ فيه القوافيا

فإن أكُ مظلوماً فقدماً ظلمتُه وبالصاعِ يجزى مثلَ ما قد جزانيا

قيل .. وكان النابغة يشبب بالمتجردة امرأة النعمان بن المنذر وكانت أكمل أهل عصرها جمالا فبلغ ذلك النعمان فهم بقتل النابغة فهرب منه وسار حتى أتى الشام والملك

بها جبلة بن الايهم الغساني فنزل عليه وأقام عنده وكتب إلى النعمان

حلفتُ ولم أترك لنفسك ريبةً ... وليس وراء الله للمرء مذهبُ

لئن كنتَ قد بلغتَ عني خيانةً ... لمبلغك الواشي أغشُّ وأكذبُ

قيل .. وكانت امرأة شداد أبي عنترة ذكرت له أن عنترة أرادها عن نفسها فأخذه أبوه فضربه ضرب التلف فقامت المرأة فألقت نفسها عليه لما رأت ما به من الجراحات وبكته وكان اسمها سُمية فقال عنترة

أمن سُمية دمعُ العين مذروفُ ... لو كان ذا منك قبل اليوم معروفُ

كأنها يوم صدَّت ما تكلمنا ... ظبيٌ بعسفان ساجي العين مطروف

قامت تجللني لما هوى قبلي ... كأنها صنمٌ يعتادُ معكوفُ

المالُ مالكمُ والعبدُ عبدكمُ ... فهل عذابك عني اليوم مصروفُ

قيل .. ولما أنشد عبد بني الحسحاس عمر بن الخطاب رضى الله عنه قصيدته التي يقول فيها

توسدني كفًا وتمضي بمعصم ... عليَّ وتنحو رجلها من ورائيا

فما زال بردي طيبًا من ثيابها ... إلى الحول حتى أنهج البردُ باليا

وهبت لنا ريحُ الشمال بقرّةٍ ... ولا بردَ إلا درعها وردائيا

أميلُ بها ميلَ الرديف وأتقي ... بها الريحَ والشفان من عن شماليا

رأت قتبا رثا وأخلاقَ شملةٍ ... وأسود مما يلبس الناسُ عاريا

تجمعن شتى من ثلاثٍ وأربعٍ ... وواحدةٍ حتى كملن ثمانيا

سليمى وسلمى والربابُ وتربها ... وأروى وريّا والمنى وقطاميا

وأقبلن من أقصى البلادِ يعدنني ... ألا إنما بعضُ العوائدِ دائيا

قال عمر رضي الله عنه أنت مقتول فلما قال

ولقد تحدَّرَ من كريمةِ معشرٍ عرقٌ على متنِ الفراشِ وطيبُ

وجدوه شاربا ثملا فعرضوا عليه نسوة حتى مرت به التي يطلبونها فاهوى اليها فقتلوه

—★★★★★—

مساوى شدة الغيرة والعقوبة عليها

حكي عن سليمان بن عبد الملك أنه كان في بعض أسفاره فسمر معه قوم فلما تفرقوا عنه دعا بوضوء فجاءت به جارية فبينا هي تصب الماء على يده اذ استمدها وأشار اليها مرتين أو ثلاثا فلم تصب عليه فأنكر ذلك ورفع رأسه فاذا هي مصغية بسمعها مائلة بجسدها الى صوت غناء من ناحية العسكر فأمرها فتنحت فسمع الصوت فاذا رجل يغني فانصت له حتى فهم ماغنى فدعا بجارية غيرها فتوضأ فلما أصبح أذن للناس فاجرى ذكر الغناء فلم يزل يخوض فيه حتى ظن القوم انه يشتهيه فأفاضوا فيه وذكروا ماجاء في الغناء والتسهيل لمن سمعه وذكروا من كان يسمعه من سروات الناس فقال هل بقي أحد يسمع منه فقال رجل من القوم عندي رجلان من أهل الابلة محكمان قال فأين منزلك من العسكر فأومأ الى ناحية الغناء فقال سليمان ابعث اليهما ففعل فوجد الرسول احدهما وأقبل به وكان اسمه سمير فسأله عن الغناء وكيف هو فيه قال محكم قال متى عهدك به قال البارحة قال وفي أي النواحي كنت فذكر الناحية التي سمع منها الصوت قال وما اسم صاحبك قال سنان قال فأقبل سليمان على القوم فقال هدر الفحل فضبعت الناقة ونب التيس فشكرت الشاة وهدل الحمام فزافت الحمامة وغنى الرجل فطربت المرأة ثم أمر به فخصي وسأل عن الغناء أين أصله قالوا بالمدينة وهم المخنثون فكتب الى عامله ان اخص من قبلك من المخنثين . وحدث الأصمعي ان الشعر الذي سمعه سليمان يتغنى به هو

محجوبةٌ سمعتْ صوتي فأرَّقها من آخرِ الليلِ لمَّا بلَّها السحرُ

تُدْنِي عَلَى الخَدِّ مِنْهَا مِنْ مُعَصْفَرَةٍ وَالحَلْيُ بادٍ عَلَى لَبَّاتِها خَصِرُ

فِي لَيْلَةِ البَدْرِ مَا يَدْرِي مُضَاجِعُهَا أَوَجْهُهَا عِنْدَهُ أَبْهَى أَمِ القَمَرُ

لَمْ يَحْجُبِ الصَّوتَ أَبْوَابٌ وَلا حَرَسٌ فَدَمْعُهَا لِطُرُوقِ اللَّحْنِ يَنْحَدِرُ

لَوْ تَسْتَطِيعُ مَشَتْ نَحْوِي عَلَى قَدَمٍ تَكَادُ مِنْ رِقَّةٍ فِي المَشْيِ تَنْفَطِرُ

ثم دخل سليمان مضرب الخدم فوجد جارية على هذه الصفة قاعدة تبكى فوجه إلى سنان فأحضره ووجهت الجارية رسولا الى سنان بحذره وجعلت للرسول عشرة آلاف درهم أن سبق رسول سليمان فلما حضر أنشأ يقول

إسْتَبْقِنِي إلَى الصَّبَاحِ أَعْتَذِرْ إنَّ لِسَانِي بِالشَّرَابِ مُنْكَسِرْ

فَأَرْسِلِ المَعْرُوفَ فِي قَوْمٍ نُكُرْ

فامر به فخصي وكان بعد ذلك يسمي الخصي .. وعن عليّ بن يقطين قال كنت عند موسى الهادي ذات ليلة مع جماعة من أصحابه اذ أتاه خادم فساره بشيء فنهض سريعا فقال لا تبرحوا فمضى فأبطأ ثم جاء وهو يتنفس ساعة حتى استراح ومعه خادم يحمل طبقا مغطي بمنديل فقام بين يديه فأقبل يرعد وعجبنا من ذلك ثم جلس وقال للخادم ضع ما معك فوضع الطبق وقال ارفع المنديل فرفعه فاذا على الطبق رأسا جاريتين لم أر والله أحسن من وجهيهما قط ولا من شعورهما فاذا على رأسيهما الجوهر منظوم على الشعر واذا رائحة طيبة تفوح فاعظمنا ذلك فقال أتدرون ماشأنهما قلنا : لا . قال : بلغني انهما تحابا فوكلت هذا الخادم بهما لينهى إلي اخبارهما فجاءني وأخبرني انهما قد اجتمعتا فجئت فوجدتهما كذلك في لحاف فقتلتهما ثم قال يا غلام ارفع ورجع فى حديثه كأنه لم يصنع شيئاً .. وحدثنا ابراهيم بن اسماعيل عن ابن القداح قال : كانت للربيع جارية يقال لها أمة العزيز فأهداها للمهديّ فلما رأى حسنها وجمالها وهيأتها قال : هذه لموسى أصلح فوهبها له فكانت أحب الخلق اليه وولدت له بنيه الأكابر ثم ان بعض اعداء الربيع

قال لموسى انه سمع الربيع يقول : ما وضعت بيني وبين الأرض مثل أمة العزيز فغار موسى فدعا الربيع فتغدّى معه وناوله كأسا فيه شراب فقال الربيع فعلمت أن نفسي فيها واني أن رددتها من يدى ضرب عنق فشربتها وانصرفت فجمع ولده وقال انى ميت فقال الفضل ابنه ولم تقول ذلك جعلت فداك قال ان موسى سقانى شربة فانا أجد عملها في بدني ثم اوصي بماله ومات في يومه .. قيل وطرب الرشيد الى الغناء فخرج متنكراً ومعه خادمه مسرور حتى انتهى الى باب اسحاق بن ابراهيم الموصلي فقال يامسرور إقرع الباب فخرج اسحاق فلما رأى الرشيد انكب على رجله فقبلها ثم قال ان رأى أمير المؤمنين ان يدخل منزل عبده فنزل الرشيد فدخل فرأي أثر الدعوة فقال يااسحاق انى أرى موضع الشرب من كان عندك قال ما كان عنـدي ياأمير المؤمنين سوى جاريتيّ كنت أطارحهما قال فهما حاضرتان قال نعم قال فأحضرهما فدعا الجاريتين فخرجتا مع احداهما عود حتى جلستا فأمر الرشيد صاحبة العود ان تغنى فغنت

بُنِيَ الحبُّ على الجورِ فلو ... أنصفَ المشوقُ فيهِ لَسَمُجْ

ليس يُستحسَنُ في وصفِ الهوى ... عاشقٌ يكثِرُ تأليفَ الحُجَجْ

فقليلُ الحبِّ صرفاً خالصاً ... هو خيرٌ من كثيرٍ قد مُزِجْ

فقال الرشيد يا اسحاق لمن الشعر والغناء فيه قال لاعلم لى به ياأمير المؤمنين فنكس رأسه ساعة ينكت فى الارض ثم رفع رأسه وأخذ العود من حجر هذه فوضعه فى حجر الاخرى ثم قال لها غنى فغنت

إنْ تُمسِ حبلُكَ بعدَ طولِ تواصلٍ ... خلَقاً وأصبحَ بيتُكم مهجورا

فلقدْ أراني والجديدُ إلى بِلًى ... زمَناً بوصلِكَ راضياً مسرورا

كنتَ الهوى واعزَّ من وطئَ الحصى ... عندي وكنتُ بذاك منكَ جديرا

فقال يااسحاق لمن الشعر والغناء فيه قال لاعلم لى ياسيدى فرد المسألة على الجارية فقالت لسيّ قال ومن ستّك قالت علية أخت أمير المؤمنين فنكس رأسه ساعة ثم وثب

وقال لمسرور خادمه امض بنا الى منزل علية فلما وقف بالباب قال استأذن يامسرور فخرجت جارية فلما رأت الخليفة رجعت تبادر تعلم ستها فخرجت تستقبله وتفديه فقال ياعلية هل عندك مانأكل قالت نعم ياسيدي قال وما نشرب قالت نعم فدخل وجلس فقدمت اليه الطعام فأكل حارا وباردا ورطبا ويابسا ثم رفع الطعام ووضع الشراب والطيب وأنواع الرياحين ودعت جواريها وكان عندها ثلاثون جارية يغنين فالبستهن أنواع الثياب وصففتهن في الايوان وتناول الرشيد الشراب فامر الجواري يغنين ثم سقى اخته حتى أخذ الشراب منها واحمرت وجنتاها وفترت أجفانها وكانت من أجل النساء فضرب الرشيد الى حجر بعض الجواري في أخذ العود وقال يا علية بحياتي غني

بَنَيَ الحُبُّ علي الجَوْرِ فلو

فعلمت انها داهية فبكت فصاح الرشيد فخرج الجواري وبقي هو وهي فدفعها وأخذ وسادة فجعلها على وجهها وجلس عليها فاضطربت اضطرابا شديداً ثم بردت فنحى الوسادة عنها وقد قضت نحبها فخرج وقال للخادم اذا كان غداً فادخل وعزني وركب متوجهاً الى قصره فلما كان الغد عزاه مسرور فبكى فقال

قبرٌ عزيزٌ علينا لو أنَّ من فيه يُفْدَى

أسكنتُ قرَّةَ عيني ومُهْجةَ النفسِ لحدا

ما إنْ أرى لي عليها من التوجُّعِ بُدّا

ومنه ما حكي عن البهائم قال شيخ من بني قشير كنا في ستاج فامتنع فرس من حجرة فشددنا عينه فنزا عليها فلما فرغ فتحنا العصابة فرأى الحجرة وكانت أمه فعمد الى ذكره بأسنانه فقطعه .. ومنه في خفة الغيرة قال سليمان بن داود الهاشمي لابنه لاتكثر الغيرة على اهلك فترمى بالشر من اجلك وان كانت بريئة ولا تكثر الضحك فيستخف فؤاد الرجل الحليم وعليك بخشية الله فانها غلبت كل شيء . وقال عبد الله بن جعفر لابنته : اياك والغيرة فانها مفتاح الطلاق واياك وكثرة العتب فانه يورث البغضاء وعليك بالكحل

فانه أزين الزينة وأطيب الطيب الماء .. قيل وكان كسرى ابرويز يتعشق امرأة رجل كان من مرازبته يقال له البارجان وكانت تأتيه سراً فبلغ زوجها ذلك فامسك عن امرأته واجتنبها ودخل الى كسرى ذات يوم فقال له كسرى بلغني ان لك عين ماء عذبة وانك قد اجتنبتها فلا تقربها ، ففطن فقال له : ايها الملك بلغني ان الأسد ينتاب تلك العين فاجتنبتها خوفاً منه فاعجب كسرى بمقالته وامر ان يتخذ له تاج لا قيمة له ثم دخل كسرى دار نسائه فقاسمهن نصف حليهن فاجتمع من الجوهر مالا يحصي فبعث به الى امرأة البارجان بالقادسية ووقع ذلك الجوهر الى السائب بن الأقرع وكان على المقسم فباعه وجعل للمسلمين بكتاب عمر بن الخطاب رضي الله عنه .. وقال بعضهم كنت أغار على امرأتي فأشرفت عليّ يوماً وانا مع جارية لي فلقيت منها أذاً حتى حلفت أن ابيع الجارية فخرجت اريد شراء حوائج لي ومعي الجارية فأتيت دكان خلال اشترى الخل فوجدته خاليا فقلت له ياهذا تأذن لي في ملامسة جاريتي هذه في دكانك فاني اريد بيعها قال نعم جعلت فداك ادخل حيث شئت فدخلت فاصبت من الجارية فلما خرجت اذا الخلال قد كمن ناحية وهو في قميص قد أنعظ فقال فرغت قلت نعم قال بسم الله اتأذن لي جعلت فداك قلت ويلك ماتريد قال اقضي وطرى منها قلت يا ابن الفاعلة حرمتي قال لا يضرك شيئاً فاني اسرع ثم وثب كأنه السبع فضاربته حتى تخلصت الجارية بعد كل جهد .. قال ودخل رجل من بني زهرة من اهل المدينة على قينة فسمع غناءها عند مولاها فخرج مولاها في حاجة ثم رجع فاذا جاريته على بطن الزهري فقامت مذعورة فقعدت تبكي فقال ما يبكيك قالت لأنك لاتقبل لأخيه عذراً قال يا زانية لو رأيتك على قفاك قلت صريع مغلوب ولو رأيتك على وجهك لقلت وعاء مكبوب انما رأيتك فارساً مصلوبا .. وحكي عن ثمامة انه قال للمهدي ان النساء يشققن شقا وان هشيمة ثقبت نقباً وكان هشيمة امرأة ثمامة فسأله المهدي أن ينزل عنها ففعل وأقام المهدى حتى انقضت عدتها ثم تزوجها وبنى بها ثم طلقها وخرج الى بيت المقدس فلما انقضت عدتها راجعها زوجها وقال ابو طاهر أنشدني بعض الشعراء يهجو بني القعقاع

بني القعقاع أكرمكم لئيمٌ   وأعظمُ مجدِكم رَكْبٌ حليقْ

وأنتم في نسائكمُ اتّساعٌ   وفي أخلاقكمْ نكدٌ وضيقْ

وعن عبد الله بن ياسين قال : كان في المهدي غزل وشدة حب للخلوة بالنساء فبلغه عن ابنة لأبي عبيد الله كاتبه جمال فقال للخيزران : استزيريها . فزارتها وجاءت اليها فقالت لها : هل لك في الحمام . قالت : نعم . فلما دخلت الحمام وافاها المهدي فبرزت له ولم تستتر عنه فقال لها المهدي : انا وأبوك فزوجيني نفسك . فقالت : انا امتك، فتزوجها ونال منها . فلما انصرفت أخبرت إخوتها بما كان فقالوا اسكتي عنه . فلما كان بعد مدة قالوا لها استزيري الخيزران فاستزارتها فلما صارت اليها قالت : هل لك في الحمام . قالت : نعم . فلما دخلتا معاً ماشعرت الخيزران الا ببني أبي عبيد الله قد عمدوا عليها فاستترت عنهم فقالوا لو أردنا أن نفعل كما فعلتم بحرمتنا لفعلنا ولكنا لا نستحل . فقالت لهم : والله لو رمتم ذلك لأمرت الخدم بقتلكم . فانصرفوا فلما رجعت الخيزران أخبرت المهديّ بذلك فكان السبب في قتل المهدي محمد بن ابي عبيد الله على الزندقة . وبلغه ايضا عن عونة بنت ابي عون جمال وهيئة فقال للخيزران : استزيريها فاستزارتها فقالت لها الخيزران : هل لك في الحمام . قالت نعم . فلما دخلتا ماشعرت الا بالمهدي قد وافاها فاستترت بالخيزران وقالت : والله لئن دنوت مني لأضربن بالكرنيب وجهك . فقال : ويلك انما أردت ان أتزوجك . قالت : لا سبيل الى ذلك . فانصرف عنها . فاخبرت أباها فقال : أحسنت في فعالك

محاسن القيادة

الحسن الجرجاني قال حدثني سهم بن عبد الحميد الحنفي قال خرجت من الكوفة اريد بغداد فلما نزلت ببعض منازلها وهيأنا غداءنا فاذا نحن برجل حسن الوجه

والهيئة على برذون فاره فصحت بالغلمان فاخذوا دابته فدعوت بالغداء فبسط يده غير محتشم وما أكرمته بشيء الا قبله وكنا كذلك اذ جاء غلمانه بثقل كثير وهيئة جميلة فتناسبنا فاذا هو طريح بن اسماعيل الثقفي فارتحلنا في قافلة منا لايدرك طرفاها فقال طريح ما حاجتنا الى هذا الزحام وليست بنا اليهم وحشة ولا علينا خوف فاذا خلونا بالخانات والطرق كان أروح لأبداننا قلت ذلك اليك فنزلنا من الغد الخان وتغدّينا والى جانبنا نهر ظليل بالشجر فقال هل لك ان تستنقع فيه فررنا اليه فلما نزع ثيابه اذا بين جنبيه آثار ضرب كثير فوقع في نفسي منه شر فنظر الي ففطن وتبسم وقال قد رأينا ذعرك بما ترى وحديث ذلك يجري اذا سرنا بالعشية فلما سرنا قلت له الحديث قال نعم قدمت من عند الوليد بن يزيد بالغناء واليسار وكتب الى يوسف بن عمر فلما أتيته ملأ يدي خيراً فخرجت مبادراً الى الطائف فلما امتد بي الطريق وليس يصحبني فيه احد عنّ لي اعرابي على قعود له فحدث احسن الحديث وروي الشعر فاذا هو راوية فانشد فاذا هو شاعر فقلت : من اين اقبلت ، قال : لا ادري ، قلت : وما القصة ، قال : انا عاشق لامرأة قد افسدت عليّ عيشي وقد حذرني اهلها وجفاني لها أهلي وانما استريح بان انحدر الى الطريق مع متحدر واصعد مع مصعد ، قلت : فأين هي ، قال : ننزل غداً بازائها ، فلما نزلنا أراني طرفاً عن يسار الطريق فقال : ترى ذلك الطريق ، فقلت : أراه ، قال : فترى الخيم التي هناك ، قلت : نعم ، قال : فانها في الخيمة الحمراء ، فأدركتني اريحية الحدث فقلت : والله اني آتيها برسالتك فمضيت حتى انتهيت الى الخيم فاذا امرأة طريفة جميلة كأنها مهرة عربية فذكرته لها فزفرت زفرة كادت تنقض أضلاعها قالت : أو حيّ هو ، قلت : نعم تركته في رحلي وراء هذا الطريق ، قالت : بأبي أنت وأمي أرى لك وجهاً حسناً يدل على الخير فهل لك في أمر ، قلت : نعم فقير اليه ، قالت : البس ثيابي فأقم مكاني ودعني حتى آتيه وذلك عند مغيربان الشمس فانك اذا اظلم الليل اتاك زوجي فقال لك يا فاجرة ويا هنة ابنة الهنة فيوسعك شتماً فأوسعه صمتاً ثم يقول في آخر كلامه إقمعي سقاءك ياعدوة الله فضع القمع في هذا السقاء وإياك وهذا السقاء الآخر فانه واه . قلت : نعم فأجبتها الى ماسألت فجاء الزوج على ما وصفت

وقال اقعي سقاءك خيرني الله ان تركت الصحيح وقمت الواهي فاشمر الآباللبن يتسبسب بين رجليه فعدا الى كسر الخيمة وحلّ متاعه وتناول رشاه من قسدّ مدبوغ ثم شناه باثنين فجعل لا يتقي رأساً ولا وجهاً ولا رجلا حتى خشيت ان يبدو له وجهي فتكون الأخرى فألزمت وجهي الأرض فعمل بظهري ماترى فلما تغيب عني جاءت المرأة باكية فرأت ما بي من الشر واعتذرت وأخذتُ ثيابي وانصرفت . قال وحدث بهذا الحديث محمد بن صالح بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليه بسر من راى سنة أربعين ومائتين وكان حُمل من البادية الى المتوكل فأطلقه وكان اعرابيا فصيحا فعجب منه وكان حسن الوجه نجيباً قلّ ما رأيت فى الفتيان مثله.قال كان منا فتى يقال له الأشتر بن عبد الله وكان سيد بني هلال واحسنهم وجهاً واسخاهم كفاً وكان معجباً بجارية يقال لها جيداء بارعة الجمال فلما اشتهر أمرها وظهر خبرهما وقع الشر بين أهل بيتيهما حتى قُتل بينهما القتلى فافترقوا فريقين فلما طال على الأشتر البلاء جاءنى يوما وقال ياعمير هل فيك خير قلت عندي ما احببت قال فساعدنى على زيارة جيداء قلت بالحب والكرامة فانهض اذا شئت قال فركبنا وسرنا يوما وليلة والغداة حتى المساء فنظرنا الى أدنى سرب لهم فانخنا رواحلنا في شعب وقعدنا هنالك وقال يا عمير اذهب وانشد واذكر لمن يلقاك انك طالب ضالة ولا تعرض بذكري بشفة ولا لسان الى ان تلقى جاريتها فلانة راعية الضأن فتقرئها مني السلام وتسألها عن الخبر وتعلمها بمكاني . قال فخرجت لا أتعدى ما أمرني به حتى لقيت الجارية فأبلغتها الرسالة وأعلمتها بمكانه وسألتها عن الخبر فقالت هي مشدّد عليها محتفظ بها وعلى ذلك فموعدكما عند الشجرات اللواتي عند أعقاب البيوت مع صلاة العشاء فانصرفت فأخبرته ثم قدنا رواحلنا حتى اتينا الموعد فى الوقت الذي وعدتنا فيه فلم نلبث الا قليلا حتى اذا جيداء تمشي فدنت منا فوثب اليها الأشتر فصافحها وسلم عليها ووثبت مولّياً عنهما فقالا اقسمنا عليك الّا رجعت فوالله ما بيننا من ريبة ولا قبيح نخلو به دونك فانصرفت اليهما وجلست معهما فقال الأشتر ما فيك حيلة ياجيداء فتزوّد منك الليلة قالت لا والله ما الى ذلك سبيل الّا ان أرجع الى الذي تعلم من البلاء والشر فقال لا بد من ذلك ولو وقعت السماء على الأرض قالت فهل بصاحبك خير قلت

بلى وهل الخير الّا عندي فاسألي ما بدا لك فاني منتهٍ اليه ولو كان في ذلك كله ذهاب
نفسي فألبستني ثيابها وأخذت ثيابي ثم قالت اذهب الى خبائي فادخل في سترى فان زوجي
يأتيك مع العتمة فيطلب منك القدح ليحلب فيه فلا تعطه من يدك فكذلك كنت افعل
فيحلب ثم يأتيك بالقدح ملآناً لبناً فيقول هاك فلا تأخذه منه حتى يطيل عليك بكدك
ثم خذه أو ذره حتى يضعه ثم يستبد بردائه ولست تراه حتى يصبح فذهبت ففعلت
ما أمرتني به حتى جاء بالقدح فيه اللبن فاطلت تكدى عليه ثم اهويت لآخذه فاختلفت
يدي ويده وانكفأ القدح فاندفق منه اللبن فقال ان هذا لطماح مفرط وضرب بده الى
جانب الخباء فاستخرج سوطاً فضربني مقدار ثلاثين سوطاً حتى جاءت أمه وأخواته
فانتزعوني منه ولا والله ما فعلوا ذلك حتى زايلتني روحي وهممت أن أوجره بالسكين
فلما خرجوا عني وهو معهم قعدت كما كتب الله فما لبثت ان جاءت أم جيداء فكلمتني
وهي تحسبني ابنتها فألقيتها بالسكوت وتغطيت بثوبي دونها فقالت يابنية اتقي الله ولاتعرضي
للمكروه من زوجك فذلك أولى بك ثم خرجت من عندي فقالت سأرسل اليك اختك
تؤنسك وتبيت الليلة عندك فلم ألبث ان جاءت الجارية تبكي وتدعو على من ضربني وانا
لا أكلمها ثم اضطجعت الى جانبي فلما استمكنت منها شددت يدي على فمها وقلت ياهذه
تلك أختك مع الأشتر وقد قطع ظهري بسببها وأنت أولى من ستر عليها فاختاري لنفسك
وها فوالله لئن تكلمت لتكونن فضيحة شاملة ثم رفعت يدي عن فيها فاهتزت مثل القصبة
من الروع وباتت معي ونلت منها الشهوة التامة ورافقتني اصلح رفيق رافقته ولم أذق
شيئاً ألذّ مما ذقت منها قط فلم تزل تحدث وتضحك مني ومما بليت به حتى برق النور
وجاءت جيداء فلما رأتنا ارتاعت وقالت من هذا عندك قالت أختك قالت وما السبب
قلت هي تخبرك فانها عالمة به وأخذت ثيابي وأتيت صاحبي فأخبرته بما أصابني وكشفت
له عن ظهري فاذا فيه ما الله به عليم فقال لقد عظمت منتك عندي ووجب شكرك
وخاطرت بنفسك فلا حرمني الله مكافأتك ،، وعن رجل من بني عامر أنه خرج
وهو غلام ما بقل وجهه وكان ذا جمال وهيئة صاحب غزل فهجم على قوم يتحملون
وقد شدوا أثقالهم وبرزوا واذا امرأة جميلة قد تخلفت على جمل لها لاصلاح شأنها

قال فوقفت عليها فاذا هي احسن خلق الله وجها واغزله واملحه فتلاقينا كلاما غير كثير فقالت : اسألك شيئاً فهل لك به علم ، قلت : سلي ، فقالت : ايهما احسن جردة الرجل أم المرأة ، قلت : الرجل ، قالت : بل المرأة فان احببت ان تعلم ذلك علمته ، قلت : وكيف اعلمه ، قالت : اتجرد لك من ثيابي وارميها عني ثم امشي حتى ابلغ الاكمة ثم اقبل حتى آتيك فتعطيني عهد الله وميثاقه لتفعلن كما فعلت ، فقلت : لك عهد الله ان فعلت لأفعلنه ، قال فالقت ثيابها عن احسن ما نظرت اليه قط بياضا ونظافة وحسنا فلما انتهت إلي قالت : الوفاء ، قلت الوفاء ونعمة عين فخلعت ثيابي وانا كأبهى الفتيان وأعيا هم حتى مضيت بعد الغاية فلما انتصف بي المدى سمعت خرخرة جمل فاذا هي قد جالت على ظهره لابسة ثيابي متنكبة قوسي قد لزمت المحجة فناديتها فلم تعرج علي ولبست ثيابها وتخمرت بخمارها وركبت بعيرها وزجرته فانبعث بي أثر الحي وأخذت شق الوحشي حتى ما أراها وجعلت أكفف عن الجمل اذ خشيت ان ألحق الظعن حتى رأوني من بعيد وجعلوا ينادون ويحك أقبل وانا صامت لا أتكلم ولا أتقدم فلما طال عليهم أمري بعثوا بجارية لهم مولدة فاقبلت تعدو حتى أتتني ونشطت خطام الجمل من يدي وانا متبرقع احسن الناس وجها وعينا فنظرت الجارية في وجهي ساعة ثم قالت لقد امسيت حديدة الطرف وقادت الجمل حتى اتت الحي فقالت ام الجارية : يا بنية لقد استحييت من الناس مما دعوتك المشية ثم تأملت ونظرت وسائر النساء وقالت احداهن والله انه لرجل وفطن وانزلتني العجوز وادخلتني الستر وقالت : من أنت لا أفلحت ، قلت : بل ابنتك لا أفلحت ولا أنجحت وقصصت عليها قصتها ، فقالت : نشدتك الله الا اعرتني نفسك هزيعا من الليل فانا كنا على أن نبني بابنتي صاحبة الجمل الليلة وما في الحي رجل غير زوجها وهو انسان فيه لوثة ولا بد من أن أدخلك عليه فانك غلام أمرد فلا ينكرك ولا أراه أقوى منك ان اعتركتما فلك عندي يد بيضاء واقبلت وأخت لابنتها وخالتها فالبستني ثوب العروس وطيبتني ثم دلفن بي نحو الرجل بعيد العتمة وقالت أمها : انا لك الفداء تجلد ساعة بالامتناع فانه منصرف عنك وستأتيك المكافرة فأدخلتني على مثل الأسد الا ان به لوثة كما قالت فاعتركنا حتى اعيي وكف عني وطال

في الليل حتى سمعت خرخرة جلي فلم البث الا هنيهة حتى جاءت أمها وخالتها وهي معهما فجعلتها مكاني وفتشتُ عن سرها فاذا هي قد ظلت مع انسان كانت تهواه وأتيت ثيابي فنهضت مبادراً لا ألوي على شيء حذراً مما لقيت .. قيل وملك النعمان بن المنذر اربعين سنة فلم ترَ منه سقطة غير هذه : وهو انه ركب يوماً فبصر بجارية قد خرجت من الكنيسة فاعجبته لجمالها فدعا بعديّ بن زيد وكان نديمه ووزيره فقال له يا عديّ لقد رأيت جارية اني لم اظفر بها انه الموت ولا بد من أن اتلطف أو تتلطف لي حتى تجمع بيني وبينها . قال : ومن هي . قال : سألت عنها فقيل هي امرأة حكم بن عمرو رجل من أشراف الحيرة . قال : فهل اعلمت أحداً . قال : لا . قال : فاكتمه فاذا اصبحت فجدّد لحكم كرامة وبراً فلما اذن للناس بدأ به فأجلسه معه على سريره وكساه فاستعظم الناس ذلك فلما أصبح بدأ أيضاً بالاذن له وحباه فأنكر الناس ذلك فقالوا : ما هذا إلا لأمر فصنع به ذلك أياما ثم قال له عديّ : أيها الملك عندك عشر نسوة فطلق احداهن ثم قل له فليتزوجها ففعل فلما دخل عليه قال : يا حكم ما كانت نفسي تسمح بهذا لولد ولا لوالد فتزوج فلانة فقد طلقتها . فخرج حكم الى عديّ فقال : يا أبا عويمر ما صنع الملك باحد ما صنع بي وما أدري بما أكافيه . قال له عديّ : طلق امرأتك كما طلق لك امرأته . ففعل وحظي بها عديّ عنده وعلم حكم انه قد مكر به في امرأته .. وفيه يقول الشاعر

ما في البريةِ من أنثى تعادلها   إلاّ الذي أخذ النعمانُ من حكمِ

وحدث الفضل بن العباس عن الزبير بن بكار عن محمد بن بشير الخارجي قال : قدم علينا رجلان من أهل المدينة يصيدان ومعهما نسوة والفساطيط مضروبة وكان سليمان بن عبدالله الاسلمي وابن اخ له مقيمين بناحية الروحاء فأرسل النسوة الى سليمان وابن اخيه اما لكما حاجة في الحديث فرد الرسول ان يكن لنا فيه حاجة فكيف لنا بذلك مع ازواجكن فقلن انما خرج ازواجنا للصيد وقد بلغنا ان لكم صاحباً يعرف من طلب الصيد ما لا يعرفه غيره فلو طرح لهم شيئاً من ذكره لأسرعوا اليه وخلتم وتحدثتم

ماشئتم يعنين به محمد بن بشير فمضى اليه سليمان وابن اخيه فقالا : يا ابا محمد ارسل الينا النسوة بكذا وكذا وسألوني ان اخرجك الى الصيد فقلت لا والله لا أأمل ولا أتعب ولا أنصب وأنتم تلهون وتحدثون انا لذا اشد حبا واكثر صبابة وشوقا فارسلا الى النسوة بمائق فارسلن إلي رسولا وعاهدني لئن اخرجتهم ليحتلن لي حتى اخلو معهن ليلة حتى الصبح فسرت اليهم وذكرت لهم الصيد فخرجوا معي فما زلت احدثهم بالصدق حتى اخذت في الكذب مما يضارع الصدق حتى افنيته فاقمت معهم ثلاثة ايام ولياليها ثم انصرفوا من غير ان اصطادنا شيئاً فقلت في ذلك

إني انطلقتُ مع قومٍ ذوي حسبٍ ما في خلائقهم زهوٌ ولا حمقُ

إني لأعجبُ منهم كيف أخدعهم أم كيف آفك قوماً أمابهم رهقُ

أظل في الأرض أنبيهم وأخبرهم أخبار قوم وما كانوا ولا خلقوا

ولو صدقتُ لقالتْ القومُ قد خلوا حين انطلقنا وإني ساعة انطلقوا

فلو أجاهدُ ما جاهدتُ دونكمُ في المشركين لأدركتُ الأولى سبقوا

إن كنتَ أبداً جاري من حلائلكم والدهرُ ذو عنف أيامهُ طُرُقُ

فإنَّ كلَّ جديدٍ عائدٌ خلقاً فلن يعود جديداً ذلك الخَلَقُ

قال فظفر أصحابي بالحديث والمغازلة وانا بالجهد والخيبة مع أنهم القيادة والتعب وكذب المحادثة .. وحدثنا وهب بن سليمان عن عمه الحسن بن وهب قال خرج محمد بن عبد الملك الزيات من عند الواثق ومزيد بن محمد بن ابي الفرج المارونى وكيل عبدالله ابن طاهر فاذا بجارية حسناء في منظرة لها فلما بصرت به ورأت موكبه وكان جميلاً ظريفاً أومأت اليه بالسلام وأومأت بيدها الى صدرها فاعجب بها فلما صار الى منزله دخلت اليه فرأيته بخلاف ماعهدت وكان لا يكتمني شيئاً فقلت مالي اراك مدلهاً يا ابا الحسن قال رأيت شيئاً انا فيه مفكر ثم أنشأ يقول

وابأبي مُخضبٌ أومى إلينا بيدِه
أومى بها يخبرني راحتهُ في كَبَدِه
أن الضنى في جسدي يخبرني عن جسدِه
فليس للحاسد إلاّ خصلةٌ من حسدِه

ثم شرح لي القصة ثم انصرفت من عنده ووافيت مولى الجارية فسألته أن يبيعها فقال اشتريتها للامير عبد الله بن طاهر وليس الى بيعها من سبيل فلم أزل به حتى اشتريتها بخمسين ألف درهم ووجهت بها اليه وكتبت اليه

هذا محبك مطويٌّ على كمده عبرى مدامعه تجري على جسده
له يدٌ تسأل الرحمن راحتها مما به ويدٌ أخرى على كبده

فقبلها وحسن موقعها عنده فولاني خراج ديار ربيعة فأصبت فيها ألف ألف درهم .. قال السجستاني : ارق الرشيد ذات ليلة فوجه الى عبد الملك الاصمعي والى الحسين الخليع فاحضرهما وشكا اليهما مدافعة نومه وشدة أرقه وقال لهما : عللاني باحاديثكما وابدأ أنت يا حسين . قال : نعم يا أمير المؤمنين خرجت في بعض السنين منحدرا الى البصرة وممتدحا لآل سليمان فقصدت محمد بن سليمان بقصيدتي فقبلها وأمرني بالمقام فخرجت ذات يوم الى المربد وجعلت المهالبة طريقي فاصابني حر وعطش فدنوت من باب دار كبير لاستسقي فاذا انا بجارية أحسن ما يكون كأنها قضيب يتثنى وسناء العينين زجاء الحاجبين مهفهفة الخصر حاسرة الرأس مفتوحة الجُرُبان عليها قميص لاذ جلناريّ ورداء عدني قد غلب شدة بياض بدنها حمرة قميصها تتلألأ من تحت القميص بثديين كرمانتين وبطن كطي القباطي وعكن مثل القراطيس لها جمة جعدة بالمسك محشوة وهي يا أمير المؤمنين متقلدة خرزاً من ذهب والجوهر يزهر بين ترائبها وعلى صحن جبينها طرة كالسبج وحاجبان مقرونان وعينان كحلاوان وخدان أسيلان وانف أقنى تحته ثغر كاللؤلؤ واسنان كالدر وقد غلب عليها سواد المسك والغالية

ودابر العود الهندي على لبتها عبق الحلوق وهي والهة حيرى واقفة في الدهليز وجائية تخطر في مشيتها قد خالط صرير نعلها أصوات خلاخالها كأنها تخطر على أكباد محبيها فهي كما قال الأفوه الأودي

ليسَ منها ما يُقالُ لها   كَمَلَتْ لو أنَّ ذا كَمَلا

كلُّ جزءٍ من محاسنها   كائنٌ مِن حُسنها مَثَلا

لو تمنَّتْ في بَراعتِها   لمْ تجِدْ في حُسنها بَدَلا

فهبتها والله يا أمير المؤمنين ثم دنوت منها لأسلم عليها فاذا الدار والدهليز والشارع قد عبقت بالمسك فسلمت عليها فردت السلام بلسان منكسر وقلب حزين محرق فقلت لها : ياسيدتي اني شيخ غريب أصابني عطش فأمري لي بشربة من ماء تؤجري ، قالت : اليك عني ياشيخ فاني مشغولة عن سقي الماء وادخار الأجر . فقلت لها : ياسيدتي لأية علة . قالت : لأني عاشقة من لا ينصفني وأريد من لا يريدني ومع ذلك فاني ممتحنة برقباء فوق رقباء . قلت لها : ياسيدتي هل على بسيط الأرض من تريدينه ولا يريدك . قالت : انه لعمري على ذلك الفضل الذي ركب الله فيه من الجمال والدلال . قلت لها : ياسيدتي فما وقوفك في الدهليز . قالت : هو طريقه وهذا أوان اجتيازه . قلت لها : ياسيدتي هل اجتمعتما في خلوة في وقت من الأوقات أم حب مستحدث . فتنفست الصعداء وأرخت دموعها على خديها كطل على ورد ،، وأنشأت تقول

وكنا كغصني بانةٍ وسط روضةٍ   نَشمُّ جنَا اللذَّاتِ في عيشةٍ رَغْدِ

فأفردَ هذا الغصنَ من ذاك قاطعٌ   فيا من رأى فرداً يحِنُّ إلى فَردِ

قلت لها : ياهذه ما بلغ من عشقك هذا الفتى . قالت : أرى الشمس على حائطهم أحسن منها على حائط غيرهم وربما أراه بغتة فأبهت وتهرب الروح عن جسمي وأبقى الأسبوع والأسبوعين بغير عقل . قلت لها عذري على وأنت على ما بك من الضنى وشغل القلب بالهوى وانحلال الجسم وضعف القوى ما أرى بك من صفاء اللون ورقة

البشرة فكيف لو لم يكن بك من الهوى شيء أراك كنت مفتنة في أرض البصرة ، قالت : كنت والله يا شيخ قبل عشق لهذا الغلام تحفة الدلال والجمال والكمال ولقد فتنت جميع ملوك البصرة وفتنني هذا الغلام . فقلت : يا هذه ما الذي فرّق بينكما ، قالت : نوائب الدهر وأوابد الحدثان ولحديثي وحديثه شأن من الشأن وأنبيك أمري اني كنت اقتصدت في بعض أيام النيروز فأمرت فزين لي وله مجلس بأنواع الفرش وأواني الذهب ونضدّنا الرياحين والشقائق والمنثور وأنواع البهار وكنت دعوت لحبيبي عدة من متظرفات البصرة فيهن من الجواري جارية شهران وكان شراؤها عليه من مدينة عمان ثمانمائة ألف درهم وكانت الجارية ولعت بي وكانت أول من أجابت الدعوة وجاءتني منهن فلما حصلت عندي رمت بنفسها عليّ تقطعني عضاً وقرصاً ثم خلونا تمزز القهوة الى ان يدرك طعامنا ويجتمع من دعونا فتارة هي فوقي وتارة انا فوقها فحملها السكر على ان ضربت يدها على تكتي فحلتها ونزعت هي سراويلها وصارت بين الفخذين كصير الرجال من النساء فبينا نحن كذلك اذ دخل عليّ حبيبي وقد التزق قرطي بخلخالي فلما نظر الينا اشمأزّ لذلك وصدف عني وعنها صدوف المهرة العربية اذا سمعت صلاصل اللُجُم وعضّ على أنامله وولّى خارجاً فأنا يا شيخ منذ ثلاث سنين أسأل سخيمته واستعطفه فلا ينظر إلي بعين ولا يكتب إلي بحرف ولا يكلم لي رسولاً ، قلت لها : يا هذه أفمن العرب هو أم من العجم ، قالت : هو من جلة ملوك البصرة ، قلت : من أولاد نبابها أو من أولاد تجارها ، قالت : من عظيم ملوكها ، قلت لها : اشيخ هو أم شاب ، فنظرت إلي شزراً وقالت : انك لأحمق أقول هو مثل القمر ليلة البدر أمرد أجرد وطرة رقعاء كحنك الغراب تعلوه شقرة في بياض عطر لبّاس ضارب بالسيف طاعن بالرمح لاعب بالنرد والشطرنج ضارب بالعود والطنبور يغني وينقر على أعدل وزن لا يعيبه شيء إلا انحرافه عني لا نقماً لي منه بل حقداً لما رآني عليه ، قلت : ياهذه وكيف صبرك عنه ، فأنشأت تقول

أمّا النهارَ فمستهامٌ والهٌ   وجفونُ عيني ساجفاتٌ تدمعُ

والليلَ قد أرعى النجومَ مفكّراً ... حتى الصباحِ ومقلتى لا تهجعُ

كيف اصطباري عن غزالٍ شادنٍ ... فى لحظِ عينيهِ سهامٌ تصرعُ

وجهٌ يضئُ وحاجبانِ تقوّسا ... وكأنّ جبهتهُ سراجٌ يلمعُ

وبياضُ وجهٍ قد أُشيبَ بحمرةٍ ... فى وجنتيهِ كأنّهُ مُستجمعُ

والقدُّ منهُ كالقضيبِ إذا زهى ... والغصنُ فى قنوانهِ يترعرعُ

تمّتْ خلائقهُ وأكملَ حسنهُ ... كمثالِ بدرٍ بعدَ عشرٍ أربعُ

قلت لها : ياسيدتي ما إسمه وأين يكون . قالت : تصنع به ماذا . قلت : أجهد في لقائه واتعرف الفضل بينكما فى الحال . قالت : على شريطة . قلت : وما هي . قالت : تلقانا اذا لقيته وتحمل لنا اليه رقعة . قلت : لا أكره ذاك . قالت : هو ضمرة بن المغيرة ابن المهلب بن أبي صفرة يكنى بابي شجاع وقصره فى المربد الأعلى وهو أشهر من ان يخفى ثم صاحت فى الدار يا جواري دواةً وقرطاساً وشمرت عن ساعدين كانهما طومارا فضة ثم حملت القلم وكتبت بسم الله الرحمن الرحيم سيدى ترك الدعاء فى صدر رقعتي ينبئ عن تقصيري ودعائى ان دعوت يكون هجنة فلولا ان بلوغ المجهود يخرج عن حد التقصير لما كان لما تكلفته خادمتك من كتب هذه الرقعة معني مع ايأسها منك وعلمها بتركك الجواب سيدي جد بنظرة وقت اجتيازك فى الشارع الى الدهليز تحيي بها أنفسا ميتة أسري وأخطط بخط يدك بسطها الله بكل فضيلة رقعة فاجعلها عوضاً من تلك الخلوات التى كانت بيننا فى الليالى الخاليات التي انا ذاكرتها سيدى الست لك محبة وبك مدنفة فان رجعت مولاي الى الاشبه بك وانقذتني من عوارض التلف كنت لك خادمة ولك شاكرة فلما فرغت من الكتاب يا أمير المؤمنين ناولته إياي فقلت لها : ياسيدتى قد وجب حقك علي والزمتك حرمتى لطول وقوفى عليك وكنت قد سألت شربة ماء . قالت : استغفر الله ما فهمنا عنك ثم صاحت فى الدار أخرجن الينا شرابا من ماء وغير ماء فما كان الا ان اقبل ثلاثون وصيفة بايديهن الطاسات والجامات والاقداح مملوءة ماء

وثلجا وفقاعا وشرابا فشربت الماء ثم قلت ياسيدتي مع قدرتك على هذا من استواء الحال وكثرة الخدم والعبيد والجواري فلم لا تأمرين احدى الجواري أن تقف مراعية للغلام حتى اذا مر اعلمتك فتخرجين اليه . قالت : لا تغلط ياشيخ فتمثلت

عبَّالةَ عنقِ الليثِ من أجلِ أنَّهُ … إذا رامَ أمراً قامَ فيهِ بنفسهِ

ثم انصرفت عنها يا أمير المؤمنين فلما اصبحت غدوت على محمد بن سليمان فوجدت مجلسه محتفلا بالملوك وأبناء الملوك ورأيت غلاما قد زان المجلس وفاق من فيه حسناً وجمالا قد رفعه الامير فوقه فسألت عنه فقيل ضمرة بن المغيرة فقلت في نفسي بالحقيقة حلّ بالمسكينة ما حلّ هو والله قاتلها فيما أرى ثم قمت فقصدت المربد ووقفت على باب داره فاذا هو قد ورد في موكب جليل فوثبت اليه وبالغت في الدعاء والثناء ثم دنوت منه وفاوضته في الذي جرى بيني وبينها وناولته الرقعة فلما قرأها ضحك ثم قال : يا شيخ قد استبدلنا بها فهل لك في ان تنظر الى البديل . قلت : نعم . فصاح في الدار يا جواري اخرجن الينا لديدا فما كان ألا ان طلعت جارية وضيئة الكعبين ناهدة الثديين تمشي مشية مستوحل ترتج من دقة خصرها على كبر عجزها ذات نخذين وعجيزتين تختلفان الا نفس اختلافا على رأسها بطيخة من الكافور مكتوب على جبينها

آهٌ منَ الحبِّ آهُ … ما أقتلَ الحبَّ وأضناه

ودون ذلك مكتوب

عيّارةٌ ميّاسةٌ في الخطى … رخيمةُ الدّلّ صيودٌ للرّجالِ

وقد كتبت بالغالية على عصابتها ثلاثة اسطر وهي

إذا غضبتَ رأيتَ النّاسَ قتلى … وإنْ رضيتْ فأرواحٌ تعودُ

لها في عينها لحظاتُ سحرٍ … تُميتُ بها وتُحيي من تُريدُ

وتَسبي العالمينَ بمقلتيها … فكلُّ العالمينَ لها عبيدُ

فناولها الرقعة وقال اقرئي واجبي صاحبتك فلما قرأت الرقعة اسفرت وعرقت

ومزقتها وضربت بها في وجه الغلام وغابت في الستر ، فقال لي : أما أنت ياشيخ فاستغفر الله مما مشيت فيه ، قلت : بل أنت استغفر الله من هجرانك اياها وتركك إتيانها والله ماأرى لها في البشر نظيراً ، قال لا أفعل ولو أنها في حسن يوسف وكمال حواء فخرجت بأمير المؤمنين وأنا أجر ذيلي حتى وردت عليها فاستأذنت ودخلت فبدأت بي ، فقالت : ما وراء الشيخ ، قلت : البؤس واليأس : قالت لا عليك فأين الله والقدر ثم أمرت لي بخمسمائة دينار وعشرة أثواب وخرجت من عندها وأنا ممدح لآل سليمان فلم يكن لي والله الا معرفة خبرها في العام الذي عدت فيه الي البصرة فوردت عليها فوجدت على بابها أمراً ونهياً وأسباباً لاتكون الا على باب الخلفاء فاستأذنت فدخلت فاذا فوق رأسها ثلاثون رجلا من شيوخ وشبان وخدم وقوف بسيوفهم فلما نظرت الي عرفتني ووثبت الي وقبلت رأسي وقالت ياشيخ الحمد لله الذي جعل العبيد بالصبر ملوكا وجعل الملوك بالتيه عبيداً ان الذين تراهم وقوفا أصحاب ضمرة يسلون سخيمتي ويسألونني الرجوع له والله لانظرت اليه في وجه ولو أنه في حسن يوسف وكمال حواء فسجدت بأمير المؤمنين شماتةً بضمرة وتقرباً الي الجارية فقال بعض حجاب ضمرة مهلا ياشيخ فمن طاب عنصره طاب مولده ثم انصرفوا فناولتني خريطة فيها أوراق فقلت هذا أول ماورد علينا منه فادافيها ثوب خز أبيض يقق مكتوب فيه بماء الذهب بسم الله الرحمن الرحيم لولا تغاضيَّ عليك أدام الله حياتك لوصفت شطراً من غدرك ولبسطت سوط عتبي عليك وحكمت سيف ظلامتي فيك اذ كنت الجانية على نفسك والمظهرة لسوء العهد وقلة الوفاء المؤثرة علينا غيرنا فخالفت هواي وفرشت نفسك لها على حالي جد وهزل وصحو وسكر والمستعان الله على ماكان من سوء اختيارك وقد ضمنت رقعتي هذه أبيات شعر أنت المتفضلة بالنظر اليها وهي

قَطَّعَ قلبي فراقُكُمْ قِطَعا ... وكِدْتُ أُقضي لِبَينكُمْ جَزَعا

ما تَكْحَلُ العينُ بالرُّقادِ ولا ... ينامُ جَنْبِي في الليلِ مُضْطَجِعا

لاعيشَ لِي مذْ نأَتْ ولا وَجَدَتْ ... عَيْناي في الأَرْضِ قطُّ مُتَّسَعا

قلت لها : أفلا تحدثيني كيف سليت عنه وابتلي ، قالت : كيف لاأحدثك اقتصدت

فاحة جارية محمد بن سليمان فدعينا الى خورنق لمحمد بن سليمان فلما طعمنا دعت لنا بالشراب فبينا نحن كذلك اذا بحراقة سلطانية قد وردت وفيها عدة من أبناء الملوك وفيهم هذا العيار ولا علم لي بمكانه وكنت حملت العود وغنيت

أبلى فؤادي وشفني الأرقُ والدمعُ من مقلتيَّ يستبقُ

من حبِّ ظبيٍ أغنَّ ذي دعجٍ وقلبهُ للشقاء منطبقُ

فلما وجبت العتمة انصرفنا وأبطأت الجارية وأتاني هؤلاء القوم من عنده يسلون بخبرتي ويستعطفوني عليه ثم انصرفت عنها يا أمير المؤمنين ودخلت الحمام من ساعتي فما كان الا أن دخلت حتى أتاني غلامي فقال : جماعة من جلة الناس قد طرقوا دارك يطلبونك فلبست ثيابي وخرجت مسرعا فاذا بضمرة قد كبس داري في عدة من الرؤساء فقال والله لا برحنا حتى تنفق علينا الخمسمائة دينار التي أخذتها من الجارية سيدتي ، قلت : أي والله بالسمع والطاعة ثم جذبني الى نفسه فلم يزل يناظرني في أمرها حتى أقبل المساء ثم انصرف الى رحله فلما كان من الغد وردت له رقعة مع خادم وكيس فيه ألف دينار واستزارني فقبلت ذلك وصرت معه اليه فلما نظر اليَّ تنحى عن مقعده وأقعدني ثم قال هذا قد أعددته للنيروز لسيدتي هدية وأنت أولى من تجشم مع الخادم اليها . قلت : السمع والطاعة ثم صاح في الدار هاتوا الهدية فاذا مائة تخت من ثياب وصندوق من ذهب مقفل عليه . فقال لي : في التخت والصندوق مبلغ ثلاثين ألف دينار وأنت أولى من تفضل بالايصال فصرنا اليها واستأذنا فلما مثلنا بين يديها أنكرتني ، وقالت : من الشيخ ، قلت : الخليع شاعر العراق ومعي هدية عبدك ضمرة فصاحت في الدار تلك فاذا جارية كأنها الغانية المنفلتة من الشبكة ، قالت : لها خذي هذه الهدايا وفرقيها على جواري الدار ثم قالت أيطمع الخنوص أن يجتمع معي بعد قبولي الهدية في ثلاثين سنة . قلت : لها العفو عند المقدرة يعدل عتق رقبة ، قالت : ففي خمس عشرة سنة . قلت : لها انقصيها أولى بك . قالت : ففي ثلاث سنين ، قلت : لها حطة أخرى وقد اجتمعنا ، قلت لا : والله لا آكل ولا أشرب حتى آتيه وأمرت أن يسرج لها وبادرت الى باب ضمرة مبشراً

فلما وصلت أو سمعت صلاصل الاجم فاذا هي قد سبقتني في جواريها وخدمها فدخلت فاذا هما يتعانقان ويتعاتبان فقلت ياسيدتي ما أنتما الى شيء أحوج منكما الى خلوة . قالا : هو ذاك فانصرفت عنهما ثم بكرت عليهما فاذا هي في المرقد الأول جالسة عليها جبة وشيء مطير وهي تعصر الماء عن ذوائبها وتصلح قرونها فاستحيتني . وقالت لا : تفكرن في ريبة فوالله ماصلينا البارحة حتى بعثت الى عبدالرحمن بن أبي ليلى القاضي فزوجت نفسي سيدي ولكن صر اليه فانه في المرقد الثاني فصعدت اليه فلما نظر الي وثب الي وقبل بين عيني . وقال : يا شيخ قد جمع الله بيني وبين سيدتي بك ثم دعا بدواة وقرطاس وكتب الى ابن نوح الصيرفي في ثلاثة آلاف دينار فرجعت اليها . فقالت : بما ذا برك سيدي فاقرأتها الرقعة . فقالت : نعجل اليك مثلها فدعت بمال وطيار ووزنت ثلاثة آلاف دينار ودعت بعشرة أثواب من ثياب مصر وقالت هذه وظيفتك علينا كل عام فخرجت من عندها وأخذت مرفوعي من آل سليمان وانصرفت الى العراق وكان الرشيد متكئاً فاستوى جالساً وقال أوه ياحسين لولا أن ضمرة سبقني اليها لكان لي ولها شأن من الشأن

(ومنه مع الشعراء) قال استأذنت بنت لعبد الملك بن مروان في الحج فأذن لها وكتب الى الحجاج يأمره بالتقدم الى عمر بن أبي ربيعة أن لا يذكرها في شعره فلما بلغ عمر مقدمها لم يكن له همة الا أن يتهيأ بأجمل مايقدر عليه من الحلل والثياب وضربت لها قبة في المسجد الحرام فكانت تكون فيها نهاراً فاذا أمست تحولت الى منزلها لتنظر اليه وتجلس بازاء القبة وقد خبر عمر بشأنها فاذا أرادت الطواف أمرت جواريها فيسترنها بالمطاريف فكانت تتطلع الى عمر كثيراً وكانت تسأل من دخل عليها عنه رجاء أن يكون قد قال شيئاً فلم يفعل حتى قضت الحج ورحلت ونزلت من مكة على أميال فأقبل راكب من مكة فسألته من أين أقبلت . قال : من مكة . قالت : عليك وعلى فرقة أنت منها لعنة الله . قال : ولم يا ابنة عبد الملك . قالت : قدمنا مكة فأقمنا أشهرها استطاع الفاسق عمر بن أبي ربيعة أن يزودنا من شعره أبياتاً كنا نلهو بها في سفرنا هذا . قال : فلعله قد فعل . قالت : فاذهب اليه واسأله ولك في كل بيت تأتيني به منه عشرة دنانير فأقبل الرجل وأتى عمر ابن أبي ربيعة فأخبره الخبر فقال له : قد فعلت ولكن احب أن تكتم علي . قال : افعل ثم أنشده

راعَ الفؤادَ تفرُّقُ الأحبابِ ... يومَ الرَّحيلِ فهاجَ لي أطرابي

فظللتُ مكتئباً أكفكفُ عبرةً ... سحّاً تفيضُ كوابلِ الأسرابِ

لمّا تنادوا للرَّحيلِ وقرَّبوا ... بُزْلَ الجمالِ لطيَّةٍ وذهابِ

كادَ الأسى يقضي عليكَ صبابةً ... والوجهُ منكَ لبينِ إلفكَ كابي

قالتْ سُعيدةُ والدموعُ ذوارفٌ ... منها على الخدَّينِ والجلبابِ

ليتَ المُغيريَّ الذي لم نجزِهِ ... فيما أطالَ تصيُّدي وطلابي

كانتْ تردُّ لنا المُنى أيّامنا ... إذ لا نُلامُ على هوىً وتصابي

أيّامَ نكتمُ ودَّنا ونودُّهُ ... سرّاً مخافةَ منطقِ المغتابِ

أُخبرتُ ما قالتْ فبتُّ كأنّما ... يرمي الحشا بنوافذِ النُّشّابِ

فبعثتُ جاريتي وقلتُ لها اذهبي ... قولي لها في خفيةٍ وقرابِ

أسُعيدَ ما ماءُ الفراتِ وطيبُهُ ... منّي على ظمأٍ وطيبِ شرابِ

بألذَّ منكِ وإن نأيتِ وقلَّما ... ترعى النساءُ أمانةَ الغيّابِ

إنْ تبذلي لي نائلاً أشفي بهِ ... سقمَ الفؤادِ فقد أطلتِ عذابي

وعصيتُ فيكِ أقاربي فتقطَّعتْ ... بيني وبينهمُ عرى الأسبابِ

فبقيتُ كالمُهريقِ فضلةَ مائهِ ... في حرِّ هاجرةٍ للمعِ سرابِ

ثم أتى اليها بالأبيات فأعجبت بها وأمرت جواريها بحفظها ثم وفت له بما وعدت وسلمت اليه في كل بيت عشرة دنانير . وقال : أخبرنا محمد بن خلف قال أخبرني أبو بكر العامري قال حدثني موسى بن عمر بن أفلح مولى فاطمة بنت الوليد بن عبد شمس بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم قال حدثني بلال مولى ابن أبي عتيق ، قال : قام

الحارث بن عبد الله بن عباس بن أبي ربيعة من الحج فأتاه ابن أبي عتيق ، فقال : كيف
تركت أبا الخطاب فقال هجرت الثريا عمر فقال

مَنْ رَسولي إلي الثُّريَّا فإني — ضِقْتُ ذَرْعاً بهجرِها والكتابِ
سَلَبتني مُجَّاجةُ المسكِ عقلي — فَسَلوها بما يَحِلُّ اغتصابي
أَبرَزُوها مثلَ المهاةِ تَهادَى — بين خمسٍ كَواعبٍ أَترابِ
وهيَ مَمكورَةٌ تَحيَّرَ منها — في أَديمِ الخدَّين ماءُ الشبابِ
وتَكَنَّفْنَها كَواعبُ بيضٌ — واضحاتُ الخُدُودِ والأَقرابِ
في سِخابٍ من القَرَنفُلِ والدُّرِّ — نفيسٍ واهاً لهُ من سِخابِ
قلتُ لمَّا ضَرَبْنَ بالسَّجْفِ دوني — ليسَ هذا لودِّنا بثوابِ
فتبدَّتْ حتَّى إذا جُنَّ قلبي — حالَ دوني ولائذٌ بالثيابِ
حينَ شَبَّ القَتولَ والعُنُقَ منها — حُسْنُ لونٍ يَرِفُّ كالزِّرْيابِ
ذكَّرتني ببهجةِ الشمسِ لمَّا — طلعَتْ في دُجُنَّةٍ وسَحابِ
دُميةٌ عند راهبٍ وقسيسٍ — صوَّروها في مَذْبحِ المحرابِ
فارْجَحَنَّتْ في حُسْنِ خلقٍ عَميمٍ — تَتَهادَى في مَشيِها كالحُبابِ
ثمَّ قالوا تُحِبُّها قلتُ بَهْراً — عددَ الرَّملِ والحصا والترابِ

وقال لغلامه انطلق بكتابي هذا الى ابن أبي عتيق بالمدينة فادفعه اليه فأقبل الغلام بالكتاب حتى دفعه اليه فلما قرأه قال والله أنا رسوله اليها فسار حتى قدم مكة لا يعلم به أهله فأتى منزله فوجده غائباً فانطلق غلام عمر الى عمر ، فقال : أن رجلا قدم وهو يطلبك من شأنه وهيئته كذا ، قال : ويحك ذلك ابن أبي عتيق اذهب اليه فقل له ان مولاي يأتيك الآن وكان عمر على فرسخين بل على رأس ثلاثة أميال من مكة فأتاه الغلام

فأخبره فقال أسرج لي أنت برذون عمر فان دابتي قد تعبت وكلت فأسرجه له فركب وأتى الحي فصهل البرذون وسمعت الثريا صهيله ، فقالت : لجواريها هذا هو برذون الخبيث عمر ثم دعت ببغلة لها فوضعت عليها رحلها فخرجت فاذا هي بابن أبي عتيق فقالت مرحباً بعمي ماجاء بك ياعم ، قال : أنت والفاسق جئتما بي ، قالت : أما والله لو بغيرك تحمل علينا ما أجبناه ولكن ليس لك مدفع أمره بنا نحوه فأقبل حتى انتهى الى عمر فخرج عمر اليه وقبل يده ثم قال انزل جعلني الله فداك ، فقال : ماء مكة عليّ حرام حتى أخرج منها ثم دعا ببغلته فركبها وانصرف الى المدينة وخلا عمر بالثريا • وحدث الزبير ابن بكار عن أبي محرم عن ابراهيم بن قدامة قال قال عمر بن أبي ربيعة ألا أحدثك حديثاً حلواً ، قال قلت نعم قال بينا أنا جالس اذ جاءني خالد الخريت ، فقال ياابا الخطاب هل لك في هند وصواحبها فقد خرجن الى نزهة ، قلت وكيف لي بذلك قال تلبس لبسة أعرابي وتعتم عمامته وتركب مركبه كأنك ناشد ضالة ، قال ففعلت وجئت حتى وقفت عليهن أنشد ضالتي فقلن إنزل فنزلت وقعدت أحادثهن وأغازلهن فلما رمت النهوض قالت لي هند اجلس لا جلست أنت ألا ترى أنك وقفت علينا غريباً ونحن والله وقفنا على غربتك نحن بعثنا خالداً وخدعناه وأطمعناه في أنفسنا حتى جاء بك فقال خالد صدقن والله خدعتني وخدعتك فجلست وتحدثنا فأنشدتهن ، فقالت هند ياسيدي لقد رأيتني منذ أيام وقد أصبحت عند أهلي فأدخلت رأسي في جيبي ونظرت الى هني فاذا هو ملء الكف ومنية المتمني فناديت ياعمراه ياعمراه ياعمراه ، قال عمر ، فقلت يالبيك يالبيك يالبيك ثلاثاً ومددت في الثالثة صوتي فضحكت وحادثتهن ساعة ثم ودعتهن وانصرفت فذلك قولي

عَرَفْتُ مَصيفَ الحيِّ والمُتَرَبَّعا ... ببَطنِ حُلَيَّاتٍ دَوارِسَ بَلْقَعا

إلى السَّفْحِ مِنْ وادي المُغَمَّسِ بُدِّلَتْ ... مَعالمُهُ وَبْلاً ونَكْباءَ زَعْزَعا

لِهِنْدٍ وأَترابٍ لِهِنْدٍ إذِ الهَوى ... جميعٌ وإذْ لمْ نَخْشَ أنْ يَتَصدَّعا

وإذْ نحنُ مثلُ الماءِ كانَ مِزاجُهُ ... إذا صفَّقَ السّاقي الرَّحيقَ المُشَعشَعا

وإذ لا نُطيعُ الـكاشحينَ ولا نرَى لواشٍ لَدينا يَطلُبُ الصَّرمَ مَطمعا

وقال عمر ما رأيت يوما غابت عواذله وحضرت عواذره بأحسن من يومنا ولا صبوة كصبوتنا ولا قيادة كقيادة خالد ولا أملح ولقد وصفت ذلك في شعر ، فقلت في تمام ما تقدم

أتاني رَسولٌ منْ ثلاثِ حَرائرٍ ورابعةٍ يزْكُو لها الحُسْنُ أجمعا

فقلتُ لمُطريهِنَّ في الحُسْنِ إنما ضَرَرْتَ فهلْ تسطيعُ نفعاً فتنفعا

لئنْ كانَ ما حدَّثتَ حقاً لما أرَى كمثلِ الاولى أطرَيتَ في النّاسِ أربعا

وهيَّجتَ قلباً كانَ قدْ وَدَّعَ الصبا وأشياعَهُ فاشفعْ عسَى أنْ تُشفَّعا

فقالَ تعالَ انظرْ فقلتُ فكيفَ لي أخافُ مقاماً أنْ يشيعَ ويَشنَعا

فقالَ اكتفلْ ثمَّ التثمْ وأتِ باغياً فسلّمْ ولا تُكثرْ بأنْ تَورَّعا

فإني سأخفي العينَ عنكَ ولا ترَى مخافةَ أنْ يفشو الحديثُ فيُسمَعا

فأقبلتُ أهوى مثلَ ما قالَ صاحبي لموعدهِ أزجي قعوداً موقَّعا

فلمّا تواقفنا وسلَّمتُ أشرقتْ وُجوهٌ زَهاها الحُسْنُ أنْ تتقنَّعا

تبالهنَ بالعرفانِ لمّا عرفنني فقلْنَ امرؤٌ باغٍ أضلَّ وأوضعا

فلمّا تنازعنَ الأحاديثَ قلنَ لي أخفتَ علينا أنْ نُغرَّ ونُخدَعا

فما جئتنا إلاَّ على وَفقِ موعدٍ على مَلَإٍ منّا خرَجنا لهُ معا

رأينا خَلاءً منْ عيونٍ ومجلساً دَميثَ الثَّرَى سهلَ المحلَّةِ ممرِعا

وقلنَ كريمٌ نالَ وَصلَ كرائمٍ وحقٌّ لهُ في اليومِ أنْ يتمتَّعا

وفيهنَّ هندٌ تُكمِلُ الهمَّ والمُنَى وإخداعَ عيني كلّما رُمتُ مهجعا

قال ولما أنشد عمر بن أبي ربيعة ابن أبي عتيق قصيدته التي فيها يقول

فأتتها طبّةٌ عالمةٌ تخلطُ الجدَّ مراراً باللعبْ
ترفعُ الصوتَ إذا لانت لها وتراخي عند سورات الغضبْ

قال ابن أبي عتيق امرأتي طالق ان لم يكن الناس في طلب مثل هذه منذ قتل عثمان يجعلونها خليفة فلم يقدروا عليها وأنت تريدها قوادة ، قال ولما هجا كثير بني ضمرة فقال

ويُحشرُ نورُ المسلمينَ أمامَهم ويُحشرُ في أستاهِ ضمرةَ نورُها

اشتدت بنو ضمرة عليه وعلى عزة وأرادوا قتله ووضعوا له العيون فمكث شهراً لا يصل اليها فالتقى جميل وكثير فشكى أحدهما الى صاحبه مايلقى ، فقال جميل أنا رسولك الى عزة فأخبرني بما كان بينكما ، قال آخر مالقيتها بالطلحة مع أتراب لها قال فأتاهم جميل وهو ينشد ذوداً له ففطنت عزة ، فقالت تحت الطلحة التمس ذوداً هناك فانصرف جميل فأخبر كثيرا فلما كان في بعض الليل أتيا الطلحة وأقبلت عزة وصاحبة لها فتحدثا مليا وجعل كثير يرى عزة تنظر الى جميل وكان جميلا وكثير دميما فغضب كثير وغار عليها وقال لجميل انطلق بنا قبل أن يصبح علينا الصبح فانطلقا فعند ذلك يقول

رأيتُ ابنةَ الشيليِّ عزةَ أصبحتْ كمختطبٍ ما يلقَ بالليلِ يحطبِ
وكانت تمنّينا وتزعمُ أنّنا كبيضِ الأنوقِ في الصفا المتغيّبِ

ثم قال كثير لجميل متى عهدك بثينة ، قال في أول الصيف بوادي الدم ومعها جواريها يغسلن ثياباً فخرج كثير حتى أناخ بهم وهو يقول

وقلتُ لها ياعزَّ أرسلَ صاحبي على بُعدِ دارٍ والرسولُ موكَّلُ
بأنْ تجعلي بيني وبينكِ موعدًا وأنْ تأمريني بالذي فيه أفعلُ
أماتذكرينَ العهدَ يومَ لقيتُكم بأسفلِ وادي الدّومِ والثوبُ يُغسلُ

فعلمت بثينة ما أراد فصاحت اخسأ اخسأ فقال عمها ما دهاك يابثينة ، قالت ان كلباً يأتينا

يأتينا من وراء هذا التل فيأ كل مايجد ثم يرجع فرجع كثير: وقال لجميل قد وعدتك التل فدونك فخرج جميل وكثير حتى انتهيا الى الدومات وقد جاءت بثينة فلم تزل معه حتى برق الصبح وكان كثير يقول مارأيت مجلساً قط أحسن منه: عمر بن شبة عن اسحاق بن ابراهيم الموصلي: قال حدثني شيخ من خزاعة قال ذكرنا ذا الرمة وعندنا عصمة بن مالك الفزاري وهو يومئذ ابن عشرين ومائة سنة فقال اياي فاسألوا عنه كان من أظرف الناس خفيف العارضين آدم حلو المضحك اذا أنشد اختصر وأتاني يوما فقال ان مية منقرية وان بني منقر أخبث حي وأعلمه بأثر فهل عندك من ناقة نزورها عليها قلت أي والله عندي اثنتان قال فسرنا فخرجنا حتى أشرفنا على الحي وهم خلوف فعرف النساء ذا الرمة فعدلن بنا الى بيت مي وأنخنا عندهن فقلن لذي الرمة أنشدنا ياأبا الحارث فقال أنشدهن فأنشدتهن قوله

نَظَرْتُ إلى أظعانِ مَيّ كأنها ... ذُرَى النَّخلِ أو أثْلٌ تميدُ ذوائبُه

فأسْبَلَتِ العينانِ والصدرُ كاتمٌ ... بمغرورقٍ نَمَّتْ عليه سواكبُه

بكى وامِقٌ جاءَ الفراقُ ولم تُجِلْ ... جوائلَها أسرارُهُ ومعاتبُه

فقالت ظريفة منهن إبكي اليوم فمررت فيها حتى انتهيت الى قوله

إذا سَرَحَتْ من حُبِّ مَيٍّ سوارحٌ ... على القلبِ آبَتْهُ جميعاً عوازبُه

فقالت الظريفة قتلته قتلك الله فقالت ما أصحه وهنيئاً له فتنفس ذو الرمة تنفساً كادت حرارته تساقط لحيي ثم مررت فيها حتى انتهيت الى قوله

وقد حلفَتْ باللهِ ميّةُ ما الذي ... أقولُ لها إلاّ الذي أنا كاذِبُه

إذاً فرماني اللهُ من حيثُ لا أرى ... ولا زالَ في أرضي عدوٌّ أحاربُه

فالتفتت مي الى ذي الرمة فقالت ويحك خف عواقب الله ثم أنشدت الى أن انتهيت الى قوله

إذا نازعتكَ القولَ ميّةُ أو بدَا ... لكَ الوجهُ منها أو نضا الدرعَ سالبُه

فيالكَ من خدٍّ أسيلٍ ومنطقٍ ... رخيمٍ ومن خلقٍ يعلّلُ جاذبُه

فقالت تلك الظريفة أما القول فقد نازعتك والوجه فقد بدا لك فمن لنا بأن ينضو الدرع سالبه فقالت لها ميّ قاتلك الله ما أنكر ما تجيئين به اليوم فتحادثنا ساعة ثم قالت تلك الظريفة ما أحوج هذين الى الخلوة فنهضت وسائر النساء فصرت الى بيت قريب منهما حيث أراهما فما ارتبت بشيء ولا رأيت أمراً كرهته فلبث ساعة ثم أتاني ومعه قارورة وثلاث قلائد فقال هذا طيب زودتناه ميّ وقلائد أتحفتك بها ابنة الجودى فكنا نختلف اليها حتى انقضى المربع ودعانا الصيف فرحلوا قبلنا وأتاني ذو الرمة فقال قد ظعنت ميّ فلم يبق الا الديار والنظر الى الآثار فأخرج بنا الى دارها فخرجت معه حتى اذا وقفنا عليها أنشأ يقول

ألا فاسلمي يا دارَ ميّ على البِلَى ... ولا زالَ منهلاً بجرعائكِ القطرُ

حتى أتى على آخرها ثم انهملت عيناه بعبرة: فقلت له ما هذا فقال: إني الجليد وان كان مني ما ترى فما رأيت أحداً أحسن شوقاً وصبابة وعزاء منه: وعن سليمان راوية أبي نواس: قال كنت مع أبي نواس أسير حتى انتهينا الى درب القراطيس فخرج من الدرب شيخ نصرانيّ وخلفه غلام كأنه غصن بان يتثنى كأحسن ما رأيت فقال يا سليمان أما ترى الدرة خلف البعرة: ثم قال: هل لك أن تأخذ مني رقعة فتوصلها اليه قلت بلى فكتبها ودفعها اليّ فأوصلتها اليه فاذا أملح غلام وأخفه روحاً فقال من صاحب الرقعة قلت أبو نواس: قال أين هو: قلت على باب درب القراطيس قال فليقف مكانه حتى أروح وكان في الرقعة

تمرُّ فأستحييكَ أنْ أتكلّما ... ويثنيكَ زهوُ الحسنِ عن أنْ تسلّما

ويهتزُّ في ثوبيكَ كلَّ عشيةٍ ... قضيبٌ من الريحانِ أضحى منعّما

فحسبُكَ أنَّ الجسمَ قد شفّهُ الهوى ... وأنَّ جفوني فيكَ قد ذرفتْ دما

أليسَ عجيبٌ عندَ كلِّ مُوحِّدٍ   غزالٌ مسيحيٌّ يعذِّبُ مُسلما

فلولا دخولُ النّارِ بعدَ تنصُّرٍ   عبدتُ مكانَ اللهِ عيسى بنَ مَريما

وحدثنا الجماز: قال كنت يوماً على باب عدى الدراع فمر بي أبو نواس شبيهاً بالمجنون فاذا خلفه غلام كأنه مهر عربي فقلت له مالك فقال

إنَّ الرَّزيَّةَ لا رَزيَّةَ مثلُها   عوزُ المكانِ وقدْ تهيَّا المَركَبُ

فعدلت به وبالغلام فأقاما سائر يومهما قال وكان عبيد الله بن يحيى يتعشق غلاماً من دار المتوكل يقال له رشيق فلا يصل اليه حتى طال ذلك عليه: وكان أبو الأخطل يخلفه في المركب وينبسط اليه فقال له عبيد الله يوماً يا أبا الأخطل من لي برشيق فقال الصفر الصغار والبيض الصحاح وجعل عبيد الله يلقي رشيقاً في الدار فيخلو به ويساره ويعطيه مائة دينار في كل لقية الى أن علم رشيق بما في نفس عبيد الله وكان يتعذر عليهما الاجتماع لقضاء الوطر واللذة: فركب أمير المؤمنين يوماً ومعه أبو الأخطل فطلب عبيد الله وتعمد أبو الأخطل رشيقاً فرده اليه فلما ظفر به في منزله خاليا قضى حاجته منه وركب يريد أمير المؤمنين مسرعا فوصل الى الموكب وقد تصبب عرقا فقال أبو الأخطل

لا خيرَ عندي في الخليـــلِ ينامُ عن سَهرِ الخليلِ

قولوا لأكفرِ من رأيـــتُ لكلِّ معروفٍ جليلِ

هل تشكرنَّ لي الغدا   ةَ تلطُّفي لك في الرَّسولِ

إذ نحنُ في صيدِ الجبا   لِ وأنتَ في صيدِ السُّهولِ

(ماقيل فيه من الشعر)

وتمشّيتَ في الجميلِ فأسرعـــتَ وإن كنتَ لستَ تأتي جميلا

إنَّ من مدَّ للقيادةِ رِجلاً   لحريٌّ بأنْ يكونَ نبيلا

آخر

لَهُ وَاهُ لإِيلافِ ومَلاهُ لاخْتِلافِ
لَيسَ يقرا مِنْ كِتابِ اللهِ إلاَّ لإِيلافِ

وقال آخر

إنَّ الرَّقاشيَّ مِنْ تَكرُّمِهِ بَلَّغهُ اللهُ مُنْتَهى هِمَمِه
يَبلُغُ مِنْ بِرِّهِ ورأفتهِ حُمْلانُ أضيافهِ على حُرَمِه

(ومن محاسن ذلك) حدثنا عليّ بن الحسين بن عليّ بن عثمان بن عليّ بن الحسن قال كانت ضمير جارية مولدة لميمونة بنت الحسن بن عليّ بن زيد فأدبتها وعلمتها الغناء فبرعت فيه وكانت من أحسن الناس وجهاً وبدناً وأبرعهم غناء وضرباً فأعطيت بها مولاتها عشرة آلاف دينار فلما أرادت أن تبيعها وأحضر المال بكت وقالت ياسيدتي ربيتني واتخذتني ولداً ثم تريدين بيعي فأتغرب عنك ولا أرى وجهك قالت أشهد الله ومن حضر أنك حرة لوجه الله فلما ماتت ميمونة خطبها آل أبي طالب وغيرهم فغلب عليها جعفر بن حسن بن حسين فتزوجها وأحبها حباً شديداً فقدم بها البصرة فقال عليّ بن الحسين وكان يجالسها ويسمع غناءها فأردت الخروج الى الرضى بخراسان فودعت جعفراً وخرجت فأقمت بالاهواز أياماً أتهيأ للخروج على طريق فارس فورد عليّ كتاب جعفر أنه قد وقع بينه وبين ضمير شر وأنها قد أغاظت له حتى تناولها ضرباً وانها على مفارقته وسألني القدوم لأصلح بينهما فقال عليّ بن الحسين وكانت لي حاجة بالرضى وكنت أرجو لذلك في وجهي منه ومن المأمون الغنى فلما قرأت كتابه لم أعط صبراً حتى انصرفت راجعاً الى البصرة فجئت الى جعفر فأوقفت به شيئاً وعذلا ثم أرسلت اليها أقسمت عليك بحقي الا رجعت فخرجت مرهاء شعثة وسخة الثياب حتى جلست فجلست بينهما فأقبل جعفر يعطيني من نفسه لها كل ما أريد وهي ساكتة ثم قالت ياجارية هاتي العود فأخذته فأصلحت منه حتى تغنت وهي تبكي ودموعها تكفيها

أرتجي خالقي وأعلمُ حقاً　　أنهُ ما يشاء ربي كفاني

لا تلمني وارفق خليلي بشاني　　إنهُ ما عناكَ يوماً عناني

قال عليّ بن الحسين فوالله مارأيت أحسن منها ولا أرق من غنائها بهذا الصوت فما برحت حتى اصطلحا والمغنى والله عن الغنى فأقمت بالبصرة * * وعن الكلبي قال بينا عمر ابن أبي ربيعة يطوف بالبيت في حال نسكه فاذا هو بشاب قد دنا من شابة ظاهرة الجمال فألقى اليها كلاماً فقال له عمر ياعدو الله في بلد الله الحرام وعند بيته تصنع هـذا فقال ياعماه انها ابنة عمي وأحب الناس اليّ واني عندها لكذلك وماكان بيني وبينها من سوء قط أكثر مما رأيت قال ومن أنت قال أنا فلان بن فلان قال أفلا تتزوجها قال أبى عليّ أبوها قال ولم قال يقول ليس لك مال فقال انصرف والفتى فلقيه بعد ذلك فدعى ببغلته فركبها ثم أتى عم الفتى في منزله فخرج اليه فرحا بمجيئه ورحب وقرب فقال ما حاجتك ياأبا الخطاب قال لم أرك منذ أيام فاشتقت اليك قال فأنزل فأنزله وألطفه فقال له عمر في بعض حديثه إني رأيت ابن أخيك فأعجبني تحركه وما رأيت من جماله وشبابه قال له أجل مايغيب عنك أفضل مما رأيت قال فهل لك من ولد قال لا الا فلانة قال فما يمنعك أن تزوجه إياها قال إنه لامال له قال فان لم يكن له مال فلك مال قال فاني أضن به عنه قال لكني لاأضن به عنه فزوجه واحتكم قال مائة دينار قال لم فدفعها عنه وتزوجها الفتى وانصرف عمر الى منزله فقامت اليه جارية من جواريه فأخذت رداءه وألقى نفسه على فراشها وجعل يتقلب فأتته بطعام فلم يتعرض له فقالت أظنك والله قد وجدت بعض ماكان يعرض لك من حكم النساء فلا تكتمها فقال هاتي الدواة فكتب

تقولُ وليدتي لما رأتني　　طربتُ وكنتُ قد أقصرتُ حينا

أراكَ اليومَ قد أحدثتَ شوقاً　　وهاجَ لكَ الهوى داءً دفينا

وكنتَ زعمتَ أنكَ ذو عزاء　　إذا ما شئتَ فارقتَ القرينا

بعيشكَ هل أتاكَ لها رسولٌ　　يسرُّكَ أم لقيتَ لها خدينا

فقلتُ شكا إليَّ أخٌ مُحِبٌّ   كبعضِ زمانِنا إذْ تعلمينا

وذو القلبِ المُصابِ ولو تعزّى   مشوقٌ حينَ يلقي العاشقينا

فقصَّ عليَّ ما يلقى بهندٍ   وأشبهَ ذاكَ ما كُنّا لقينا

فكمْ من خُلّةٍ أعرضتُ عنها   وكنتُ بودِّها دهراً ضنينا

أردْتُ فراقَها فصبرْتُ عنها   ولوْ جُنَّ الفؤادُ بها جُنونا

قال ، وقال عمر بن أبي ربيعة بينا أنا خارج محرما اذ أتتني جارية كأنها دمية في صفاء اللجين في ثوب قصب كقضيب على كثيب فسلمت عليّ وقالت أنت عمر بن أبي ربيعة فتى قريش وشاعرها قلت أنا والله ذاك قالت فهل لك أن أريك أحسن الناس وجهاً قلت ومن لي بذلك قالت أنا والله لك بذلك على شريطة قلت وما هي قالت أعصبك وأربط عينيك وأقودك ليلا قلت لك ذاك قال فاستخرجت معجراً من قصب تحجرني به وقادتني حتى أتت بي مضرباً فلما توسطته فتحت المعجارة عن عيني فاذا أنا بمضرب ديباج أبيض مزرر بحمرة مفروش بوشي كوفيّ وفي المضرب ستارة مضروبة من الديباج الأحمر عليها تماثيل ذهب ومن ورائها وجه لم أحسب أن الشمس وقعت على مثله حسناً وجمالا فقامت كالخجلة وقعدت قبالتي وسلمت عليّ تخيل لي أن الشمس تطلع من جبينها وتغرب في شقائق خدها قالت أنت عمر بن أبي ربيعة فتى قريش وشاعرها قلت أنا ذاك يامنتهى الجمال قالت أنت القائل

بينما ينعتنَني أبصرنَني   دونَ قيدِ الميلِ يعدو بي الأغرّْ

قالتِ الكُبرى أما تعرفنَ ذا   قالتِ الوُسطى بلى هذا عُمرْ

قالتِ الصغرى وقد تيَّمتُها   قد عرفناهُ وهل يخفى القمرْ

قلت أنا والله قائلها ياسيدتي قالت ومن هؤلاء قلت ياسيدتي والله ماهو عن قصد مني ولا في جارية بعينها ولكني رجل شاعر أحب الغزل وأقول في النساء قالت

ياعدو الله يافاضح الحرائر أنت قد فشا شعرك بالحجاز وأنشده الخليفة والامراء ولم يكن في جارية يمينها ياجوارى أخرجنه فخرجت الوصائف فأخرجنني ودفعنني الى الجارية فعجرتني وقادتني الى مضربي فبت بليلة كانت أطول من سنة فلما أصبحت بقيت هائماً لاأعقل ماأصنع فما زلت أرقب الوقت فلما كان وقت المساء جاءتني الجارية وسلمت عليّ وقالت ياعمر هل رأيت ذلك الوجه قلت أي والله قالت فتحب أن أريكه ثانية قلت اذا تكرمت فتكونين أعظم الناس عليّ منة فقالت على الشريطة فاستخرجت المعجر وعجرتني وقادتني فلما توسطت المضرب فتحت العصابة عن وجهي فاذا أنا بمضرب ديباج أحمر مدنّر ببياض مفروش بفرش أرمني فقعدت على نمرقة من تلك النمارق فاذا أنا بالشمس الضاحية قد أقبلت من وراء الستر تمايل من غير سكر فقعدت كالخجلة فسلمت عليّ وقالت أنت عمر بن أبي ربيعة فتى قريش وشاعرها قلت أنا ذاك قالت أنت القائل

وناهدَةَ الثَّدْيينِ قلتُ لها اتّكي	على الرَّملِ في دَيْمومةٍ لمْ توَسَّدِ
فقالتْ على اسْم اللهِ أمرُكَ طاعةٌ	وإنْ كنتُ قدْ كُلِّفتُ مالمْ أُعوَّدِ
فما زلتُ في ليْـلٍ طويلٍ ملثّماً	لذيذَ رُضابِ المسكِ كالمتشهّدِ
فلمّا دَنا الاِصْباحُ قالتْ فضحتني	فقمْ غيرَ مطرودٍ وإنْ شئتَ فازْدَدِ
فما ازْدَدْتُ منها واتّشحتُ بمرْطها	وقلتُ لعينيَّ اسفَحا الدّمعَ منْ غد
فقـامتْ تُعفّي بالرِّداءِ مكانَها	وتَطلُبُ شَذْرًا منْ جُمانٍ مُبدَّد

قلت أنا قائلها قالت فمن الناهدة الثديين قلت ياسيدتى قد سبق في الليلة الأولى والله ماهو مني قصد ولا في جارية بعينها ولكني رجل شاعر أحب الغزل وأقول في النساء قالت ياعدو الله أنت قد فشا شعرك بالحجاز ورواه الخليفة وتزعم أنه لم يكن في جارية بعينها ياجوارى ادفعنه فوثبت الجوارى فأخرجنني ودفعنني الى الجارية فعجرتني وقادتني الى مضربي فبت في ليلة كانت أطول من الليلة الأولى فلما أصبحت أمرت بخلوق فضرب لي وبقيت أرقب الوقت هائماً فلما كان وقت المساء جاءتني الجارية فسلمت عليّ وقالت

يا عمر هل رأيت ذلك الوجه قلت أي والله قالت أفتحب أن أريكه الثالثة قلت اذاً تكونين أعظم الناس عليّ منة قالت على الشريطة قلت نعم فاستخرجت المعجر وعجرتني به وقادتني حتى أتت بي المضرب فلما توسطته فتحت العصابة عن عيني فاذا أنا في مضرب ديباج أخضر مدبَّر بحمرة مفروش بخز أحمر واذا أنا بالشمس الضاحيـة قد أقبلت من وراء الستر كور الجان فسلمت عليّ وقالت أنت عمر بن أبي ربيعة فتى قريش وشاعرها قلت أنا ذاك قالت أنت القائل

نَعَبَ الغُرَابُ بِبَيْنِ ذاتِ الدُّمْلُجِ ... ليتَ الغُرَابَ بِبَيْنِها لمْ يَشحَجِ

مازِلْتُ أَتْبَعُهُمْ واتبَعُ عِيسَهُمْ ... حَتّى دُفِعْتُ إلى رَبِيبَةِ هَوْدَجِ

قالتْ وعيشِ أخي وحُرْمةِ والدي ... لأُنَبِّهَنَّ الحيَّ إنْ لمْ تَخْرُجِ

فلثَمْتُ فاها آخِـذًا بِقُرُونِها ... شُرْبَ النَّزِيفِ بِبَرْدِ ماءِ الحَشْرَجِ

فتناوَلتْ كفِّي لتَعرِفَ مَسَّها ... بمُخَضَّبِ الأَطرافِ غيرِ مُشَنَّجِ

قلت أنا قائلها ، قالت : ياعدو الله أنت الذي فضحتها وغضك وجهي من وجهك حرام ان عدت اليّ ياجواري أخرجنه فوثب اليّ الوصائف وأخرجنني ودفعنني الي الجارية فعجرتني وقادتني وقد كنت عند خروجي من مضربي ضربت يدي بالخلوق وأسدلت عليها ردائي فلما صرت الى باب مضربها أخرجت يدي ووضعتها على جانب المضرب وضعا بينا فلما أصبحت صحت بغلماني وعبيدي ولي ألف عبد من أتاني بخبر المضرب الذي ضرب فيه بكذا وكذا فهو حر لوجه الله فلما كان في وقت المساء أتاني وليدة سوداء ، فقالت : قد عرفت المضرب وهو لرملة أخت عبد الملك بن مروان فأعتقتها وأمرت لها بمائتي دينار وأمرت بمضربي فقلع وضرب بحذاء مضربها وكتب بالخبر الى عبد الملك بن مروان فكتب اليها بالرحيل فركبت هودجها وركبت فرسي فزاحمتها في بعض الطريق فأشرفت عليّ من هودجها ، فقالت : اليك عني أيها الرجل ، قلت : خاتم أو قميص أذكرك به ، فقالت : لبعض جواريها ألقي اليه قميصا من قمصي فأخذته

وأنا أقول

فلا وأَبيكَ ما صوتُ الغَواني ... ولا شُرْبُ الَّتي هيَ كالفُصوصِ

أَرَدْتُ برِحلتي وأُريدُ حظًّا ... ولا أَكلَ الدَّجاجِ ولا الخَبيصِ

قَميصٌ ما يُفارِقُني حَياتي ... أَنيسٌ في المُقامِ وفي الشُّخوصِ

وجعلت أنزل بنزولها وأركب بركوبها حتى كنا من الشام على ثلاث مراحل فاستقبلها عبد الملك فى خاصته فدخل اليها ، ثم قال : يارملة ألم أنهك أن تطوفى بالبيت الا ليلا يحفك الجواري ويحف الجوارى الخدم ويحف الخدم الوكلاء لئلا يراك عمر بن أبي ربيعة ، قالت والله وحياة أمير المؤمنين ما رآني ساعة قط تخرج من عندها فبصر بمضربى ، فقال : لمن المضرب قيل لعمر بن أبي ربيعة ، قال : عليّ به فأتيته بلا رداء ولا حذاء فدخلت عليه وسلمت عليه فقال ياعمر ماحملك على الخروج من الحجاز من غير إذني ، قلت : شوقا اليك يا أمير المؤمنين وصبابة الى رؤيتك فاطرق مليا ينكت فى الأرض بيده ثم رفع رأسه فقال ياعمر هل لك فى واحدة ، قلت : وماهي ياأمير المؤمنين قال رملة أزوجكها ، قلت : ياأمير المؤمنين وان هذا لكائن ، قال : أي وربّ السماء ثم قال قد زوجتك فادخل اليها من غير أن تعلم فدخلت عليها فقالت من أنت هبلتك أمك فقلت ياسيدتي أنا المعذب فى الثلاث فارتحلت وأنا عديلها فانشأت أقول

لَعَمْري لقد نِلْتُ الذي كنتُ أرتجي ... وأصبحتُ لا أخشى الذي كنتُ أَحذَرُ

فليسَ كمِثْلي اليومَ كِسرَى وهُرْمُزٌ ... ولا المَلِكُ النُّعمانُ مثلي وقيصَرُ

فلم أزل معها بأحسن عيش وغبطة

***

محاسن الرجب

الأصمعي ، قال : أخبرني رجل من بني أسد أنه خرج فى طلب ابل قد ضلت

فبينا هو يسير في بلاء وتعب وقد أمسى في عشية باردة اذ رفعت له أعلام ، قال : فقصدت بيتا منها فاذا أنا بامرأة جميلة ذات جزالة فسلمت فردت عليّ السلام ، ثم قالت : ادخل فدخلت فبسطت لي ومهدت واذا في حجرها صبي أطيب ما يكون من الولدان فبينا هي تقبله اذ أقبل رجل أمام الابل دميم المنظر ضئيل الجسم كأنه بعرة دمامة واحتقاراً فلما بصر به الصبي هش اليه وعدا في تلقائه فاحتمله وجعل يقبله ويفديه ، فقلت : في نفسي أظنه عبداً لها فجاءني ووقف بباب الخيمة وسلم فرددت عليه السلام ، فقال : من ضيفكم هذا فأخبرته فجلس الى جانبها وجعل يداعبها فطفقت أنظر اليها تارة واليه أخرى أتعجب من اختلافهما كأنها الشمس حسنا وكأنه القرد قبحاً ففطن لنظرى ، وقال : يا أخا بني أسد أرى عجبا ، قل : تقول أحسن الناس وجهاً وأقبح الناس وجهاً فليت شعرى كيف جمع بينهما أخبرك كيف كان ذلك ، قلت ما أحوجني الى ذلك ، قال : كنت سابع اخوتي كلهم لو رأيتني معهم لظننتني عبداً لهم وكان أبي واخوتي كلهم أصحاب إبل وخيل وكنت من بينهم مطروحا لكل عمل دنيّ للعبودية تارة ولرعي الابل أخرى فبينا أنا ذات يوم تعب مكتئب اذ ضلّت لنا بعير فتوجه اخوتي كلهم في بغائه لم يقدروا عليه فأتوا أبي وقالوا ابعث فلانا ينشد لنا هذا البعير فدعاني أبي وقال اخرج فانشد هذا البعير ، فقلت : والله ما أنصفتني ولا بنوك أما اذا الابل درت ألبانها وطاب ركوبها فأنتم جماعة أهل البيت أربابها واذا ندّت ضلالها فأنا باغيها ، فقال قم يالكع فاني أراه آخر يومك فغدوت مقهوراً خلق الثياب حتى أتيت بلاداً لا أنيس بها فطفقت يومي ذلك أجول القفر فلما أمسيت رفعت لي أبيات فقصدت أعظم بيت منها فاذا امرأة جميلة مخيلة للسؤدد والجزالة فبدأتني بالتحية وقالت انزل عن الفرس وأرح نفسك فأتتني بعشاء فتعشيت وأقبلت هذه تسخر مني وتقول ما رأيت كالعشية أطيب ريحاً منك ولا أنظف ثوبا ولا أجمل وجها ، فقلت : ياهذه دعيني وما أنا فيه فاني عنك في شغل شاغل فأبت عليّ ، وقالت هل لك أن تلج عليّ السجف اذا نام الناس فأغراني والله الشيطان فلما شبعت من القرى وجاء أبوها واخوتها فنجعوا أمام الخيمة قمت وركزته برجلي ، قالت ومن أنت ، قلت الضيف ، قالت لا حياك الله اخرج عليك لعنة الله فعلمت أني لست

في شيءٍ من أمرها فوليت راجعاً فوافقني كلب لهم كأنه السبع لا يطاق فأراد أكلي فأنشب أنيابه في مدرعة صوف كانت عليّ وجعل يمزقني فرددّني القهقرى وتعذر عليّ الخلاص فأهويت أنا والكلب من قبل عقبي في بئر فأحسن الله اليّ أنه لا ماء فيها فلما سمعت المرأة الواغية أتت بحبل فأدلته وقالت ارتق أملك الله فوالله لولا أنه يقتص أثري غداً لوددت أنها قبرك فاعتنقت الحبل فلما كدت أن أتناول يدها قضي أن تهوّر ما تحت قدميها فاذا أنا وهي والكلب في قرار البئر بئر أيما بئر انما هي حفرة لاطيّ لها ولا مرقاة كأشد بلية بنا عضا الكلب ينبح من ناحية وهي تدعى بالويل والثبور من ناحية وأنا منقبع قد برد جلدي على القتل من ناحية فلما أصبحت أمها فقدتها فلما لم ترها أتت أباها فقالت ياشيخ أتعلم أن ابنتك ليس لها أثر يحس وكان أبوها عالماً بالآثار تابعاً لها فلما وقف على شفير البئر ولى راجعاً فقال لولده يابنيّ أتعلمون أن أختكم وضيفكم وكلبكم في البئر فبادروا كالسباع فمن بين آخذ حجراً وآخر سيفاً أوعصا وهم يومئذ يريدون أن يجعلوا البئر قبري وقبرها الما وقفوا على شفير البئر قال أبوهم ان قتلتم هذا الرجل طولبتم بدمه وان تركتموه افتضحتم وقد رأيت أن أزوجها اياه فوالله مايقدح لها في نسب ولا في حسب ثم قال لي أفيك خير فلما شممت روح الحياة وثاب اليّ عقلي ، قلت : وهل الخير كله الا فيّ فهات احتكم ، فقال : مائة بكرة وبكرة وجارية وعبد ، فقلت لك ذلك وان شئت فازدد فأخرجت أولا والكلب ثانياً وأخرجت ثالثاً فأتيت أبي ، فقال لا : أفلحت فأين البعير ، قلت أربع عليك أيها الشيخ فانه كان من القصة كيت وكيت . قال أفعل والله ولا أخذلك فدعا بالابل فأعدّ منها مائة بكرة وبكرة وسقناها مع جارية وعبد وأخذت منه هذه غرة نفسها ،قال هي والله كذلك وجعلت تصدق عن حديث زوجها صدوق المهرة العربية سمعت لجامها وربما قالت لا أطاب الله خبرك

ضده مساوي الرجب

قال وقيل لخراش الاعرابي حدثنا ببعض هناتك ، قال : خرجت في بغاء ذود لي فدفعت في عشية شاتية الى أخبية كثيرة فضافوا وحيوا ورحبوا فلما أردت النوم أقاموا فتاة لهم من موضع بينها وجعلوني مكانها لئلا أتأذى بالغنم واني لمضطجع اذا أنا بيد انسان يجامشني ويريد في الظلمة مؤاتاتي فقعدت فاذا أنا برجل يمد يده ومعه علبة فيها أرنب مشوية فأخذتها وجعلتها في شيء كان معي ثم مد يده ثانياً فناولته يدي فأقبضني على غرمول كمثل الوتد فلم أفزعه ولم أره وحشة وجردت ماعندي وتناولت يده فأقبضته على مثل ماأقبضني عليه ففطن ورمى بملحفة خز كانت عليه ووثب مذعوراً فنفرت الابل وهاجت الغنم وكدت أغشى لما بي من الضحك وأخفيت مابي وكتمته فلما أصبحت ركبت راحلتي ومعي الملحفة والعلبة والأرنب فلما امتد الضحى اذا أنا بابل فأخذت نحوها فاذا شاب حسن الهيئة فسلمت فرد السلام ثم قال ان كان معك مانأكل نصب من هذا الوطب فأخرجت العلبة فلما رآها عرفها وقال انك هو ، قلت وما هو ، قال صاحب البارحة ، قلت نعم ان كنت إياه ، قال الحمد الله الذى أتى بك لو لم تأت لظننت انى أوسوس وذلك انى لصاحبة الستر عاشق وتعلم مافعلت وفعلت البارحة ولا تطيقت له حتى ابتلانى الله بك البارحة وجعلت أقول حين أقبضتني عليه أتراها تحولت رجلا وانى لفي شك من أمرى حتى أتانى الله بك: فأكلت أنا وهو الأرنب وشربنا من اللبن وصرنا أصدقاء: الاصمعي ، قال أتى خالد بن عبد الله اعرابي فأضافه وأحسن اليه وبذل له صحن الدار فلما كان في بعض الليل أشرف عليه يتعاهد منه ما كان يتعاهد من ضيفه فاذا هو قد دب على جارية وهو على بطنها فأعرض عنه فما لبث الاعرابي ان فرغ وقام يمسح فيشلته بالحائط فضربته عقرب فصاح واستغاث وأشرف خالد عليه وهو يقول

وداري إذَا نامَ سُكَّانُها تُقيمُ الحُدُودَ بها العقرَبُ

إذا غفَلَ النَّاسُ عن دِينِهِمْ فإنَّ عقارِبَنا تغضَبُ

قال وكان اعرابي ضيفاً لقوم فنظر الى جارية جميلة فدب اليها فاذا عجوز فى صحن الدار تصلى فعاد الى فراشه ثم عاودها فنبح الكلب ثم عاد اليها فاذا القمر قد طلع فأنشأ يقول

لمْ يَخلُقِ اللهُ خلقاً كنتُ أكرَهُهُ إلاّ العجوزَ وعينَ الكلبِ والقمرِ
هذا يَصيحُ وهذا يُستضاءُ بهِ وهذهِ شيخةٌ قوّامةُ السَّحَرِ

وقال وشرب سعيد بن حميد البصرى عند راشد فدب على غلامه فكتب اليه سعيد

ما سَمِعْنا مِنْ قبلها بأديبٍ بارعِ الظَّرْفِ ماجدٍ قمقامِ
ضلّ عنهُ وهوَ المهذّبُ علماً فتكاتُ الكؤوسِ بالأحلامِ
أينَ ما جاءَ منْ حديثِ رسولِ الـــلهِ مولايَ سيّدِ الحكّامِ
ما على مُثقَلٍ منَ النَّومِ والسكـــرانِ عيبٌ فيما أتى منْ أثامِ
ثمّ أينَ الذي بهِ حكَمَ المأ مونُ فى الظَّرْفِ منهُ والإسلامِ
أيّما ماجـــدٍ أرادَ سُروراً باجتماعٍ منْ معشرِ النُّدّامِ
فعليهِ طيُّ البساطِ بما قــدْ سنّهُ السكرُ منْ قبيحٍ وذامِ
حُلْتَ بيني وبينَ عقلى بأرْطا لكَ والمترَعاتِ منْ كلِّ عامِ
ثمّ وكّلتَ في العُسوفِ رَشيقاً فسقاني بطرْفـهِ والمُدامِ
ثمّ باكرْتني بعتْبِكَ واللوْ مِ لقدْ حِدْتَ عنْ سبيلِ الكرامِ
وتعَضّبْتَ أنّني قدْتُ عمْرًا ثمّ ثنّيتُ بعـــدَهُ بغرامِ
هلْ رأيتَ الإلهَ يأخذُ مجنو ناً بسكْرٍ أو حالماً فى منامِ
لنْ تراني مُعاشراً لكَ ما عشـــتُ ولوْ دُمْتَ عائشاً ألفَ عامِ

أو ترى تائباً وتستغفرَ اللـــهَ لِما كانَ من شنيعِ الكلامِ

فأجابه راشد فقال

يا أبا جعفرٍ سليلَ المعالي ونجيبَ الأخوالِ والأعمامِ
إن يكنْ قد أتاكَ عني مزحٌ لم يكنْ عن حقيقةٍ في الكلامِ
أو أكنْ فيه كالذي كانَ يغدُو بِـملامٍ عليكَ في اللُّوَّامِ
إنني عالمٌ بأنكَ لم تأ تِ قبيحاً ولا ارتكابَ الإثامِ
هوَ ذنبُ المُدامِ لا ذنبُ خِلٍّ لم يزلْ حافظاً لعهدِ النّدامِ
ثمّ ذنبُ العيونِ يا ابنَ حميدٍ فلهُ الذنبُ بعدَ إستِغرامِ
قصدا في طريقِ أيركَ حتّى عرّضاهُ للظنِّ والإتهامِ
فتعمّدْ أخاكَ بالصفحِ فالصفـــحُ دليلٌ على سجايا الكرامِ
إنني تائبٌ وأستغفرُ اللـــهَ لما كانَ من شنيعِ الكلامِ

ماقيل في ذلك من الشعر

فما أعينٌ عشرٌ على ساقِ نرجسٍ تُضاحِكُ عينَ الشمسِ بالمقَلِ الصُّفْرِ
بأحسنَ ممّنْ زارني بعدَ هجعةٍ يميسُ هويناً في الظلامِ على ذُعْرِ

قال ودب رجل على قينة في مجلس فغنت

ماذا يُشوّشُ طُرّتي ياقومِ في وقتِ السَّحَرْ
ماذا يُسالِجُ تِكّتي وَيْلاهُ عذّبني السّهرْ

وقال عليّ بن حمزة

مُتورِّدُ الخدّينِ مِنْ خَجَلٍ مُتخاذِلُ الأعضاءِ مِنْ كَسَلِ

خاضَ الدُّجا والشَّوقُ يحمِلهُ   وأتاكَ يمشي غيرَ مُتَّصِلِ
ما راعني إلاّ تدافعُـــــهُ   كالغصنِ بينَ الصَّدرِ والكَفَلِ

وقال عمر بن أبي ربيعة المخزومي

قالتْ وأبثثتُها سِرّي وبحتُ بهِ   قد كُنتَ عندي تحبُّ السترَ فاستترِ
ألستَ تُبصِرُ مَن حولي فقلتُ لها   غطّى هواكِ وماألقى على بَصَري

..

محاسن الباه

حكي عن عالج جارية مكشوح أنها حدثت مولاتها أنها كانت تغتسل كل يوم فسألتها عن ذلك ، فقالت بلغني أنه يجب على المرأة ما يجب على الرجل بعد احتلامه ، قالت أو تحتلمين ، قالت إنه لاتأتي عليّ ليلة لا أجامع فيها الا وأحتلم ، قلت فكيف يكون ذلك قالت أرى كأن رجلا جامعني ولقدرأيت ليلة كأني مررت بدكان أبي مالك الطحان وبغل له واقف قد أدلى ورماني تحته وأولجه فاحتلمت ثم انتبهت وأنا أجد معكة في مراقّ بطني ولذة في سويداء قلبي وكان هذا البغل اذا أدلى حك الارض برأس أيره وضرب به في بطنه فترى الغبار يتطاير عن يمينه وشماله ، قال وكانت مهدية بنت جبير التغلبية تقول ما في بطن الرجل بضعة أحب الى المرأة من بضعة نياط بمعقد الحالبين ومنفرج الرجلين. حدثني جهم ، قال قلت لامرأة من كلب ماأحب الأشياء من الرجال الى النساء قالت مايكثر الاعداد ويزيد في الاولاد حربة في غلاف نياط بحقوي رجل جاف اذا خافس أوهى واذاجامع أنجى ، قال وقال أبو ثمامة لامرأة من زبيد وهي تبكي عند قبر من الميت قالت كان يجمع بين حاجبي والساق ويهزني هز الصارم الاعناق وواقه لولا ما ذكرته لك ما استهلت بالدموع عيناي وقد كذبتك امرأة تبكي على زوجها لغير ما أعلمتك .. قال وركب الرشيد حمارا مصريا وطاف على جواريه، فقالت له واحدة يامولاي ما أكثر

ما تركب هذا الحمار ، قال لانه يسبُّ طيفور ، قالت فمن يسبُّ طيفور يركب ، قال نعم قالت ففي حِرِ أمّ طيفور ، قال فنزل وواقعها وأنشد في مثله

نَظَرْتُ إليها حين مرّتْ كأنّها ... على ظَهْرِ عاديّ فتاةٌ من الجِنِّ
ولي نَظْرةٌ لو كانَ يحْبلُ ناظرٌ ... بنظرَتهِ انثى لقدْ حبلتْ مني

ضده في مساوي العنين

قال بعضهم تزوج العجاج امرأة يقال لها الدهناء بنت مسحل فلم يقدر عليها فشكت ذلك الى أهلها فسألوه فراقها فأبى وقال لأبيها تطلب لابنتك الباه ، قال نعم عسى أن ترزق ولداً فان مات كان فرطاً وان عاش كان قرة عين فقدموه الى السلطان فأجله شهراً ثم قال

قدْ ظنّتِ الدّهنا وظنّ مسحَلُ ... أنّ الأميرَ بالقضاء يَعْجلُ
عنْ كسلاتي والحصانُ يكسَلُ ... عنِ السفادِ وهوطرْفٌ هيكلُ

ثم أقبل على امرأته فضمها الى صدره فقالت

تنحّ لن تملكني بضمِّ ... ولا بتقبيلٍ ولا بشمِّ
إلاّ بزعزاعٍ يسلّي همّي ... يَسقُطُ منهُ فتخي في كمّي
يَطيرُ منهُ حزَني وغمّي

ابن أبي الدنيا أن اعرابياً أخبره أن امرأة منهم زفت الى رجل فعجز عنها فتذاكر الحي أمر الضعفاء من الأزواج عن الباه وامرأة الاعرابي تسمع فتكلمت بكلام ليس في الأرض أعف منه ولا أدل على عجز الرجل عن النساء فقالت متمثلة

تَبيتُ المَطايا حائداتٍ عن الهُدى ... إذا ما المَطايا لمْ تجِدْ منْ يقيمُها

الرقاشي ،، قال حدثني أبو عبيدة قال سمعت ناساً من الحجاز يقولون تزوج رجل منا امرأة فعجز عنها الا أنه اذا لامسها ابتأر فيها فقضى أن حملت وما مكثت الا أن رأس ولدها فجلس في المجلس فقال له قائل لقد جئت من بلل قليل ، قال جئت من بلل لو أصاب مفيض أمك لكان كما قال الشاعر

رَطْبُ الطِّبَاعِ إِذا حَرَّكْتَ جَوهَرَهُ　　وَجَدْتَ أَعضاءهُ تُغْرَقُ من البَلَلِ

ولم أُهَجِّنْهُ إلاَّ أنَّهُ رَجُلٌ　　قَلَّتْ سَلاَمَتُهُ من جانبِ الكَفَلِ

الهلالي ،، قال رأيت وافر بن عصام يساير المهدي فحدثه بحديث فضحك ، فقلت له حدثني ما حدثت به المهدي ، قال سألني ماعندك للنساء ، فقلت مالهن عندي الاحديث ابن حزم ، قال وما حديثه ، قلت عُمِّرَ حتى بلغ الثمانين فتزوج ابنة عم له فلما أهديت اليه قعد بين شقيها فأكسل وأراق على بطنها فأقبل عليها كالمعتذر ، فقال هذا خير من الزناء ، قالت كل ذلك لاخير فيه ، قال وشكت امرأة زوجها وأخبرت عن عجزه أنه اذا سقط عليها انطبق والنساء يكرهن وقوع الرجل على صدورهن فقالت زوجي عياياء طباقاء وكل داء له داء وقيل في ذلك

جزاكَ اللهُ شرًّا من رفيقٍ　　إذا بَلَغَتَ من رَكْبِ النِّساءِ

رَماكَ اللهُ من عِرقٍ بأفعى　　ولا عافاكَ من جَهْدِ البلاءِ

أجُبْنًا في الكَرِيهةِ حِينَ تَلقى　　ونَمْظًا حِينَ تَبْرُزُ في الخَلاءِ

***

محاسن النيروز والمهرجان

قال الكسروي كان أول من أبدع النيروز وأسس منازل الملوك وشيد معالم السلطان واستخرج الفضة والذهب والمعدن واتخذ من الحديد آلات وذلل الخيل وسائر الدواب

واستخرج الدر وجلب المسك والعنبر وسائر الطيب وبنى القصور واتخذ المصانع وأجرى الأنهار كياخسرو بن أبروزجهان وتفسيره حافظ الدنيا ابن ارنخشد بن سام بن نوح عليه السلام وكان الأصل فيه أنه في التسيروز ملك الدنيا وعمر أقاليم إيران شهر وهي أرض بابل فيكون النيروز في أول ما اجتمع ملكه واستوت أسبابه فصارت سنة وكان في ملكه ألف سنة وخمسين سنة ثم قتله البيوراسف وملك بعده ألف سنة الى أفريدون ابن أثفيان وفيه يقول حبيب .

وَكَأَنَّهُ الضَّحَّاكُ في فَتَكَاتِهِ ... بالعَالَمِينَ وأنتَ أَفْرِيدُونُ

فطلب البيوراسف وملك بعده ألف سنة وخمسين سنة وأسره بأرض المغرب وكبله وسجنه بجبل دنباوند واستوفى عدة ما كتب الله له من عمره واتفق لافريدون سجن البيوراسف يوم النصف من مهرماه ومهرروز فسمي ذلك اليوم المهرجان فالنيروز لجم والمهرجان لافريدون والنيروز أقدم من المهرجان بألفي وخمسين سنة وقسم جم أيام الشهر وجعل الخمسة الأيام الأولى للأشراف وبعدها خمسة أيام نيروز الملك يهب فيها ويصل ثم بعدها خمسة أيام لخدم الملك وخمسة أيام لخواص الملك وخمسة لجنده وبعدها خمسة أيام للرعاع فذلك ثلاثون يوماً وابتدع المهرجان أفريدون لما أسر البيوراسف روزمهر وكان الملك اذا لبس زينته ولزم مجلسه في هذين اليومين أتاه رجل رضيّ الاسم مختبر باليمن طلق الوجه ذلق اللسان فيقوم قبالة الملك ويقول ائذن لي بالدخول فيسأله من أنت ومن أين جئت وأين تريد ومن سار بك ومع من قدمت وما الذى معك فيقول جئت من عند الأيمنين وأريد الأسعدين وسار بي كل منصور واسمي خجسته أقبلت مع السنة الجديدة وأوردت الى الملك بشارة وسلاماً ورسالة فيقول الملك ائذنوا له فيقول له الملك أدخل ويضع بين يديه خواناً من فضة قد جمع فى نواحيه أرغفة قد خبزت من أنواع الحبوب من البر والشعير والدخن والذرة والحمص والعدس والأرز والسمسم والباقلى واللوبيا وجمع من كل صنف من هذه الحبوب سبع حبات فجعل في جوانب الخوان ووضع في وسطه سبعة من قضبان الشجر التي يتفاءل بها وباسمها

ويتبرك بالنظر اليها كالخلاف والزيتون والسفرجل والرمان منها ما يقطع على عقدة ومنها على عقدتين ومنها على ثلاثة ويجعل كل قضيب باسم كورة من الكور ويكتب في مواضع ابزود وابزائد وابزون وبروار وفراخي وفراهيه تأويله زاد ويزيد وزيادة ورزق وفرح وسعة ويوضع سبع سكرّجات بيض ودراهم بيض من ضرب سنته ودينار جديد وضغث من أسپند ويتناول ذلك كله ويدعوا له بالخلود ودوام الملك والسعادة والعز ولا يؤاس يومه في شيء اشفاقاً من أن يبدو منه ما يكره فجرى على سنته وكان أول ما يقدم اليه صينية ذهب أو فضة عليها سكر أبيض وجوز هندي مقشر رطب وجامات فضة أو ذهب ويبتدئ باللبن الحليب الطري منه قد أنقع فيه تمر طري فيتناول بالنارجيل تمرات ويتحف من أحب منه ويذوق ما أحب من الحلوى وكان يرفع في كل يوم من أيام النيروز باز أبيض وكان مما يتيمن بابتدائه في هذا اليوم لقمة من اللبن الصرف الطري والجبن الطري وكان جميع ملوك فارس يتبركون بذلك وكان يسرق له في كل يوم نيروز ماء في جرة من حديد أو فضة ويقول استرق هذا الأسعدين ويحمل الأيمنين وجعل في عنق الجرة قلادة من يواقيت خضر منظمة في سلك الذهب ممدود فيها خرز من زبرجد أخضر ولم يكن يسرق ذلك الماء الا الأبكار من أسافل دارات الأرحاء وصنائع الفنى فكان متى اجتمع النيروز في يوم سبت أمر الملك لرأس الجالوت بأربعة آلاف درهم ولم يعرف له سبب أكثر من أن السنة جرت منهم بذلك فصارت كالجزية فكان يبنى قبل النيروز بخمسة وعشرين يوماً في صحن دار الملك اثنتا عشرة اسطوانة من لبن تزرع اسطوانة منها براً واسطوانة شعيراً وأخرى أرزاً وأخرى عدساً وأخرى باقلى وأخرى قرطماً وأخرى دخناً وأخرى ذرة وأخرى لوبيا وأخرى حمصاً وأخرى سمسما وأخرى ماشاً ولم يكن يحصد ذلك الا بغناء وترنم ولهو وكان يوم السادس من يوم النيروز واذا حصد نثر في المجلس ولم يكنس الى روزمهر من ماه فروردين وانما كانوا يزرعون هذه الحبوب للتفاؤل بها ويقال أجودها نباتاً وأشدها استواء دليل على جودة نبات ما زرع منها في تلك السنة فكان الملك يتبرك بالنظر الى نبات الشعير خاصة وكان مؤدب الرماة يناول الملك يوم النيروز قوساً وخمس نشابات ويناول الملك قيمه على دار المملكة أترجة

فكان فيا يغني بين يدي الملك غناء المخاطبة وأغاني الربيع وأغاني يذكر فيها أبناء الجبابرة وتوصف الأنواء وأغاني آفرين والخسرواني والماذراستاني والفهليد وكان أكثر مايغنى العجم الفهليد مع أيام كسرى أبرويز وكان من أهل مرو وكان من أغانيه مديح الملك وذكر أيامه ومجالسه وفتوحه وذلك بمنزلة الشعر في كلام العرب يصوغ له الألحان ولا يمضي يوم الا وله فيه شعر جديد وضرب بديع وكان يذكر الأغاني التي يستعطف بها الملك ويستميحه لمرازبته وقواده ويستشفع لمذنب وان حدثت حادثة أو ورد خبر كرهوا انهاءه اليه قال فيه شعراً وصاغ له لحناً كما كان فعل حين نفق مركوبه شبديز ولم يجسروا على انهاء ذلك فغنى بها وذكر أنه ممدود في آريّه مادّ قوائمه لايعتلف ولا يتحرك فقال الملك هذا قد نفق اذاً قال أنت قلت ذلك أيها الملك وكان يضطر بأشعاره أن يتكلم بالذي يكره عماله أن يستقبلوه به

(العلة في صب الماء) ذكروا أن العلة في صب الماء أنه كان أول من تكلم في الهند قبل المسيح زو بن طهماسب وكان مات أبوه على قحط شديد قد شمل الأقاليم فتكلم ودعا الله تبارك وتعالى فسقى الناس الغيث وأخصبت أرضهم وعاشت مواشيهم فجعلوا صب الماء فيه سنة ،، وقد حكي أيضاً عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين صلوات الله عليه أنه قال في ذلك أن ناساً من بني اسرائيل أصابهم الطاعون فخرجوا من مدينتهم هاربين الى أرض العراق فبلغ كسرى خبرهم فأمر أن يبنى لهم حظيرة يجعلون فيها لترجع أنفسهم اليهم فلما صاروا في الحظيرة ماتوا وكانوا أربعة آلاف نفس ثم ان الله تبارك وتعالى أوحى الى نبي ذلك الزمان ان رأيت محاربة بلاد كذا فحاربهم بني فلان فقال يارب كيف أحاربهم بهم وقد ماتوا فأوحى الله اليه أني أحييهم لتحارب بهم وتظفر بعدوك فأمطر الله عز وجل ليلة صب الماء فأصبحوا أحياء فهم الذين قال الله تعالى فيهم (ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم) قال هؤلاء قوم أصابهم محنة من الأزل فحطوا زماناً فهزلوا وأجدب بلدهم فغيثوا في هذا اليوم برشة من مطر فعاشوا وأخصبت بلادهم فجعلوه الفرس سنة -

(صفة الأيام) قال كسرى يوم الريح للنوم ويوم الغيم للصيد ويوم المطر للهو والشرب ،، وقال

غير يوم السبت يوم مكر وخديعة والأحد يوم غرس وبناء ويوم الاثنين يوم سفر وطلب رزق والثلاثاء يوم حجامة والأربعاء يوم ضنك ونحس والخميس يوم الحج والجمعة يوم مسجد ونساء وكساء

(في البرد) سئل بعض الحكماء عن البرد أيه أشد ، فقال اذا أصبحت السماء نقية والأرض ندية والريح شامية

ش

محاسن الهدايا

قال وكتب الناس في الهدايا فأكثروا من الكلام المنثور والشعر الموزون وكل يكتب ويقول بمقدار عقله وعلمه حتى قالوا أنها قرابة وصلة كالرحم الماسة والقرابة القريبة وكلحمة النسب وأكثروا من التشفيع لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم تهادوا وتحابوا . وقيل الهدية تفتح الباب المصمت وتسل سخيمة القلب وروي عن عائشة أنها قالت اللطفة عطفة وتزرع في القلوب المحبة . قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية ويثيب عليها ماهو خير منها وقال عليه الصلاة والسلام لو أهدي اليّ ذراع لقبلت ولودعيت الى كراع لأجبت وقال عليه الصلاة والسلام الهدية رزق من الله عز وجل فمن أهدي اليه شيء فليقبله وقال صلى الله عليه وسلم نعم الشيء الهدية أمام الحاجة ما أرضى الغضبان ولا استعطف ولا أستميل الهاجر ولا توقى المحذور بمثل الهدية والبر وقال الله عز وجل (وإني مرسلة اليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون فلما جاء سليمان قال أتمدونني بمال فما آتاني الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون) وروي أن عاملا لعليّ رضي الله عنه قدم من بعض الأطراف فأهدي الى الحسن والحسين سلام الله عليهما ولم يهد الى ابن الحنفية فقال متمثلا

وَمَا شَرُّ الثَّلاثَةِ أُمَّ عَمْرٍو ... بِصَاحِبِكِ الَّذِي لا تَصْحَبِينَا

فأهدى العامل اليه كما أهدي الى أخويه وروى من أمير المؤمنين عليّ عليه السلام أن قوماً من الدهاقين أهدوا اليه جامات فضة فيها الأخبصة فقال ماهذا قالوا يوم نيروز

فقال نيروزنا كل يوم فأكلوا الخبيص وأطعم جلساءه وقسم الجامات بين المسلمين وحسبها لهم في خراجهم ٠٠ وقيل ان جلساء المهدى اليه شركاؤه فى الهدية،، والهدية تجلب المودة وتزرع المحبة وتنفى الضغينة وتركها يورث الوحشة ويدعو الى القطيعة والهدية تصير البعيد قريباً والعدو صديقاً والبغيض ولياً والثقيل خفيفاً والعبد حراً والحر عبداً وفيها قول الشاعر

مَا مِنْ صَدِيقٍ وَإِنْ أَبْدَى مَوَدَّتَهُ ... يَوْماً بِأَنْجَحَ فِى الحَاجَاتِ مِنْ طَبَقِ

إِذَا تَقَنَّعَ بِالمَنْدِيلِ مُنْطَلِقاً ... لَمْ يَخْشَ نَبْوَةَ بَوَّابٍ وَلاَ غَلَقِ

لاَ تُكْثِرَنَّ فَإِنَّ النَّاسَ مُذْ خُلِقُوا ... لِرَغْبَةٍ كُلَّمَا يُعْطَوْنَ أَوْ فَرَقِ

وقال آخر

إِذَا أَرَدْتَ قَضَاءَ الحَاجِ مِنْ أَحَدٍ ... قَدِّمْ لِنَجْوَاكَ مَا أَحْبَبْتَ مِنْ سَبَبِ

إِنَّ الهَدَايَا لَهَا حَظٌّ إِذَا وَرَدَتْ ... أَحْظَى مِنَ الإِبْنِ عِنْدَ الوَالِدِ الحَدِبِ

وقد قيل كل يهدى على قدره ٠٠ وذكروا أن سليمان بن داود عليهما السلام بينا يسير بالريح اذ أتى على عش قنبرة فيها فراخ لها فأمر الريح فعدلت عن العش فلما نزل وافق يومه ذلك النيروز فجاءت تلك القنبرة حتى رفرفت على رأس سليمان وألقت في حجره جرادة فقيل له في ذلك فقال كل يهدي على قدره ٠٠ وكان مما تهديه ملوك الأمم الى ملوك فارس طرائف ما فى بلدهم فمن الهند الفيلة والسيوف والمسك والجلود ومن تبت والصين المسك والحرير والسك والاوانى ومن السند الطواويس والببغا ومن الروم الديباج والبسط وكان القواد والمرازبة والأساورة يهدون النشاب والأعمدة المصمتة من الذهب والفضة والوزراء والكتاب والخاصة من قرابتهم جامات الذهب والفضة المرصعة بالجوهر وجامات الفضة الملوحة بالذهب والعظماء والأشراف البزاة والعقبان والصقور والشواهين والفهود والسروج وآلاتها وربما أهدى الرجل الشريف سوطا فقبله وكانت الحكماء يهدون الحكمة والشعراء الشعر وأصحاب الجوهر الجوهر وأصحاب نتاج الدواب الفرس

الفاره والشهريّ النادر والحمار المصري والبغال المهاليج والظرفاء قُرَب الحرير الصينى
مملوءة ماورد والمقاتلة القسي والرماح والنشاب والصياقلة والزرادون نصول السيوف
والدروع والجواشن والبيض والأسنة وكانت نسوة الملك تهدى احداهن الجارية الناهدة
والوصيفة الرائقة والأخرى الدرة النفيســة والجوهرة الثمنة وفص خاتم وما لطف
وخف وأصحاب البز الثوب المرتفع من الخز والوشي والديباج وغير ذلك والصيارفة
نقر الذهب والفضة وجامات الفضة مملوءة دنانير وأوساط الناس دنانير ودراهم من ضرب
سنتهم مودعة أترجة أو سفرجلة أو تفاحة والكاتب واقف يكتب كل مهد وجائزة كل
من يجيزه الملك على هديته ليودع ذلك ديوان النيروز .

ومن الهدايا التي لم يسمع السامعون بمثلها هدية أبرويز الى ملك الروم بعقب محاربة
بهرام جوبين وقد شارف الروم فأنفذ رسولا يستنجده وبعث اليه مائة غلام من أبناء
الأتراك مختارين فى صورهم ونفوسهم فى آذانهم أقرطة الذهب معلق فيها حب الدر على
مراكب بسروج الذهب منظمة باليواقيت والزمرد وبعث معه بمائدة من عنبر فسحها
ثلاثة أذرع مكللة المستدار بالدر لها ثلاث قوائم من ذهب احداها ساعد أسد مع كفه
والأخرى ساق وعل مع ظلفه والثالثة كف عقاب فى كف الاسد ياقوتة خضراء وبين
ظلفي الوعل ياقوتة حمراء وفى كف العقاب قبجة من اللازورد عيناها ياقوتتان حمراوان
تتوقدان حمرة وفى وسط المائدة جام من جزع يماني فاخر فسحه شبر فى شبر مملوء يواقيت
حمر وسفط ذهب فيه مائة درة كل درة مثقال ومائة لؤلؤة كل لؤلؤة مثقال ومائة خاتم
من ذهب مرصع بالجوهر مشبك الأعلى حشوه مسك وعنبر ووصل رسل ابرويز الى
ملك الروم بهذه الهدية فأنجده وأرسل اليه عشرين ألف فارس بالسلاح الشاك وبعث
اليه بألفي ألف دينار لارزاق جنده وألف ثوب منسوج وعشرين جارية من بنات ملوك
الصقالبة بأقبيــة الديباج المطير فى آذانهن أقرطة الذهب المزينة بالدر والياقوت وعلى
رؤسهن أكلة الجوهر وأنفذ اليه عشرين مركباً على كل مركب صليب تحت كل صليب
ألف فارس وألف برذون وألف شهري وألف بغلة وألف نجيب بسروج مذهبة
وأكف مذهبة ولجم من ذهب مصبوب وبرادع مذهبة وجلال وبراقع ديباج منسوج

بالذهب واللؤلؤ وأوقر البغال من السندس والاستبرق والذهب واللؤلؤ وبعث اليه مساحة جريب أرض من ذهب فيه نخل من ذهب سعفه الزمرد وطلعه اللؤلؤ وشماريخه الياقوت الأحمر وكربه الجزع وبعث اليه ألف ألف لؤلؤة كل لؤلؤة بألف دينار وبعث اليه ألف ألف درهم مثاقيله ألف ألف دينار خسرواني وأتى به واعتذر اليه من التقصير فقابله ملك الروم عامه المقبل يوم النيروز بفارس من ذهب على شهرى من فضة عينا الشهرى جزع أبيض محدق بسواد وناصيته وعرفه وذنبه شعر أسود بيد الفارس صولجان من ذهب والى جانبه ميدان من فضة في وسط الميدان كرة عقيق أحمر يحمل الميدان ثوران من فضة والشهرى يبول الماء فاذا بال انحط الصولجان على الكرة فرمى بها الى أقصى الميدان فتحرك بحركتها الثوران والميدان ويركض الفارس على عجل تحت حوافر الشهرى ..فأما أهل الاسلام فلم يسمع بمثل هدية حسان النبطى الى هشام بن عبد الملك فانه أهدى اليه والى أمهات أولاده هدية كثيرة من الكساء والعطر والجوهر وغيرها فاستكثرها هشام وقال بيت المال أحق بهذا ثم أمر فنودي عليها فبلغت مائة ألف دينار فبعث حسان أثمانها وقال يا أمير المؤمنين قد طابت الآن هذه مائة ألف دينار تحمل الى بيت المال فاقبل هديتي فقبلها ونادى على مناديه حسان سيد موالي أمير المؤمنين قد طابت الآن هذه.. واستملح المأمون من أبي سلمة ذكر هدية لطيفة قال أهدى الى أمير المؤمنين خواناً من جزع ميلا فى ميل فقال المأمون أو قبضت الهدية قيل نعم قال أهي فى داري أم داري فيها قال بل هي في منديل فدعا بهديته فاذا خوان من جزع عليه ميل من ذهب قد صنع من مائة مثقال بطول الخوان وعرضه فاستملحه وقبله ..وأهدت أسماء بنت داود الى أسماء بنت المنصور مائة مركن من فضة فيها أنوع اللخالخ والريحان المطيب ومائة جفنة مطيبة وأنواع من الأطعمة والأشربة وعشراً من الوصائف فى قد واحد فقومت هديتها فبلغت خمسين ألف دينار .. وبعث الحسن بن وهب الى المتوكل بجام من ذهب فيه ألفا مثقال من العنبر وكتب اليه

يا إمامَ الهُدَى سُعِدتَ منَ الدَّهـــــر بِرُكْنٍ من الإِله عزيزِ

وبظلٍّ منَ النعيمِ مَديدٍ ... وبحرزٍ منَ الليالي حريزِ

لاتزلْ ألفَ حجةٍ مهرجانٍ ... أنتَ تقضي بهِ إلى النيروزِ

ونعيمٍ ألذَّ منَ نظرِ المعـ ... ـشوقِ من بعدِ نبوةٍ ونشوزِ

قال خالد المهلبي أهديت الى المتوكل في يوم نيروز ثوب وشي منسوج بالذهب ومشمة عنبر عليها فصوص جوهر مشبك بالذهب ودرعاً مضاعفة وخشبة بخور نحو القامة وثوبا بغدادياً فأعجبه حسنه ثم دعا به فلبسه ، وقال يامهلبي انما لبسته لأسرك به فقلت ياأمير المؤمنين لو كنت سوقة لوجب على الفتيان تعلم الفتوة منك فكيف وأنت سيد الناس ، وأحسن من جميع ما تقدم ذكره قول عبد الله العباسي والى الحرمين فانه قال هذا يوم يهدى فيه الى السادة والعظماء والواجب أن أهدي الى سيدي الأكبر ثم دعا بعشرة آلاف دينار فقسمها على أهل الحرمين فكانت فكرته في هذا أحسن من فعله

(التلطف في الهدايا) كتب سعيد بن حميد الى بعضهم النفس لك والمال منك غير أني كرهت أن أخلي هذا اليوم من سنة فأكون من المقصرين أو أدعي أن في ملكي مايفي بحقك فأكون من الكاذبين وقد وجهت اليك بالسفرجل لجلالته والسكر لحلاوته والدرهم لنفاقه والدينار لعزه فلازلت جليلا في العيون مهيباً في القلوب حلواً لاخوانك كحلاوة السكر عزيزاً عند الملوك لاتحسن أقضيتهم الا بك ولا زلت نافقاً كنفاق الدرهم ..وأهدى احمد بن يوسف الى ابراهيم بن المهدي وكتب اليه الامراءأعزك الله تسهل سبيل الملاطفة في البر فأهديت هدية من لايحتشم الى من لايغتنم مالا فلا أكثره تبجحاً ولا أقلله ترفعا

(هدايا النيروز) قال كتب الحسن بن وهب الى المتوكل في يوم نيروز بهذه الرقعة أسعدك الله ياأمير المؤمنين بكر الدهور وتكامل السرور وبارك لك في اقبال الزمان وبسط يمن خلافتك الآمال وخصك بالمزيد وأبهجك بكل عيد وشد بك أزر التوحيد ووصل

لك بشاشة أزهار الربيع المونق بطيب أيام الخريف المغدق وقرب لك التمتع بالمهرجان والنيروز بدوام بهجة ايلول وتموز وبمواقع تمكين لايجاوزه الأمل وغبطة الها نهاية مضارب المثل وعمر ببلائك الاسلام وفسح لك في القدرة والمدة وأمتع برأفتك وعدلك الأمة وسربلك العافية وردائك السلامة ودرعك العز والكرامة وجعل الشهور لك بالاقبال متصدية والأزمنة اليك راغبة متشوقة والقلوب نحوك سامية تلاحظك عشقا وترفرف نحوك طربا وشوقا وكتب في آخره

فَدَاكَ الزَّمانُ وأَهلُ الزَّمانِ ... إمامَ الهُدَى بِكَ مُستبشرِينا

قدْ اَلقوْا إليكَ مَقاليـدَهمْ ... جميعاً مُطيعينَ مُستوسقينا

ولا زلتَ زَيناً لأعيـادِنا ... وللدِّينِ كَهفاً وحصناً حَصينا

يَعزّ بدَولتكَ الصالحونَ ... ويَشقى بكَ الشِّركُ والمُشركونا

فيا رُبَّ مُشكلة أبرَمتْ ... فجلّتها السَّيفَ حقا يقينـا

بصِـدْقِ عزيمَـةِ مُستبصرٍ ... وضَرْبٍ يقُـدُّ الطُّلى والمُتونا

وسمْتَ النَّصارَى بشيْطانها ... وذَلّتَ منها الأعزّ البَطينا

وكمْ فعلةٍ لكَ في المُشركينَ ... أقرّتْ عيوناً وأبكتْ عيونا

وكتب آخر

المِهْرَجانُ لنا يومٌ نُسَرُّ بهِ ... يومٌ تُعظّمُهُ الأشرافُ والعَجَمُ

وأنتَ فيهِ لنا بَدْرٌ يُضِيءُ كما ... أنَّ السَّماء ببَدْرِ الليلِ تبتسمُ

وكتب آخر

عيدٌ جديدٌ وأنتَ جِدَّتهُ ... يا مَنْ بهِ للزَّمانِ تجديدُ

لا زالَ طُولَ الزَّمانِ يَرْجِعهُ ... وظلُّ مُلْكٍ عليكَ ممْدُودُ

وقيل للمازني أي هؤلاء أظرف في شعره الذي يقول

جُعِلْتُ فِداكَ للنيروز حقٌّ فأنتَ عليَّ أعظمُ منهُ حقّاً
ولو أهديتُ فيهِ جميعَ ملكي لكانَ جليلهُ لكَ مُستدَقّاً
فأهديتُ الثناء بنظمِ شعرٍ وكُنتَ لذاكَ مني مُستحقّا

أم الذي يقول

دخلتُ السوقَ أبتاعُ وأستطرِفُ ما أهدِي
فما استطرفتُ للإهدا ء إلاّ طُرَفَ الحَمْدِ
إذا نحنُ مدحناكَ رَعينا حُرمةَ المَجْدِ

أم الذي يقول

وكمْ مِن مُرسِلٍ لكَ قدْ أتاني بما يُهدي الخليلُ إلى الخليلِ
فأظهرتُ السرورَ وقلتُ أهلاً وسهلاً بالهديّةِ والرَّسُولِ

فقال أشعرهم جميعهم وأظرفهم الذي يقول

فوالله لا أنفكُّ أُهدي شوارداً إليكَ يُحَمِّلْنَ الثناءَ المُبجّلا
ألذُّ من السلوى وأطيبُ نفحةً من المسكِ مفتوتاً وأيسرَ مَحملا

وبعث سعيد بن حميد الى احمد بن أبي طاهر قارورة ماورد وكتب اليه

وزائرةٍ حُوريّةٍ فارسيّةٍ كنشرِ حبيبٍ حادَ يوماً عن الصدِّ
تَرُدُّ رَبيعاً في مَصيفٍ بنفحةٍ إذا فقدتْ وَرداً تنوبُ عن الوَرْدِ
حكى نَشرُها منهُ خلائقَ نَشرهِ كنشرِ نسيمِ الروضِ في جنّةِ الخُلدِ
وشبّهتُها في صفوِها بصفاتهِ لإخوانهِ في القُربِ منهُ وفي البُعْدِ

وأهدَتْ لنا منهُ النَّسيمَ نَسيمه ... وإنْ كانَ إنْ حالَتْ يدُومُ على عهْدِ

وعن اسحاق بن ابراهيم الموصلي ، قال دار كلام بين الأمين وبين ابراهيم بن المهدي ، قال فوجد عليه الأمين فهجره فوجه اليه ابراهيم بوصيفة مغنية مع عبد هندي فأبى الأمين أن يقبلها فكتب اليه

هتكتَ الضميرَ بردِّ اللطَفْ ... وكشّفْتَ هجرَكَ لي فانكشفْ

فإنْ كنتَ تحقدُ شيئاً مضَى ... فهبْ للخلافةِ ما قدْ سلَفْ

وجُدْ لي بعفوكَ عنْ زلّتي ... فبالفضلِ تأخُذُ أهلَ الشرَفْ

فرضي عنه ودعاه للمنادمة

(هدايا القصد) قال ابن حمدون النديم افتصد المأمون فأهدى اليه ابراهيم بن المهدي جارية معها عود ورقعة فيها

عفوتَ وكانَ العفوُ منكَ سجيّةً ... كما كانَ معقوداً بمفرَقكَ الملْكُ

فإنْ أنتَ أتممتَ الرّضى فهوَ المُنى ... وإنْ أنتَ جازيتَ المسيءَ فذا الهلْكُ

فقال المأمون خرف الشيخ يوم مثل هذا يذكر الثواب والآخرة فلم يقبل الوصيفة واغتم ابراهيم وكتب اليه مع الوصيفة

لا والذي تسجدُ الجباهُ لهُ ... ما لي بما دُونَ ثوبِها خبَرُ

ولا بفيها ولا هممْتُ بها ... ما كانَ إلاّ الحديثُ والنظَرُ

فقال المأمون نعم الآن أقبلها فقبلها ، قال أبو القاسم بن أبي داود كنت عند احمد ابن محمد العلوي وقد افتصد فخرج بعض الخدم ومعه طبق من فضة عليه تفاح طيب مكتوب حواليه بالذهب

سُرَّ الغداةَ بوجهكَ الغضَبُ ... وجرى بيمنِ فصادكَ الطرَبُ

وتداعت الميدانُ في زَجَلٍ ... وتناولت راحاتها النُّخَبُ

فاشرب بهذا الجام يامليكى ... شُرْبًا حثيثًا إنهُ عجبُ

وأجمل لمن قد خفّ في لطفٍ ... من زورهُ يخشى ويرتقبُ

فقال للخادم اخرجها الى الستارة فخرجت وخلا ليلته بها ، وقيل افتصد المعتصم فاهدت اليه شمائل صينية عقيق عليها قدح أسبل عليهما منديل مطيب مكتوب عليه بالعنبر في كل ربع منه بيت شعر

خضبَ الخليفةُ كفّهُ من فصدهِ ... بدمٍ يحاكى عبرة المشتاقِ

تاه الفصادُ فما يقامُ لتيهِهِ ... إذ صار مفتصدًا أبو إسحاقِ

وتوافت الميدانُ عند حضورهِ ... قُبُّ البطونِ ذوابلَ الأعناقِ

ملكٌ إذا خطرَ الشرابُ ببالهِ ... لبس السرورُ غلائلَ الإشراقِ

فلما قرأه أمر باحضار اسحاق بن ابراهيم الموصلي وأمره أن يجعل له لحنا وأمر مسرورا باخراجها من وراء الستارة ثم لم يزل اسحاق يردد هذه الأبيات حتى أحكمتها شمائل وغنت فكأن سقط الدر يتناثر من فيها وأمر لاسحاق بمال وللجارية بخمس وصائف وخمسة آلاف دينار ، المبرد قال أهدى اليزيدى الى الرشيد يوم فصد جام بلور وشمامات غالية وكتب اليه ياأمير المؤمنين تفاءلت في الشرب في الجام بجمام النفس ودوام الأنس والغالية للغلو في السرور والازدياد من الخير والحبور وقلت

دَمُ الفصدِ من يدك العاليه ... يداعي لجسمك بالعافيه

كسا الدهرَ ثوبًا من الأرجوانِ ... بديعَ الطرازين والحاشيه

وعصفر صفحة وجه الربيع ... بصبغ من أسرارهِ الجاريه

فكم روضةٍ نشرت وشيها ... وزهرةِ روضٍ غدت زاهيه

إمامُ أسالَ دمَ المكرُماتِ　　فشجَّجَ أفنائها الحاميه
فلا زالَ في عيشةٍ راضيه　　ودامتْ له النعمةُ الكافيه

قال اليزيدي افتصد المأمون فأهدت اليه رباح أترجة عنبر عليها مكتوب بماء الذهب

تمالجَ من هويتُ بفصدِ عرقٍ　　فأضحى السقمُ في خلعِ الخضوعِ
وجاءت تحفةُ الألبابِ تسعى　　بوردٍ فائضٍ فيضَ الدموعِ

فقال المأمون لليزيدي ويحك ما تقول فيمن كتب هذين البيتين قال يكافأ بالدنيا وما استحق منها فأمر لها بمال كثير ووصلني ببعضه ، قال وافتصد عبدالله بن طاهر فأهدى له أبو دلف جميع ما أصاب في السوق من الورد وكتب اليه

تضاحكَ الوردُ في وجهي فقلتُ لهُ　　لِمْ ذا فقالَ أبو العبَّاسِ مفتصدُ
فقمتُ أطلبُ ما أهديهِ من طرفٍ　　للمفتصدِ في السوقِ حتى خانني الجلدُ
يومُ افتصادٍ له أزرٌ مطيَّبةٌ　　محجوبةٌ لا يراها الجردُ والزردُ
فاشربْ على الوردِ مسروراً بطلعتهِ　　يا ابنَ الكرامِ فأنتَ السيدُ النجدُ

قال عمرو بن بانة اعتل المعتصم فأشار عليه بختيشوع بالفصد وأنا عنده فأخرجت اليه هدايا الفصد وكان فيما أخرج طبق صندل مكتوب عليه بجزع كما يدور عليه شمامات مسك وعنبر فأمر بقراءة ما عليه فاذا هو

فُصِدَ الإمامُ لعلةٍ في جسمهِ　　فشفى الإلهُ السقمَ بالفصدِ
وجرى إلى الطشتِ السقامُ مبادراً　　وجرى الشفاء إليهِ بالسعدِ
يا مالكاً ملكَ البلادَ بجودِه　　إسلمْ سلمتَ بعيشةٍ رغدِ

فقال يا عمرو من يلومني على حب هذه الجارية والله ما أراها الا تزايدت في عيني وخليق أن تحب فان لها همة فولدت له غلاما وكانت آثر جواريه عنده وأحظاهن لديه

،،وأخبرنا ابراهيم القاري؛ قال كنت عند المأمون فاحتاج الى الفصد فقال له الاطباء البلد بادر فقال لابد لي منه ففصدوه فلما كان وقت الظهر حضروا فراموا قجر العرق فاذا هو قد التحم فشدوا الرباط وفيهم ميخائيل فا ظهر الدم فقال لهم المأمون عقرتموني حلوا الرباط وعلى رأسه بختيشوع وابن ماسويه فقال ماتقولون . قالوا ماندري مانقول . قال فأشاروا هناك أن جلالة الخليفة ربما أدهشت الحاذق بالصناعة والمتقدم في الرياسة فاعتزلوا ناحية وأبطؤا عليه فقال لاسود كان على رأسه ادن فص الجرح ففعل فثار الدم فقال ادع هؤلاء الحاكة فجاؤا وشهدوا خروج الدم . قال أين كنتم . قال ابن ماسويه لو فعل جالينوس مازاد عليه ،، قال وافتصد احمد بن عيسى بالري وهو أميرها فكتب اليه جعفر الشيباني

فَصَدْتَ بأرضِ الرَّيِّ طابَ لكَ الفَصدُ وفارَقَ نجمَ النَّحسِ طالِعُكَ السَّعْدُ

فأعقبكَ الحُسنى التي لا مَدى لها ولا زالَ يُزْديكَ الجلالةُ والحَمْدُ

تَوَرَّدَتِ الدُّنيا بِفَصدِكَ مثلَ ما بِفَصدِكَ يا ابنَ المُصطفى ضَحِكَ الوَرْدُ

فلا أبصَرَتْ عيناكَ ما عشتَ شانِياً ومنْ كُلِّ ما تهواهُ لا خانَكَ المَهْدُ

وفي مثله

ياقاصداً منْ يَدٍ جلّتْ أياديها ونالَ منهُ الذي يرجوهُ راجيها

يَدُ النَّدى هِيَ فارفُقْ لا تُرِقْ دَمَها فإنَّ آمالَ طُلّابِ النَّدى فيها

قال وكتب الحدوني الى الفضل بن جعفر وقد افتصد

ألا يا طبيبَ الفَصدِ هلْ أنتَ عالمٌ بما صنعَتْ كفّاكَ في كفِّ ذي المجدِ

أسلتَ دماً منْ ساعدٍ يَنْثَني بها حياةُ ندىً فاقصدْ بِذَرْعِكَ في القَصدِ

فداوَيتَ كفّاً تعلمُ النّاسُ أنها دَواءٌ منَ الإمحالِ في الزّمنِ النَّكْدِ

ولمّا أتانا المُخبِرونَ بِفَصدِه أرَدْتُ بأنْ اهدي على قدْرِ ما عندي

وشاورتُ فاستصحبتُ آلي وجيرتي ... فلم أرَ أمري من ثناء ومن حمدِ

وقال آخر

توثقّ من ثنائك في الهدايا ... غداة أردتَ تفصدَ الباسليقِ
فلم أرَ كالدعاء أتمّ نفعاً ... وأجملَ في مكافاة الصديقِ
وأكثرتُ الدعاء وقلتُ ربي ... يقيكَ شرورَ آفاتِ العروقِ

وقال آخر

على طيبِ أيام التمتعِ بالوردِ ... فصدتَ فأصحبتَ السلامةَ في الفصدِ
ولا زلتَ لازالتْ من الله أنعمٌ ... عليكَ قريرَ العينِ مغتبطَ الحسدِ
لقد رمتُ جهدي طرفةً وهديةً ... إليكَ فكانَ الشكرُ أكثرَ ما عندي

وقال آخر

أيها الفاصدُ العليلُ الصحيحُ ... بأبي ذلكَ الجراحُ الجريحُ
إنّ من عاقَ الذراعَ من الفصـــــد إلى الجيدِ ذاكَ شيءٌ مليحُ
أيها الفاصدُ المهنّا له الورْ ... دُ وفي وجنتيهِ وردٌ يلوحُ

وقال آخر

أيها السيّدُ الذي فصدَ العِرْ ... قَ وأرخى دوني ذيولَ السرورِ
كم تمنيتُ أنْ أكونَ طبيباً ... ومنى الصبِّ ترّهاتُ الغرورِ

وقال آخر

أجملْ جعلتُ فداكَ بالجلْدِ ... وامننْ عليَّ بأجملِ الردِّ
لو عاينتْ عيناكَ مضطربي ... وتفرّدي بالمدِّ والشدِّ

وتخشّى عند الطبيب كأنهُ   مولىً يُريدُ عقوبةَ العبدِ
كالنار مبضعُهُ يقلّبهُ   ويُديرُ مقلةَ حازمٍ جلدِ
حتى اعتزمتُ على مُحاجزةٍ   وصددتُ عنهُ أيّما صدِّ
ما كان من ألمٍ شعرتُ بهِ   إلّا كموقعِ شرطةِ الجلدِ
إذ سالَ منبعثاً سوابقهُ   كالنار خارجةً من الزّندِ
فسلمتُ والرحمنُ سلّمني   ذو المنِّ والآلاءِ والحمدِ
ما بعدَ طبّاخي لمفتخرٍ   فخرٌ لمن قبلي ومن بعدي
نصبَ القدورَ بنفسهِ كرماً   لتُصيبَ شهوتنا على عمدِ
فأجادَ صنعتها وعجّلها   من غيرِ ما تعبٍ ولا جهدِ
ونبيذُنا صافٍ ومجلسُنا   في الطيبِ يحكي جنةَ الخلدِ
فهلُمّ واحضرْ غيرَ محتشمٍ   واجعلْ غداءكَ سيّدي عندي
لا تجمعنَّ عليَّ محتسباً   ضعفَ العليلِ ووحشةَ الفردِ

محاسن الوصائف المغنيات

قال الأصمعي .. بعث إليّ هرون الرشيد وهو بالرقة فحملت اليه فانزلني الفضل بن الربيع ثم ادخلني عليه وقت الغروب فاستدناني وقال : يا عبد الملك وجهت اليك بسبب جاريتين اهديتا إليّ وقد أخذتا طرفا من الأدب احببت ان تبرز ما عندهما وتسير على الصواب فيهما ثم أمر باحضارها فحضرت جاريتان ما رأيت مثلهما قط فقلت لاحداهما ماعندك من العلم ، قالت : ماأمر الله في كتابه ثم ماينظر فيه الناس من الأشعار والأخبار فسألتها عن حروف القرآن فأجابتني كأنها تقرأ في كتاب الله ثم سألتها عن الأشعار والأخبار والنحو والعروض فما قصرت عن جوابي في كل فن أخذت فيه فقلت لها : فانشدينا شيئاً .. فأنشدت

يا غياثَ البلادِ في كلِّ محْلٍ ... ما يُرِيدُ العبادُ إلاَّ رضاكَ

لاَ ومَنْ شرَّفَ الإمامَ وأعلى ... ما أطاعَ الإلهَ عبدٌ عصاكَ

فقلت : يا أمير المؤمنين ما رأيت امرأة في نسك رجل مثلها وخبرت الأخرى فوجدتها دونها فأمر أن تصنع تلك الجارية لتحمل اليه في تلك الليلة ثم قال لي: ياعبد الملك انا ضجر واحب أن تسمعني حديثاً مما سمعت من أعاجيب الزمان نفرج به . فقلت : يا أمير المؤمنين كان لي صاحب في بدو بني فلان وكنت أغشاه وأتحدث معه وقد أتت عليه ست وتسعون سنة وهو أصح الناس ذهناً وأقواهم بدناً فغبت عنه ثم أتيته فوجدته ناحل البدن كاسف البال فسألته عن سبب تغيره فقال : قصدت بعض القرابة فالفيت عندهم جارية قد طلت بالورس يدها وفي عنقها طبل تنشد عليه

محاسنُها سهامٌ للمنايا ... مُرَيَّشَةٌ بأنواعِ الخطوبِ

ترى رَيبَ المنونِ بهنَّ سهماً ... تُصيبُ بنصلِهِ مُهَجَ القلوبِ

ففي شفتي من موضع الطبل ترنّمي — كما قد أبحت الطبل في جيدك الحسن

هبيني عوداً جوفه تحت متنه — يغنّي ما بين نحرك والذقن

فلما سمعت شعري رمت بالطبل في وجهي ودخلت الخيمة فوقفت حتى حميت الشمس على مفرقي ولم تخرج فانصرفت قريح القلب فهذا التغير من عشقي لها . فضحك الرشيد حتى استلقى وقال : ويلك ياعبد الملك ابن ست وتسعين يعشق . فقلت : قدكان هـذا . فقال : يا عباس أعط عبد الملك مائة ألف درهم وردّه الى مدينة السلام . فانصرفت ثم أتاني خادم فقال : أنا رسول ابنتك ــ يعني الجارية ــ تقول لك ان أمير المؤمنين قد أمر لها بمال وهذا نصيبك . فدفع اليّ ألف دينار ولم تزل تواصلني بالبر الواصل حتى كانت فتنة محمد وانقطع خبرها وأمر الفضل لي بعشرة الآف درهم ».

علي بن الجهم . لما افضت الخلافة الى المتوكل أهدى اليه الناس على أقدارهم فاهدى اليه ابن طاهر جارية أديبة تسمى قبيحة تقول الشعر وتلحنه وتحسن من كل علم أحسنه فحلت من قلب المتوكل محلا جليلا فدخلت يوما للمنادمة وخرج المتوكل وهو يضحك وقال : يا علي دخلت فرأيت قبيحة قد كتبت على خدها بالمسك جعفر فارأيت أحسن منه فقل فيه شيئا . فسبقتني محبوبة وأخذت عودها فغنت

وكاتبة بالمسك في الخدّ جعفرا — بنفسي خطّ المسك من حيث أثرا

لئن أودعت سطراً من المسك خدّها — لقد أودعت قلبي من الوجد أسطرا

فيا من لمملوك يظلّ مليكه — مطيعاً له فيما أسرّ وأجهـرا

ويا من لعيني من رأى مثل جعفر — سقى الله صوب المسكرات لجعفرا

قال : فتقلت خواطري حتى كأني ما أحسن حرفا من الشعر وقلت للمتوكل : أقل فقد والله غرب عني ذهني فلم يزل يعيرني به ثم دخلت عليه للمنادمة بعد ذلك فقال : يا علي أعلمت اني قد غاضبت محبوبة وأمرتها بلزوم مقصورتها ومنعت أهل القصر من كلامها . فقلت : يا سيدي أن غاضبتها اليوم فصالحها غدا فدخلت عليه من الغد فقال :

ويحك يا عليّ رأيت البارحة في النوم كأني صالحت محبوبة ، فقالت جاريتـه ، شاطر يا سيدي لقد سمعت الآن في مقصورتها هينمة فقال : ننظر ما هي ،فقام حافيا حتى وصلنا مقصورتها فاذا هي تغني

أدورُ في القصرِ كي أرى أحدًا أشكو اليـهِ فـلا يكلّمني
فمَنْ شفيعٌ لنا إلى ملكٍ قد زارني في الكرا يعاتبني
حتّى إذا ما الصّباحُ عادَ لنا عادَ إلي هجـرهِ فقـارقني

فصفق المتوكل طربا فلما سمعته خرجت تقبل رجليه وتمرغ خدها في التراب حتى أخذ بيدها راضيا عنها ،، حدث ابو عليّ بن الاسكري المصرى ــ واسكر هي القرية التي ولد فيها موسى عليه السلام ــ قال : كنت من جلّاس تميم بن تميم ومن يخف عليه فأتي من بغداد بجارية رائعة فائقة الغناء فدعا بجلسائه وقدمت الستارة فغنت

وبدا لهُ من بعدِما اندملَ الهوى برقٌ تألّقَ موهنًا لمعانُه
يبدُو كحاشيةِ الرّداء ودونهُ صعبُ الزُّرَى متمنّعٌ أركانُهُ
وبدا لينظرَ كيف لاحَ ولم يطقْ نظرًا إليهِ وهدّهُ هيجانُه
فالنارُ ما اشتملتْ عليهِ ضلوعهُ والماء ما سحّتْ بهِ أجفانُه

قال : فأحسنت ما شاءت فطرب تميم ومن حضر ثم غنت

سيَسليكَ مما دونَ دولةِ مفضلٍ أوائلهُ محمودةٌ وأواخرُه
ثنى اللهُ عطفيهِ وألّفَ شخصهُ على البرِّ مذْ شُدّتْ عليهِ مآزرُه

فطرب تميم ومن حضر ثم غنت

أستودعُ اللهَ في بغدادَ لي قمرًا بالكرخِ من فلكِ الأزرارِ مطلعهُ

فافرط تميم في الطرب جداً وقال لها : تمني ما شئت فلك مناك ، قالت : أتمنى أيها الأمير عافيته وسلامته ، فقال : والله لا بد ان تمني ، فقالت : على الوفاء أتمنى أن اغني

هذه التوبة ببغداد فتغير وجه تميم وتكدر المجلس وقمنا فلحقني بعض خدمه فردني فلما وقفت بين يديه قال : ويحك ارأيت ما امتحنا به ولا بد لنا من الوفاء ولم أثق فى هذا بغيرك فتأهب لحملها الى بغداد فاذا غنت هناك فاصرفها . فقلت : سمعا وطاعة ثم اصحبها جارية سوداء تخدمها وتعادلها وأمر بناقة لي فحمل عليها هودج وادخلت فيه وسرنا مع القافلة الى مكة فقضينا حجنا ثم لما وردنا القادسية أتتني السوداء فقالت : تقول لك سيدتي أين نحن . فقلت لها : نحن الآن بالقادسية فاخبرتها فسمعت صوتاقد ارتفع ناشدا

لمَّا رَأينا القادسيةَ حيثُ مُجتمَعُ الرِّفاقِ
وشممتُ من أرضِ الحجا زِ نسيمَ أنفاسِ العراقِ
أيقنتُ لي ولمن أحِبُّ بجمعِ شملٍ واتفاقِ
وضحكتُ من فرحِ اللقا ءِ كما بكيتُ من الفراقِ

فصاح الناس من أقطار القافلة : اعيدي بالله فلم يسمع لها كلمة فلما نزلنا الناصرية على خمس أميال من بغداد فى بساتين متصلة تبيت الناس فيها ثم يبكرون ببغداد . فلما قرب الصباح اذ السوداء قد أتتني مذعورة فقالت : إن سيدتي ليست بحاضرة فلم أجدها ولا وجدت لها ببغداد خبرا . فقضيت حوائجي وانصرفت الى تميم وأخبرته خبرها فلم يزل واجما عليها .. واخبار القينات كثيرة فنقتصر منها على هذا القدر

محاسن الجواري مطلقا

قيل .. كان يقال : من أراد قلة المؤونة وخفة النفقة وحسن الخدمة وارتفاع الحشمة فعليه بالاماء دون الحرائر . وكان مسلمة بن مسلمة يقول : عجبت لمن استمتع بالسراري كيف يتزوج المهائر . وقال : السرور باتخاذ السراري . وكان أهل المدينة يكرهون اتخاذ الاماء امهات اولادهم حتى نشأ فيهم على بن الحسين بن على رضى الله عنهم

وفاق أهل المدينة فقها وعلماً وورعا فرغب الناس في اتخاذ السراري . قال : وليس من خلفاء بني العباس من أبناء الحرائر الا ثلاثة السفاح والمنصور والامين والباقون كلهم أبناء الجواري وقد علقت الجواري لأنهن يجمعن عز العرب ودهاء العجم

﴿ ضده ﴾

إذا لم يكُنْ في مَنْزِلِ المرء حرَّةٌ ... رأى خللاً فيما تولّى الولائد

فلا يتّخذْ منهن حرٌّ قعيدةً ... فهنّ لعمرُ اللهِ شرُّ القعائد

وكان يقال : الجواري تخبز السوق والحرائر تخبز الدور . ومن أمثال العرب : لا تمازح امة ولا تبك على أكمة .. وقال بعضهم : لاتفترش من تداولتها ايدي النخاسين ووقع ثمنها في الموازين .. وقال : لا خير في بنات الكفر وقد نودي عليهن في الأسواق ومرّت عليهن أيدي الفساق

محاسن الموت

في الحديث المرفوع : الموت راحة .. وقال بعض السلف : مامن مؤمن إلاوالموت خير له من الحياة لانه إن كان محسنا فالله يقول (وما عِندَ اللهِ خيرٌ لِلأبرارِ) وان كان مسيئاً فالله تعالى جدّه يقول ايضا (ولا يَحْسَبَنَّ الَّذينَ كفرُوا أنّما نُملِي لهمْ خيرٌ لأنفُسِهمْ إنّما نُملي لهمْ لِيزْدادوا إثماً) وقال ميمون بن مهران : أتيت عمر بن عبد العزيز فكثر بكاؤه ومسئلته الله الموت فقلت : يا أمير المؤمنين تسأل ربك الموت وقد صنع الله على يدك خيراً كثيراً أحييت سننا وأمتّ بدعاو فعلت وصنعت ولبقائك رحمة للمؤمنين . فقال : الا أكون كالعبد الصالح حين أقر الله عينه له أمره قال (رَبِّ قد آتيتني مِنَ المُلْكِ وعلّمتني مِنْ تأويلِ الأحاديثِ) الى قوله (وألحقني بالصَّالحين) فما دار عليه

أسبوع حتى مات رحمه الله .. قالت الفلاسفة : لا يستكمل الانسان حدّ الانسانية إلا بالموت لأن حدّ الانسانية إنه حي ناطق ميت .. وقال بعض السلف .. الصالح اذا مات استراح والطالح إذا مات استريح منه .. قال الشاعر

وما الموْتُ إلّا راحةٌ غيرَ أنهُ ... منَ المنزِلِ الفاني إلى المنزِلِ الباقي

وقال آخر

جزَا اللهُ عنَّا الموْتَ خيرًا فإنهُ ... أبرُّ بنا منْ كلِّ برٍّ وأرأفُ

يُعجِّلُ تخليصَ النفُوسِ منَ الأذَى ... ويُدْني منَ الدَّارِ التي هي أشرَفُ

وقال منصور الفقيه

قدْ قلتُ إنْ مدَحوا الحياةَ فأسرَفوا ... في الموْتِ ألفُ فضيلةٍ لا تُعرَفُ

منها أمانُهُ بقائِهِ بلقائِهِ ... وفراقُ كلِّ مُعاشرٍ لا يُنصِفُ

وقال أحمد بن أبي بكر الكاتب

منْ كانَ يرْجو أنْ يعيشَ فإنَّني ... أصبحتُ أرجو أنْ أموتَ فأعتقا

في الموْتِ ألفُ فضيلةٍ لوْ أنَّها ... عُرِفتْ لكانَ سبيلهُ أنْ يُعشَقا

وقال لنكك البصري

نحنُ واللهِ في زَمانٍ غشومٍ ... لوْ رَأيناهُ في المنامِ فزِعْنا

أصبحَ الناسُ فيه منْ سوءِ حالٍ ... حقٌّ منْ ماتَ منهمُ أنْ يُهنّا

﴿ ضده ﴾

في الحديث المرفوع أكثروا ذكر هادم اللذات يعني الموت .. قال الشاعر

يا موتُ ما أجفاكَ منْ نازلٍ ... تنزلُ بالمرْءِ على رَغْمِه

تستلبُ العذراء من خدرِها　　وتأخذُ الواحدَ من

وقال

وكلُّ ذي غيبةٍ له إيابُ　　وغائبُ الموتِ لا يؤوبُ

وقال بعضهم الناس فى الدنيا اغراض تنتصل فيها سهام المنايا ، وقال ابن كسام مرسل اليك وعمرك بقدر سفره نحوك ، وقال بعضهم الموت أشد مما بعده ،، ونظر الحسن رضى الله عنه الى ميت يدفن فقال ان شيئاً أوله هذا لحق آخره وان شيئاً هذا آخره لحقيق أن يزهد فى أوله ،، وسئل بعض الفلاسفة فقال مفازة من ركبها ضل خبره وعنى أثره ٠٠ والله أعلم بالصواب واليه المرجع

بحمد المنزه عن المساوى والانداد تم طبع كتاب المحاسن والاضداد وكان ذلك فى اليوم الاخير من جمادى الاولى من شهور سنة ١٣٢٤ هجريه وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم



